إمام الكوثرية

ومناقضته لتوحيد الألوهية

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني

رحمه الله

(١٣٧٢ - ١٤١٨هـ)

دار إيلاف الدولية

للنشر والتوزيع

منشورات دار اللؤلؤة

(٧٥)

أصول الكوثرية

ومناقضته لتوحيد الألوهية

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

شركة دار اللؤلؤة للطباعة والنشر

لبنان - بيروت

جوال: ٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠

البريد الالكتروني: Daralloloaa@hotmail.com

تويتر: @daralloloaa

سلسلة الأستاذ الكوثري وشيء من أفكاره وآثاره وأنصاره (١)

إمام الكوثرية

ومناقضته لتوحيد الألوهية

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني

رحمه الله

(١٣٧٢ - ١٤١٨هـ)

دار اللؤلؤة

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ثم من سنن الله تعالى أن قيَّض لهذا الدين رجالًا ـ على مر العصور ـ يحفظ الله تعالى بهم هذا الدين، ويرد بهم كيد الكائدين، وينصر بهم الحق المستبين، ويظهر بهم السنن، ويميت بهم البدع، ويزيل بهم الشُّبَه، فهم أولياء الله تعالى حقًّا، ومُتَّبِعو سنة رسوله صدقًا، ومتمسكون بحبل الله المتين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

فكان من هؤلاء العلماء الأجلاء؛ صاحب هذه الرسالة العظيمة، الذي تصدى بالرد على **الكوثري** الذي عُرِفَ بالكذب، والخيانة، والتدليس، والسخرية، والمكر، والحيل، والسب، والشتم، وغير ذلك من الأوصاف الرذيلة.

إلا أنه يعرف بين أتباعه وخلَّانه بألقاب مفخمة معظمة، كشيخ الإسلام، وفريد العصر، ومجدد الدين، كما يلقب بالمحدث المحقق العلامة، وغير ذلك من الألقاب التي لا تليق برجل بذيء اللسان، كثير السباب واللعان، سليط اللسان على الأئمة الأعلام، مُتَّهم في خلقه ودينه وأمانته.

ولقد تصدى أهل العلم للرد على إمام القبورية والجهمية والكوثرية **محمد زاهد الكوثري**، ليتبين للناس أنه رجل كثير السب واللعن والطعن بالباطل في العلماء، وأنه يرد الأحاديث الصحيحة المحكمة إن خالفت مذهبه أو هواه، من غير أي تردُّد في ذلك، ويصحح الموضوعات والواهيات إن وافقت هواه، فالرجل وراء هواه

وتعصبه للقبورية والجهمية والحنفية، فلا يبالي بماذا يستدل لها، وبماذا يتمسَّك ليقوِّي هذه المذاهب الثلاثة.

فأقام الله تعالى رجالًا تصدوا لهذا الكوثري، منهم: علامة اليمن **الشيخ عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي** رحمه الله، **والشيخ محمد نصيف** رحمه الله، **والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني** رحمه الله، **والعلامة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد** رحمه الله، **والمحدث الشيخ أبو إسحاق الحويني**، وغيرهم، وقد سار على خطاهم والدي **الشيخ العلامة شمس الدين السلفي الأفغاني** ـ رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى ـ؛ فألف رسالته العظيمة هذه بعنوان: (إمام الكوثرية ومناقضته لتوحيد الألوهية)، وجعلها الرسالة الأولى من سلسلة تتضمن عشر رسائل في الرد على الكوثري.

أسأل الله تعالى أن يرفع للشيخ بها درجاته في الجنة، وأن يثيب جميع من شارك في إخراج هذه الرسالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ترجمة مختصرة للمؤلف

جرت عادة المحققين للرسائل في هذا العصر عند إخراج أو تحقيق كتاب لعالم من العلماء أن يترجموا لذلك العالم، ليكون مدخلًا للشروع في أصل الرسالة، وليسهل على القراء والباحثين الوصول إلى ترجمة هذا العالم، والعثور على المراد بأسهل الطرق وأيسر السبل.

فهذه نبذة مختصرة في حياة عالم جليل، وإمام في السنة قائم بأمر الله تعالى، لا يخاف في الله لومة لائم، متمسّك بهدي الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام أئمة السنة والقرآن، شديد على أهل البدع لا يعرف المداهنة، يرد على أهل البدع بكل جرأة في بلاد كثر فيها الفساد، وطُمست فيها أعلام السنن، واشتد فيها أمر المبتدعة، من الماتريدية، والديوبندية، والفنجفيرية وغيرها من الفرق المبتدعة.

وكثيرًا ما كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ يحرض إخوانه أهل السنة والجماعة، ويدعوهم إلى عدم التخاذل والضعف، ويَئِنُّ كثيرًا على حال كثير من أهل السنة في هذا الزمان، ويسعى جاهدًا في قيام أهل السنة للرد على المبتدعة وعدم مداهنتهم.

يقول ـ رحمه الله تعالى ـ رادًا على المداهنين الذين يدَّعون

الحكمة ويتبرقعون بها: «وللإمام ابن القيم، وشيخنا الألباني، وأخينا الفاضل المناضل الأثري، كلام متين بالغ قالع رصين دامغ قامع، لمن يتهم أهل الحديث بالتشدد في الخطاب، وأنهم لا يعرفون الحكمة في الدعوة إلى السنة والكتاب، مع أن كثيرًا ممن يتبرقع بالحكمة واللين؛ من أعظم الناس سبًا وشتمًا وطعنًا في أئمة الدين، وأشد الناس عداوة لأهل السنن، وأقرب الناس مودة لأهل البدع والفتن، نعوذ بالله من هذا التناقض الواضح، وفيهم قال ناصح فاضح:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

وهذه كتب أهل البدع مكتظة بالكذب والتحريف والتزوير والتكفير والسباب، ولكن لم يقل أحد من أصحاب الحكمة في أحدهم: إنه متشدد مكفر محرف كذاب.

أما الموحد المجاهد الغيور على دين الله، والسني المستن بسنة رسول الله ﷺ؛ إذا كشف الأستار عن أسرار أهل البدع وتحريفاتهم وعدوانهم وتلبيساتهم وكذبهم وخرافاتهم وتخريفاتهم؛ رأيت أهل البدع وأنصارهم من أصحاب الحكمة يصيحون ويهولون كذبًا وزورًا، ويقومون ويقعدون ويشنعون ويقولون: أنتم لا تعرفون الحكمة واللين، وأنتم متشددون منفرون مكفرون! ونسي هذا القائل؛ قول القائل:

فلو كان تشديدًا بيان كتابه   وإظهار قول من نبي محمد

فإني بحمد الله ربي مشدد   هلم شهودًا فاشهدوا كل مشهد

... ثم أهل البدع في كل مكان وزمان؛ هم أهل الظلم والبهتان والعدوان، في القديم والحديث على أهل السنة والحديث،

من شتم وطرد وحبس ونهب وقتل وضرب، وهدم مساجد أهل السنة ومدارسهم وبيوتهم وبلاء وكرب، فدونك فتنة خلق القرآن التي جرُّوها على أئمة الإسلام، وماذا صنع الماتريدية والأشعرية والقبورية والمتعصبة المذهبية بشيخ الإسلام، وماذا فعلوا بمجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب، وماذا أجروا في الهند وباكستان وأفغانستان وغيرها على أهل السنة والكتاب،... فأهل البدع في الهجوم مع العدوان والابتداع، وأهل السنة في الجواب والدفاع.

فسل إن سألت الناس عنا وعنهم فلسنا سواء منصف وظلوم
من أين أنتم والحديث وأهله والوحي والمعقول بالبرهان
وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

ومع ذلك كله؛ تتوجه السهام إلى أهل السنة المظلومين من قِبَلِ أصحاب الحكمة وأوليائهم أهل البدع المعتدين.

فهلا عكست الأمر لو كنت دينًا ولكن أضعت الحزم لو كنت تعقل

...لمَّا كان أئمة السنن أشداء على أهل البدع والفتن؛ كان أهل البدع مقموعين مقهورين مقصورين، وكان أهل السنة ظاهرين قالعين حاصرين كاسرين، ولمَّا صار أهل السنة باردين مثلجين ليِّنين؛ رفع أهل البدع رؤوسهم، وصاروا لأهل السنة قامعين قاهرين قاصرين، فواإسلاماه، واتوحيداه، واسنتاه، وواعلماء السلفيتاه.

لقد أسمعتَ لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارًا نفختَ بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

وبسبب برودة العلماء؛ صار أهل البدع والفتن يمثلون أهل

السنن، وكم من هؤلاء المبتدعين تربوا في جامعات الموحدين ومع ذلك هم أهل الفتن أعداء أهل السنن، وكم في الكتاب والسنة ونصوص أئمة هذه الأمة ما يذم المداهنين المتكاسلين المتقاعسين، ويقرع أسماع الساكتين عن أهل البدع المسالمين، ويسخن المثلجين، ويحرض المثبطين، ويطعن في التاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنواع من الأعذار والصنوف»[1].

فهذه كلمة مباركة، ونصيحة لأهل السنة المتقاعسين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نابعة عن غيرة على السنة، وحرقة وتألم على حال كثير من المنتسبين إلى العلم من أهل السنة، فترى كثيرًا منهم يهوّن من أمر البدع والمبتدعة، ويعاملهم معاملة أهل السنة، ويسكت عن البدع، ولا يحاول تغييرها مع القدرة، ويداهن أعداء السنن ومثيري الفتن، وهذا والله جرم عظيم، وبلاء جسيم، لأن في السكوت عن البدع تمهيد الطرق لها، وتسهيل السبل لنشرها، وتسويغ للعامة بقبولها، وإماتة لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم تنتشر البدع في أوساط الناس إلا بسكوت العلماء عنها، وعدم ردها، ومداهنتهم أصحابها.

ولذا رأى **الشيخ العلامة شمس الدين السلفي** ـ رحمه الله تعالى ـ من الواجب عليه نصح إخوانه العلماء بعدم التخاذل والتكاسل والتقاعس، مع أنه كان معروفًا من بين زملائه وإخوانه بالشدة في التمسك بالحق، والغيرة على دين الله، والدفاع عن الأئمة الأعلام لله وفي الله.

---

(١) عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، للشمس السلفي الأفغاني ١/ ٢٦ ـ ٣٠.

❁ نسبه وأسرته:

هو الشيخ الدكتور أبو عبد الله شمس الدين بن محمد أشرف بن قيصر بن أمير جمال بن شاه أفضل بن شاه غريب بن شاه سلطان، من منطقة: (سوات)، التابعة لباكستان حاليًا.

قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ عن نفسه: «من قوم بُشْتُوِيٍّ عريق في الأفغان، غريق في الجهل والظلم والعدوان»[1]. وقد صدق رحمه الله تعالى؛ فإن البشتون قوم يكثر فيهم الظلم والجهل والعدوان.

والشيخ له ثلاثة إخوة، وأخت واحدة، وثلاث زوجات، وأحد عشر ابنًا، وخمس عشرة بنتًا، توفي ابنه إبراهيم بعده بسبع سنوات، وله من العمر ثلاث عشرة سنة رحمه الله تعالى، فرحم الله الشيخ، وحفظ أسرته.

❁ مولده:

ولد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في أفغانستان، بولاية: (كنر)، حوالي سنة **١٣٧٢**هـ، الموافق **١٣٣٠**هـ ش.

❁ نشأته:

كان والده الشيخ محمد أشرف رَحِمَهُ اللهُ قد سافر إلى أفغانستان بسبب بعض النزاعات القبلية في منطقته القومية: (سوات)، التابعة لباكستان حاليًا، فاختار ولاية: (كنر)، للعيش فيها، فتزوج بها، وعاش باقي حياته فيها حتى توفي بها، وكان عمر الشيخ ـ رحمه الله

(١) المصدر السابق ١/ ١٧٢.

تعالى - حين وفاة والده عشر سنوات تقريبًا، وكان قد أخذ عن والده بدايات العلوم، كترجمة القرآن الكريم، وشيء من الفقه الحنفي، ومبادئ في علم النحو والصرف وغيرها، فرجع الشيخ مع إخوانه الأربعة وأخته إلى باكستان بعد وفاة والدهم، واستوطنوا مدينة (بشاور).

ثم بدأ الشيخ - رحمه الله تعالى - في طلب العلم وتحصيله، فدرس على الشيخ محمد طاهر بن آصف الفنجفيري الماتريدي الحنفي، وعلى الشيخ عبد الرحيم الشترالي، وعلى الشيخ نقيب أحمد الرباطي، وعلى الشيخ عبد الله التهكالي وغيرهم، وأكمل الدرس النظامي - المنهج السائد عند الحنفية في البلاد الشرقية -، ثم حصل على عدة شهادات حكومية في التعليم الشرعي، منها: شهادة المولوي، وشهادة الفاضل العربي، وشهادة المنشئ الفاضل الفارسي، كلها من جامعة بشاور، ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فدرس فيها على علماء أجلاء، منهم علماء الدنيا الثلاثة: الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين - رحمهم الله تعالى -، كما درس على الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله، وعلى الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله، وعلى الشيخ عبد الكريم الأثري، وعلى الشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ علي بن ناصر الفقيهي، والشيخ أكرم ضياء العمري وغيرهم. فتخرج في كلية الحديث الشريف، عام ١٤٠٥هـ، ثم التحق بقسم العقيدة، في كلية الدعوة وأصول الدين، وحصل على شهادة الماجستير، وكانت رسالته فيها بعنوان: **عداء الماتريدية للعقيدة السلفية**، وقد

كتب الله لها القبول عند أهل السنة والجماعة، لأنها من الكتب الأصيلة في بابها[1]، ثم انتقل إلى مرحلة الدكتوراه، وألف فيها رسالته العظيمة ـ التي هي كالتكملة للرسالة الأولى، لأن أكثر الحنفية ماتريدية، وأغلبهم قبورية ـ: **جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية**. فضرب الحنفية القبورية بسياط أئمتهم، وسلط عليهم سيوف علمائهم، فكان لها الأثر العظيم في الدعوة إلى الله تعالى.

ولقد نُشر في بعض الصحف مقالة عدائية لهذين الكتابين العظيمين، وكان مضمون تلك المقالة كله عدوان وتعدٍّ بغير حق على هذين الكتابين، وهمز ولمز لهما بالباطل، وهذا مما لا يستغرب من أهل الصحافة والإعلام والكُتَّاب في الصحف والمجلات الذين ليس لهم همٌّ إلا إذلال العلماء، والتقليل من شأنهم، وتجرئة عامة الناس عليهم، وهمزهم، ولمزهم، واحتقارهم، وجعلهم لعبة وخرقة في أيدي العوام يتعاطونهم ويلعبون بهم، إذلالًا لهم وتحقيرًا.

وإن من المعلوم أن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الله تعالى رفع شأنهم، فوصفهم في كتابه بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[2]، ووصفهم بقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[3]، فكيف يأتي من هو

---

(١) كما أن تأليفه هذا استفاد منه كل ماتريدي منصف مريد للحق، وأصبح حجة على كل معاند، وشوكة في حلق كل متعصب مكابر.

(٢) الزُّمَر: ٩.

(٣) المجادلة: ١١.

منحط في دينه وخلقه، أجوف صفر من العلم الشرعي؛ ينتقد ـ بكل جرأة وبلا حياء ولا خجل ـ العلماء الكبار، الذين أفنوا أعمارهم في سبيل طلب العلم الشرعي، وجاهدوا أنفسهم وأرغموها لتحصيل العلم النافع، وصبروا على تحمل مشقة الطريق إلى العلم، وعلى ما أصابهم في الوصول إليه من الجوع والعطش والتعب.

وإن الكلام في العلماء الربانيين، والتطاول عليهم، وتسليط الألسنة عليهم، والتقوُّل عليهم؛ أصبح اليوم آفة من آفات الناس في هذا الزمان، ومصيبة عظمى في مجالس طلاب العلم فضلًا عن غيرهم، وظاهرة سيئة من عادات الناس، حتى زالت هيبة العلماء من قلوب الناس، فلا تكاد تجد مجلسًا إلا وأصحابه يغتابون عالمًا من علماء الأمة، المشهود لهم بالصلاح، والتقى، وسلامة المنهج، وخدمة العلم ونشره، ويجعلون ذلك من حلاوة المجلس، فإن لم تكن هذه مصيبة فلا أعرف المصائب، وإن لم تكن هذه آفة فلا آفة بعد اليوم.

وقد عدَّ الإمام ابن كثير رحمه الله بعض الكبائر؛ فجعل منها: الوقيعة في أهل العلم وحملة القرآن[1].

واستمع على سبيل المثال لبعض أقوال أهل العلم، في حفظ مكانة العالم ورفع شأنه وإن أخطأ في بعض المسائل، لأن خطأه هذا لا يبرر لمن بعده الكلام فيه، والوقيعة في عرضه، والتأله على الله تعالى فيما بينه وبين ربه؛ بل يجب حفظ مكانة أهل الفضل والعلم،

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٥.

وصيانة عرضه من الوقوع فيه، والتأدب مع العلماء واحترامهم وتوقيرهم.

قال ابن المبارك رحمه الله: «من استخف بالعلماء ذهبت آخرته»[1].

وقال ابن عساكر رحمه الله: «واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خُلق ذميم»[2].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل»[3].

والخطأ من العالم واقع لا محالة، وهو فيه مأجور، ولكن لا يجوز أن يتخذ خطأ العلماء مبررًا في الوقيعة فيهم، والكلام في أعراضهم؛ بل المنهج الصحيح في ذلك ما ذكره أهل العلم من وجوب حفظ مكانة العالم ومنزلته، مع عدم إقراره على الخطأ واتباعه فيه.

قال شيخ الإسلام: «إن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكانة عليا، قد تكون

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٠٨.

(٢) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ٢٩.

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ٢/٧٤٨.

منه الهفوة والزلة هو فيها معذور؛ بل مأجور، لا يجوز أن يتبع فيها، مع بقاء مكانته ومنزلته في قلوب المؤمنين»[1].

والطعن والوقيعة في علماء أهل السنة والجماعة من سيما أهل البدع وعلاماتهم الكبرى، التي من تلبس بها عرف حاله، وانكشفت أحواله، وإن تستَّر بألف ستار، يقول أبو حاتم الرازي: «علامة أهل البدع؛ الوقيعة في أهل الأثر»[2].

وكان مضمون ما نشر في تلك الصحيفة: أن الشمس السلفي الأفغاني دلس في كتابيه وغيَّر عنوانهما ومضمونهما، وزاد فيهما زيادات وصمته بالركاكة، وأفسدته بالتناقض والاغترار، والتشبع بما ليس فيه، وأنه أساء إلى السلفية، وأن الكتابين المطبوعين ليسا موافقين للأصل، ثم لم يستطع هذا الصحفي أن يأتي بشيء يستدل به على هذا التهجم والتعدي إلا بكلمتين، وهما:

١ ـ قول الشمس السلفي الأفغاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «الفارابي الكافر»[3].

٢ ـ قوله ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأما مقارنة المذهب الحنفي بالثلاثة فحاصله: أنه أبعدها عن السنة والتحقيق»[4].

فهل من منصف يقارن بين وصف ذاك الصحفي، وبين الكلام

---

(١) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ٦/ ٩٣.

(٢) عقيدة السلف، للصابوني ٣٠٤، وانظر: توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم لابن عيسى ٢/ ٨٢، وشرح لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين ٨٦.

(٣) جهود علماء الحنفية ١/ ٢٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٢.

العلمي الرصين الذي قاله الشمس السلفي الأفغاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم يحكم وينظر: هل الوصف مطابق للموصوف أم لا؟ وشتان بينهما، وهيهات أن يتطابقا.

فإن الفارابي قد كفَّره جماعة من أهل العلم المحققين قديمًا وحديثًا، منهم ابن القيم، والغزالي، وابن العماد الحنبلي وغيرهم، وسأورد أقوال بعضهم ليتضح حال الفارابي.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود: أن الملاحدة درجت على أثر هذا المعلم الأول [يعني: أرسطو] حتى انتهت نوبتهم إلى معلمهم الثاني: أبي نصر الفارابي... ثم وسع الفارابي الكلام في صناعة المنطق، وبسطها، وشرح فلسفة أرسطو، وهذَّبها، وبالغ في ذلك، وكان على طريقة سلفه من الكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر». ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولعل الجاهل يقول: إنا تحاملنا عليهم في نسبة الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله إليه، وليس هذا من جهله بمقالات القوم وجهله بحقائق الإسلام ببعيد...»(١).

وقال الغزالي: «ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من الإلٰهيين ردًّا لم يقصر فيه، حتى تبرأ عن جميعهم، إلا أنه استبقى أيضًا من رذائل كفرهم وبدعهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها، فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين، كابن سينا، والفارابي وغيرهما»(٢).

وقال ابن العماد الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبالجملة؛ فأخباره [أي:

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٢/ ٦٧٢.

(٢) المنقذ من الضلال، للغزالي ٧٧ ـ ٧٨.

الفارابي] وتصانيفه كثيرة شهيرة، ولكن أكثر العلماء على كفره وزندقته، حتى قال الإمام الغزالي في كتابه: المنقذ من الضلال والمصفح عن الأحوال: لا نشك في كفرهما، أي الفارابي وابن سينا،... ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذهب الإسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا، ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلًا، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها...»[(١)].

وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله: أن الفارابي من دعاة المشركين[(٢)].

ثم إن هذه العبارة لم يزدها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عند طباعته للكتاب؛ بل هي موجودة في أصل الرسالة[(٣)]، وهذا مما يدلك أيها القارئ الكريم على تخبط هذا الكاتب، وعدم تحريه الصدق والأمانة في كتابته.

أما الكلمة الثانية: وهي قوله: إن المذهب الحنفي بالنسبة للمذاهب الثلاثة أبعد المذاهب عن الحق. وهي كلمة حق يشهد لها الواقع، كما يشهد لها كلام كثير من المحققين من أهل العلم المنصفين.

أما استدلال الصحفي واستظهاره وفهمه المعوج من هذه

(١) شذرات الذهب، لابن العماد ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) انظر: مصباح الظلام ٢٨٢.

(٣) ينظر أصل رسالة جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، الموجودة في قسم الرسائل العلمية بالكتبة المركزية وفي مكتبة كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية ص: ١٥.

الكلمة: أن المذاهب الثلاثة بعيدة عن السنة، وأن المذهب الحنفي أبعدها[1]، فهذا فهم سقيم، وبتر للكلام، ومعنى لم يُرِدْهُ الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ، وإنما أراد أن يبيِّن أنه عندما يذكر أقوال علماء الحنفية في الرد على القبورية لا يعني هذا أن غير الحنفية من المذاهب الثلاثة لا يردُّون على القبورية، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ بعد أن ذكر بعض الميزات للمذهب الحنفي، وأن فيه علماء يردون على القبورية وعلى بدعهم: «وليس المراد أن هذه ميزات مذهب الحنفية فحسب، وأن بقية المذاهب فارغة عن هذه الميزات، وأن الأئمة الثلاثة فتحوا شبابيك الشرك، كما زعم ذلكم المتعصب الحنفي الديوبندي في كلامه المسجل في شريط عندي، وأما مقارنة المذهب الحنفي بالثلاثة؛ فحاصلها أنه أبعدها عن السنة والتحقيق...»[2].

هذا هو كلام الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بنصه وفصه، فمن قرأه كاملًا عرف الحق، واستبان له مقصود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وظهر له حقيقة هذا الصحفي، وتبين له أمر الصحافة وشدة عدائهم للعلماء الربانيين.

وقد ذكر الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله تعالى ـ: أن المذهب الحنفي أبعد المذاهب الثلاثة عن الحق، فقال: «فإن المذهب الحنفي يعتبر أبعد المذاهب الثلاثة عن كتاب الله وعن سنة رسول الله ﷺ»[3].

---

(١) لأنه قال بعد ذلك: «ويفهم من قوله هذا: أن هذه المذاهب الفقهية السلفية بعيدة عن السنة والتحقيق، وأن الحنفي أبعدها».

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ١/ ٣٢.

(٣) المقترح في أجوبة المصطلح ٨٣.

مع أن هذه العبارة موجودة في أصل الرسالة[1]، ولم يزدها المؤلف عند الطباعة كما زعم المعارض.

هذا كان حاصل ما أخذوه على الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابيه، بعد أن فخموا المأخذين السابقين ونفخوا فيهما، وهوَّلوا من شأنهما، وجعلوا الحبة قبة، حتى ظن من يقرأ عنوان المقال وبدايته؛ أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ خرج عن المنهج السلفي والعياذ بالله، لكن سرعان ما تبيَّن للناس الحقيقة عندما ذكر مأخذيه على ذلك الكتابين العظيمين، فعلم الناس أن ذلك الكلام أجوف لا قيمة له، وأنه مجانب عن الصواب تمامًا، وأنه تعدٍّ على العلماء بغير حق، وتهويل ونفخ وتغيير للحقائق، نسأل الله تعالى أن يرفع قدر العلماء، وأن يعيد لهم الهيبة والوقار في قلوب الناس، وأن يحفظهم من شر الأشرار، وكيد الفجار، وبغي الصحفيين، وتعدِّ الكتاب.

بعض أعماله بعد رجوعه إلى بيشاور:

وبعد انتهائه من مرحلة الدكتوراه بالمدينة المنورة؛ انتقل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى بيشاور عام ١٤١٥هـ، فعاد إلى الجامعة الأثرية، فكان يدرس فيها: العقيدة والحديث والفقه والعلوم العربية، فكان مشغولًا بالتأليف والتدريس والدعوة إلى الله تعالى.

كما أسند إليه خطبة الجمعة في مسجد الجامعة الأثرية، فكان يحضر الخطبة جمٌّ غفير من سكان مدينة بيشاور وما والاها؛ بل إن الكثير كان يحضر الخطبة من خارج مدينة بيشاور، فيزدحم المسجد

(١) ينظر أصل رسالة جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ص: ٢٢.

ازدحامًا شديدًا من كثرة المصلين رجالًا ونساءً، ويصلي بعض الرجال في الطرقات، وبعض النساء في البيوت المتصلة بالمسجد.

وفي أثناء الخطبة كان الناس يرسلون الأسئلة إليه مكتوبة في أوراق؛ فيجيب عليها في الخطبة الثانية، ثم لما كثرت الأسئلة عليه خصص جلسة علمية بعد الصلاة للأسئلة، فكانت الجلسة تمتد أحيانًا إلى العصر، والمسجد مكتظٌّ بالمستمعين.

واستمر ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه الحال حتى توفاه الله تعالى.

۞ تأسيسه الجامعة الأثرية:

بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إنشاء الجامعة الأثرية، فوضع حجر أساسها بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٣٩٦هـ، الموافق: ٩/ ١٠/ ١٩٧٦م، وبدأ يعمل جادًّا في بنائها، حتى أكمل بناءها.

ولقد سمعت الشيخ عبد القيوم السلفي البشاوري ـ حفظه الله تعالى ـ يقول: «إن الشيخ شمس الدين السلفي كان يبني حيطان الجامعة بنفسه، ولم يكن عنده من يساعده على العمل، فكنا ندرس عنده، فإذا جئنا للدراسة ترك العمل، وبدأ يدرسنا ويداه ورجلاه ملطخة بالطين والتراب، فإذا قمنا وانتهينا من الدرس قام بكل نشاط يبني بنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ».

فكان أساسها على التقوى بإذن الله، والله لا يضيع أجر المحسنين، وكانت حينئذ في منطقة تسمى (ريجي)، ـ قرية من قرى بشاور ـ ثم انتقلت منها إلى قرية مجاورة لـ(ريجي)، تسمى (تهكال بالا)، ثم انتقلت الجامعة إلى منطقة (ذُورة)، وكان الشيخ حينها طالبًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم انفصلت هذه الجامعة

إلى شقين: الجامعة الأثرية المركزية، وهي في نفس مكانها السابق (دورة)، والجامعة الأثرية بـ(شمكني).

وهي لا تزال ـ ولله الحمد والمنة ـ عامرة بالعلم والعلماء، يَفِدُ إليها الطلاب والطالبات للدراسة فيها، والاستفادة من منبعها الصافي، والاستزادة من العلم الشرعي فيها، في جميع مراحلها التعليمية ـ المتوسطة، والثانوية، والعالية ـ، أسأل الله تعالى أن يديم بقاءها، ويثيب القائمين عليها خير الجزاء.

❁ تأسيسه جامعة الدراسات السلفية ومركز أهل الحديث بـ(سوات):

منطقة: (وادي سوات) من المناطق الاستراتيجية والسياحية، يَفِدُ إليها الناس من كل حدب وصوب، كما أنها من المناطق التي يكثر فيها الجهل بالدين، وذلك لعدم توفر علماء سلفيين ومدارس دينية في تلك المنطقة، وكثرة اشتغال المنتسبين إلى الدين بالعلوم العربية وبالمنطق والفلسفة، فاشتهرت منطقة (سوات) بتعلم النحو والصرف والبلاغة والمنطق اليوناني، فكان الناس يفدون إليها لتعلم هذه العلوم، مع أنهم كانوا على جهل بأحكام الدين، لبعدهم عن علوم القرآن والسنة، فأراد الشيخ رحمه الله أن يبني مركزًا لأهل الحديث في تلك المنطقة، ليستفيد منها قبيلته الكبيرة أولًا، ثم جميع أهالي المنطقة، فبدأ بتأسيس جامعة الدراسات السلفية ومركز أهل الحديث، في منطقة قومه آل سلطان (دهيري)، أمام مطار (سوات)، على الشارع العام، الذي كان في الأساس مسجدًا يصلي فيه الناس، ويدرس فيه أهل الحي القرآن وترجمته،

فطوّره الشيخ وزاد في بنائه ووسّعه، فأصبح مركزًا لأهل الحديث.

يقول الشيخ سميع الله نجيب الله، أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة ـ حفظه الله تعالى ـ:

«إن منطقة سوات من أهم المناطق الباكستانية سياسية واستراتيجية وجغرافية، وهي من أهم المصائف في باكستان، صيفها معتدل، وشتاؤها ذو برد قارص وثلوج، وهي منطقة فيها مناظر طبيعية من جبال شامخات وأنهار وغابات، ومن ناحية أخرى هي من أحط المناطق جهلًا وبعدًا عن العلم والعقيدة السلفية، وهي منطقة وكرة أنواع من أهل الشرك والبدع من الفرق الضالة، كالباطنية والروافض والقاديانية والقبورية والصوفية حتى الهندوس والسيخ، . . . وفيها مدارس كثيرة لأهل البدع، ومع ذلك لا توجد فيها أية مدرسة لأهل الحديث والعقيدة السلفية، وقد قام فضيلة الدكتور شمس الدين قبل خمس عشرة سنة في عاصمتها بجوار المطار على الشارع العام بمشروع سماه: مركز أهل الحديث للدراسات السلفية[(١)]، وقد تم حتى الآن بناء مسجد كبير، والدور الأول لمدرسة الطلاب ولمدرسة البنات»[(٢)].

وكان الشيخ رحمه الله يحلم بإنشاء هذا المشروع العظيم؛ ليكون مأوى السلفيين ومركزًا عظيمًا لهم، لكن المنية أدركته قبل إنهاء هذا المشروع، فاكتمل بناء ما كان يتمناه بعد موته بإشراف من الشيخ أ.د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس ـ حفظه الله تعالى ـ، ثم أغلق المركز بعد مدة بسبب بعض الخلافات، ثم جاء دور الحرب بين

(١) هذا اسمه القديم، وقد غيّره الشيخ رحمه الله فيما بعد.

(٢) المجلة الثانية، لجامعة الدراسات السلفية، ومركز أهل الحديث ص: ٨.

طالبان والحكومة الباكستانية، نتج عن ذلك هدم بعض الغرف والفصول الدراسية وتضرُّرِ المسجد الجامع، ولا زال المركز قائمًا لكن لغير هدفه الأساسي الذي بني من أجله، فهو الآن جثة هامدة؛ لأن روح البنيان وعمارته بأهله وعامريه، وأرجو من الله تعالى أن يقيم للمركز رجالًا يعيدون له دوره وعمارته، ويحققون أمنية الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ، والله لا يضيع عمل المصلحين.

مؤلفاته:

يعد الشيخ رحمه الله من المكثرين في التأليف، فقد كان يقضي أغلب وقته في مكتبته الخاصة، ويجلس الساعات الطوال من غير ملل، ولذا ألف أكثر من أربعين مؤلف في زمن قصير، مع كثرة أشغاله وأعماله.

فللشيخ رحمه الله أكثر من أربعين مؤلَّفًا، أغلبها في العقيدة والرد على أهل البدع، وبعضها في الفقه وأصوله، وفي علم الحديث والتجويد، وهي كما يلي:

١ ـ إتمام الحجة على ناقق اللجة.

٢ ـ إثبات الفصوص السلفية بنصوص علماء الحنفية.

٣ ـ الاجتهاد في أن الرد على أهل البدع من أفضل الجهاد.

٤ ـ الإرشاد والتسديد في مباحث الاجتهاد والتقليد.

٥ ـ إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع[١].

(١) طبعه أصحاب جامعة العلوم الأثرية بجهلم، باسم مديرها: الشيخ عبد الغفور، وباعوه من دار الإفتاء السعودية.

٦ - إطفاء المحن والفتن بإحياء الآثار والسنن.

٧ - الألفية السلفية المجتناة من القصيدة النونية.

٨ - إمام الكوثرية ومناقضته لتوحيد الألوهية[١].

٩ - تأمين الأمين على الجهر بآمين.

١٠ - تحفة القلوب والأنظار في نصاب الحبوب والثمار.

١١ - تقويض التفويض.

١٢ - تقويل التأويل.

١٣ - تنبيه الساه اللاه على علو الله.

١٤ - تنزيه النبيه عن تشبيه السفيه.

١٥ - تيار البواجي على مناقشة العواجي.

١٦ - الجارية إلى تحقيق حديث الجارية.

١٧ - جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية[٢].

١٨ - حصول الفرقدين في تحقيق رفع اليدين.

١٩ - الحملات القسورية على ثرثريات الكوثرية.

٢٠ - الخرائد الدرية من الفرائد التفسيرية.

٢١ - دسترجوديد علم التجويد.

٢٢ - السلام على إسلام عبد السلام، أو: السلام على سلام عبد السلام.

---

(١) وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

(٢) رسالة دكتوراه، مطبوع في ثلاث مجلدات، بدار الصميعي، بالرياض.

٢٣ ـ السيوف القاطعة القاتلة لأصول الحنفية الباطلة.

٢٤ ـ السير الحثيث إلى فضل أهل الحديث.

٢٥ ـ الشهاب الأثري على عقائد الكوثري.

٢٦ ـ الصارم البأسي على الكلام النفسي.

٢٧ ـ طبقات الماتريدية وأشقائهم الأشعرية.

٢٨ ـ عداء الماتريدية للعقيدة السلفية[١].

٢٩ ـ عقيان الهميان في الرد على شيخ العميان.

٣٠ ـ عمدة العدة لكشف الأستار عن أسرار أبي غدة.

٣١ ـ الفريد الوحيد لقمع الشرك وحماية التوحيد.

٣٢ ـ قطع الوتين والوريد من التقول المريد صاحب العقد الفريد.

٣٣ ـ القنابل الجندية والصوارم الهندية على بدع الديوبندية وخرافاتهم القبورية والنقشبندية.

٣٤ ـ القواعد واللمع لمعرفة العوائد والبدع.

٣٥ ـ الكرات الغضنفرية على طامات الفنجفيرية.

٣٦ ـ مباني العقيان في معاني الإيمان.

٣٧ ـ مصاعد المعارج في عقائد الخوارج.

٣٨ ـ مغيث المستغيث في أصول الحديث.

٣٩ ـ مقابلة الماتريدية بزملائهم الأشعرية.

---

(١) رسالة ماجستير، مطبوعة في ثلاث مجلدات، بمكتبة الصديق، بالطائف.

٤٠ ـ منهج السلف في الرد على بدع الخلف.

٤١ ـ موقف اللصوص من النصوص.

٤٢ ـ موقف المتكلمين من ألوهية إلٰه العالمين.

مرضه ووفاته:

مرض الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وتبين أنه مرض السرطان في الكبد، حينما كان في إحدى المستشفيات بدولة الإمارات العربية، يقول الشيخ أ.د. محمد بن عبد الرحمٰن الخميس ـ حفظه الله تعالى ـ: «كنت مع الشيخ في المستشفى، فأخبرني الطبيب أنه مصاب بسرطان في الكبد، فلما جاء الليل؛ أخبرت الشيخ بالأمر، فوضع الشيخ رأسه على وسادته وكأن شيئًا لم يحصل، وقال: (من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه)، فنام، ولم يستيقظ إلا عند الفجر، وقد أذهلني نومه العميق بعد علمه بالخبر، أما أنا فلم أنم تلك الليلة؛ بل كنت أفكر فيه وفي أولاده وعياله».

ثم رجع إلى بشاور، فمكث شهرًا ونصف شهر، في المستشفى أحيانًا، وفي البيت أحيانًا أخرى، ثم سافر إلى الكويت فلم يلبث شهرًا فيها حتى توفاه الله تعالى عصر الأربعاء، في ٢٦/٧/١٤١٨هـ، الموافق: ٢٦/١١/١٩٩٧م، وله من العمر ست وأربعون سنة تقريبًا، وذلك بعد حياة حافلة بالعلم والقراءة والتدريس والتعليم والإفتاء والخطب والمحاضرات والتأليف، وكان يوم جنازته يومًا مشهودًا، صلي عليه في الكويت، وصلي عليه صلاة الغائب في الجامعة الأثرية، وفي غيرها من المساجد والجامعات السلفية، ودفن في الكويت في مقبرة الرقة، فرحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[(١)] ﴿النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[(٢)] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[(٣)] أما بعد»[(٤)].

«أما بعد[(٥)]: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة، ولشيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ رسالة في تخريجها والاهتمام بها، وتأسف على عدم اهتمام الناس بها، وهي سنة.

(٥) كلمة: (أما بعد) وقعت في آخر خطبة الحاجة، كما أنها وقعت في أول هذا الحديث، ولكن ذكرها مرتين هاهنا لا وجه له إلا التأكيد اللفظي.

محمد [ﷺ][1]، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[2] «وكل ضلالة في النار»[3].

«فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[4].

«ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب لصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»[5].

---

(١) زيادة مني، وليست في نص الحديث.

(٢) رواه مسلم، عن جابر، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/ ٥٩٢.

(٣) زادها النسائي، كتاب العيدين، باب كيف الخطبة ٣/ ١٨٨، قال شيخنا الألباني: «وسندها صحيح، ومن أنكرها فقد وهم». تخريج المشكاة ١/ ٥١.

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٢٦، وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة ٥/ ١٣، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة ٥/ ٤٤، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء ١/ ١٦، عن العرباض بن سارية، وقال شيخنا الألباني: «وسنده صحيح، وصححه جماعة». انظر: تخريج المشكاة ١/ ٥٨، وصحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٣، وصحيح الجامع الصغير ٢/ ٣٤٦.

(٥) رواه أحمد ٤/ ١٠٢، وأبو داود، السنة، شرح السنة ٥/ ٥، عن معاوية بن أبي سفيان. وحقق صحته شيخنا الألباني سندًا ومتنًا، تخريج المشكاة ١/ ٦١، صحيح الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥، السلسلة الصحيحة ١/ رقم الحديث ٢٠٤ من ص: ١٤ ـ ٢٣، فمحاولة الطعن في هذا الحديث الصحيح من

وأشهد أن محمدَ بن عبد الله عبده ورسوله، الذي ما أرسله إلا كافة للناس شاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا[(١)]، ولقد جاء بملة بيضاء نقية، وتركنا على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، ولو كان موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيًا ما وسعه إلا اتباعه، ولو بدا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ واتبعناه وتركنا محمدًا ﷺ لضللنا عن سواء السبيل، ولو كان موسى حيًا وأدرك نبوته لاتبعه[(٢)].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[(٣)].

وآله وأصحابه السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدَّلوا تبديلًا[(٤)].

= الكوثري ـ كعادته السيئة في تضعيف الأحاديث الصحيحة وتصحيح الضعيفة بل الموضوعة ـ محاولة فاشلة، انظر: مقدمة الكوثري لكتاب: التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني ٤ ـ ٥.

(١) هذه الأوصاف في سورة الأحزاب ٤٥ ـ ٤٦، سبأ ٢٨، الفتح ٨.

(٢) انظر مضمون هذه الكلمات في حديث جابر، رواه أحمد ٣/ ٣٨٧، والدارمي ١/ ٩٥ عن جابر، وحسنه شيخنا الألباني، وذكر أن له طرقًا عند اللالكائي والهروي وغيرهما، تخريج المشكاة ١/ ٦٣، وعن العرباض بن سارية رواه ابن ماجه، المقدمة ١/ ٦، وأحمد ٤/ ١٢٦.

(٣) صفة هذه الصلاة رواها البخاري، الأنبياء، يزفُّون، ٣/ ٢٣٣، ومسلم، الصلاة، الصلاة على النبي ﷺ ١/ ٣٥.

(٤) انظر مضمون ذلك في سورة التوبة ١٠٠، الأحزاب ٢٣.

كلمة حول الكوثري

أما بعد: فإني كنت أسمع منذ زمن غير قصير من صيت الكوثري[1] وبراعته، وشغف علماء الحنفية ولا سيما الديوبندية

(١) هو الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الحلمي الجركسي الكوثري (١٣٧١هـ)، نسبته إلى أحد أجداده (كوثر)، أو إلى قرية (الكواثرة)، بضفة نهر شبز ببلاد قوقاز، وقاعدة النسبة ترجّح الأول. كان وكيل مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، ثم عُزِلَ عن ذلك. ولد ونشأ في قرية من أعمال (دوزجة) بشرقي (الآستانة)، وتفقه في جامع (الفاتح) ودرس فيه وتولى رئاسة مجلس التدريس، واضطهده الاتحاديون خلال الحرب العالمية الأولى، لمعارضته إياهم، فأُريد اعتقاله؛ فركب إحدى البواخر إلى الإسكندرية وتنقل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة موظفًا في دار المحفوظات لترجمة ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية، وكان يجيد التركية والعربية والفارسية والجركسية، أما العربية؛ فأمر مدهش مما أعطاه الله من تفوق فيها، كما أعطاه الله من استبحار في العلوم المتداولة، واستحضار لما يقصده، كما أنه لا نِدَّ له في التمويهات، ولا مِثْلَ له في التلبيسات، وله مقدمات وتعليقات ومقالات ومؤلفات، أفنى عمره في العداوة مع أهل الحديث والعقيدة السلفية، فضاعت مواهبه. أطول ترجمته ما قام بها تلميذه الخرافي أحمد خيري، بعنوان: «الإمام الكوثري»، مطبوعة في: «مقالات الكوثري»، ثم: «تشنيف الأسماع»، لأبي سليمان محمود سعيد ممدوح ٢٠٥ ـ ٢١٦، والأعلام، للزركلي ٦/١٢٩، ومعجم المؤلفين، لرضا كحالة ١٠/ ٤ ـ ٥، ومستدركه ٦٤٣.

بتحقيقاته ومقالاته، ولا سيما في الدفاع عن مذهبهم؛ الشيء الكثير، وكنت في اشتياق كامل للاطلاع على كتاباته وبحوثه حتى أعرف حقيقة هذا الباب، سماء أم سحاب أو ماء أم سراب، وكنت أظن أن الرجل لا بد أن يكون من أفذاذ الرجال، وفحل الفحول، وبطل الأبطال، علمًا وفهمًا وديانة وأمانة وحسن اعتقاد، وأكمل زاد وسمت حسن وخلق عظيم وجانب طيب، وأدب العلماء، وعلم الأدباء، وتحري الصدق، وطلب الحق، دون تعصب واعتساف، مزيَّنًا بالإنصاف، غير أنه يظهر لي جنونه للحنفيَّة.

ولكنني لما اطلعت على كتيباته ومقالاته، وتأنيبه، وترحيبه، وظلامه المخيم على نونية ابن القيم، ومقدماته لكتب أهل العلم وتعليقاته عليها، كـ«التبيين» لابن عساكر، و«الأسماء والصفات» للبيهقي، و«التنبيه» للملطي؛ اندهشت من ذكائه ومهارته وسعة دائرته واطلاعه، وسعة فقهه في العلوم العربية والإسلامية، ولا سيما الحديث والتفسير والفقه والأصول والكلام، ومعرفة التاريخ والملل والنحل، ولاحظتُ عليه مواقف خطيرة في أهم جوانب الإسلام.

ذكر مواقف الكوثري الخطيرة العشرة

وهي كما يلي:

١ ـ أولاً: قبوري محض على اصطلاح العرب، بريلوي على اصطلاحنا، أخلّ بتوحيد الألوهية تمامًا، فقد خرج على كثير من مبادئ مذهب الحنفية إلى حد كبير، وضحى مذهبه الحنفي لمذهبه الخرافي القبوري.

٢ ـ وثانيًا: جهمي بحت، ماتريدي صلب، أخلّ بتوحيد الأسماء والصفات، فخرج على السلف عامة وعلى الأئمة الأربعة خاصة، ولا سيما أبي حنيفة وصاحباه، كعادة أهل الكلام.

٣ ـ وثالثًا: عدوٌّ لدود للعقيدة السلفية وحامليها وكتبها، ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومجدد الدعوة السلفية محمد بن عبد الوهاب، التي يسميها أعداء الإسلام (الوهابية)! فأشبعهم سبًّا وشتمًا ولعنًا وطعنًا!

٤ ـ ورابعًا: وجدت عنده أنواعًا ثلاثة من الجنون على مراتبه، فأعلى مراتب جنونه: جنونه للعقيدة القبورية البريلوية الخرافية، ثم جنونه في المرتبة الثانوية؛ جنونه للعقيدة الكلامية الجهمية الماتريدية، وأدناها: جنونه للإمام أبي حنيفة خاصة والحنفية عامة، وهذه المرتبة ـ وإن كانت أدون المراتب بالنسبة إلى ما عداها ـ ولكنها أعلى

المراتب في نفسها، حيث له فيها مجال واسع وغرائب وعجائب!

٥ ـ وخامسًا: وجدته يقدح في كمية كبيرة من الأحاديث الصحيحة المُحْكَمة الصريحة، وغالبها من أحاديث «الصحيحين» أو أحدهما، وعلى عكس ذلك يصحح ويناصر الأحاديث الضعيفة؛ بل المنكرة؛ بل الموضوعة، كل ذلك لحاجة في نفسه لا لتقوى الله ﷻ.

٦ ـ وسادسًا: رأيت عنده معاملة شديدة مع الرواة والرجال، كمعاملته مع المتون، فيقدح في الثقات، ويوثِّق الضعفاء والمجاهيل بل الكذابين، كل ذلك لهوًى في نفسه وتعصُّبًا لأبي حنيفة والحنفية بالباطل.

٧ ـ سابعًا: وجدتُ عنده كليات مفتعلة مخترعة، وقواعد فاسدة، وأصول كاسدة، كل ذلك لمناصرة ما يهواه!

٨ ـ ثامنًا: وجدته في العلم بحرًا لا ساحل له، وأبياره لا تكدِّره الدلاء، ومع ذلك كله ميدانه في التشكيكات والتمويهات والتلبيسات والدجل والتدليس لا يُرى طرفاه، ومضماره في هذا الباب لا يُعرف أقصاه، وسعيه في الكذب والخيانات والتحريفات والتخريفات لا يبلغ شأوه فيه.

٩ ـ تاسعًا: وجدته يُعَدُّ إمامًا عظيمًا لدى الحنفية جمعاء في العالم الإسلامي أجمع، ولا سيما عند الديوبندية[1]، كما أنه يعتبر

(١) راجع ما كتب هؤلاء، ولا سيما الشيخ البنوري رئيس علماء ديوبند وزعيم مجلسهم حول الكوثري من تقريظات مشتملة على غلو وإفراط وإسراف إطراء في أول «مقالات الكوثري»، وما يراه القارئ الكريم في كتاب تلميذه الكوثري عنه في مختلف آثاره القديمة والحديثة، فإنهم قد فتشوا في الكتب

مجدِّدًا للعقيدة الكلامية الجهمية الماتريدية، ليستدل بكلامه ويقتبس من ظلامه.

ترك ثروة كثيرة من تراثه وكتبه وتلاميذه، انتشرت تلك الثروة في العالم الإسلامي، تقوم بمناصرة أقواله وأفكاره ونشر آرائه.

ولقد رأيتُ من العجب العجاب أن كثيرًا من المؤسسات تنشر تعاليقه ومقدماته بدون أن يُذكر اسمه في أولها، وهذا من الدجل بمكان!

كما أنه لوحظ أن بعض تلاميذه ينشر أفكاره في البلاد الإسلامية بطرق خفية، لا ينتبه إليها إلا متيقِّظٌ فَطِنٌ، مع إظهار التودد إلى تلك البلاد والتملق إليها، وترك ما كان يقوم به بغاية حماسة من شدة العداء للسلفية وحامليها.

١٠ ـ عاشرًا: وجدته سيِّئ الخلق مع مخالفيه، بذيءَ الكلام، طويل اللسان، سبَّابًا شتَّامًا لعَّانًا طعَّانًا، ساقط الأدب كذَّابًا، صاحب دجل وتمويه وتلبيس، قليل الديانة، عديم الأمانة، صاحب خيانة وتدليس، ولقد تتبَّعْتُ شتماته وسبابه لأئمة الإسلام فتجاوز عددها الألف، وأنا كنت في بداية السَّيَر، فسئمت من تتبُّع مخازيه فتركت، ولو جمعت كلها لكانت كمية كبيرة فيها عبرة للمعتبرين في مؤلف ضخم، ولا أعرف له مثيلًا في التاريخ حتى في الشعراء الهاجين، والمطربين الماجنين، فلسانه كسيف الحجاج، غريق في الظلم والعدوان والسباب.

عن ألقاب عظيمة فخمة فجمعوها كلها وتوجوها على رأس هذا الرجل، وهذا شيء بعيد عن الإنصاف، ولا يقره عقل ولا نقل ولا فطرة.

تلك عشرة كاملة، ولسقوط عدالته وديانته وأمانته كافلة، وكتبه وتعاليقه ومقدماته وتوصياته بها حافلة.

ذكر من تصدّى لرد كيده في نحره

ولقد تصدّى لكشف أستاره عن أسراره وكوامنه ومخازيه عدد من نقاد عصره، فكشفوا عن عواره.

١ ـ كالعلامة الفهامة المحدث المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (١٣٨٦هـ)[١] رحمه الله تعالى، فألف على تأنيب الكوثري كتابه العظيم: «التنكيل»، فنكله تنكيلًا، ومع جيوش التنكيل مقدمة الجيش الموسومة: بالطليعة، ومؤخرة الجيش الموسومة: «بالقائد إلى تصحيح العقائد»، مع الميمنة والميسرة والقلب.

---

(١) ولد في أول سنة (١٣١٣هـ) بقرية المحاقلة في اليمن، وقرأ من جميع العلوم المتداولة العربية والإسلامية الحديثية منها والفقهية حتى بلغ الذروة. فيها كان رئيس القضاة وفاز بمنصب شيخ الإسلام عند أمير عسير محمد الإدريسي (١٣٤١هـ)، الذي ثار جده الإدريسي (١٢٥٣هـ) على الدولة العثمانية واستقل منها، وأسس دولة لم تعش إلا عشرين سنة، وتمكن من العامة بطريقة جده أحمد بن إدريس الصوفية، والتصوف أفيون الشعوب الجاهلية. ثم ارتحل إلى عدن ثم ارتحل إلى الهند وعُيِّنَ مصححًا للكتب الحديثية وغيرها في دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وعُيِّنَ أمينًا لمكتبة الحرم المكي، وتوفي سنة (١٣٨٦هـ). ترجمته في مقدمة كتابه التنكيل ٩ ـ ١٤، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٢، والمستدرك على معجم المؤلفين لرضا كحالة ٣٦٦.

٢ ـ وشيخنا الألباني في مواضع من كتبه، وفي تحقيقه للتنكيل ضد الكوثري فقتله تقتيلًا[١]، وهو الكتاب الجليل، والصارم الصقيل، والسيف المهند على الزيف المفند، فقد قضى على الأستاذ الكوثري، وأباد تأنيبه الثرثري، كما بدَّد ظلامه المخيم بفناء نونية ابن القيم، «فلم يستطيعوا له فلة رواية ولا دراية في أكثر من عشرين سنة، مع غاية عدائهم إياهم»[٢] وقد ظهر الكتاب في حياة الكوثري فاندهش له، وجُعل جذعًا في عينيه.

ولشيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ ردود كثيرة على هذا الرجل الطعان اللعان للأئمة، موزعة في كتبه، لو جُمِعَتْ لكانت في مجلد ضخم[٣].

٣ ـ والشيخ الفاضل، مثوى السلفيين، ومأوى أهل السنة وأصحاب الحديث، الذي وقف أمواله لنشر العقيدة السلفية ومناصرة أصحابها، والذي كان صاعقة على أهل البدع بأصنافهم الشيخ[٤]

---

(١) وقد قامت بطبعه الثالثة محققة دار الإفتاء السعودية التي يرأسها الوالد العزيز عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وجعله وقفًا لله يوزع على طلبة العلم.

(٢) اقتباس من كلام البنوري في مدحه للكوثري وكتابه الظلام المخيم على نونية ابن القيم في تقريظه على مقالات الكوثري المطبوع مع المقالات ص: (ز).

(٣) على سبيل المثال مقدمته لكتاب شرح الطحاوية ٣٢ ـ ٣٣، ٤٤ ـ ٤٩، والسلسلة الصحيحة ١/ ١٢ ـ ٢٣ رقم الحديث ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤) هو الشيخ الفاضل محمد بن حسين بن عمر، عالم جدة، مولده ومدفنه بها ووفاته بالطائف، نشر كثيرًا من الكتب السلفية، ومنها طباعة «التنكيل» على نفقته، وكان مرجعًا للباحثين، لم يعرف في الحجاز رجل يساويه في الكرم وحسن الخلق، كتب عنه أمين الريحاني والشيخ محمد رشيد رضا، وخلَّف مكتبة حافلة بالمخطوطات والمطبوعات. توفي سنة (١٣٩١هـ). ترجمته في الأعلام ٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨.

محمد نصيف (١٣٩١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، والد فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله نصيف، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، حفظه الله تعالى وإيانا وإياها، له مؤلَّف مستقل مطبوع بمصر أسماه: «الكوثري وتعليقاته». انظر: «التقريب لفقه ابن القيم»، لشيخنا بكر بن عبد الله أبو زيد.

٤ ـ والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة (١٣٩٢هـ)[١]، فله تعليقات على «القائد إلى تصحيح العقائد».

٥ ـ والشيخ فضيلة الأستاذ سليمان الصنيع، عضو مجلس الشورى بمكة المكرمة، ومدير مكتبة الحرم المكي[٢].

٦ ـ والشيخ العلامة محمد العربي التباني بن الحسين المغربي، المدرس بمدرسة الفلاح، والمسجد الحرام، بمكة المكرمة (١٣٩٠هـ)[٣]، شيخ علوي بن عباس المالكي، ومحمد أمين كتبي، وشريك الكوثري في كثير من آرائه، ومؤلف كتاب «براءة الأشعريين».

٧ ـ والشيخ حسام الدين القدسي[٤]، صاحب مكتبة القدسي،

(١) كان من كبار علماء مصر، نزل مكة المكرمة وكان مدرِّسًا بالحرم المكي وإمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي صاحب مؤلفات مطبوعة منها «ظلمات أبي رية» توفي بمكة (١٣٩٢)، ترجمته في الأعلام ٦/ ٢٠٣.

(٢) فقد كذبه في قصة طويلة بقوله: «والذي يظهر لي أن الرجل يرتجل الكذب ويغالط». انظر طليعة التنكيل ١/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) فقد ألف كتابه «تنبيه الباحث الثري إلى ما في رسائل وتعاليق الكوثري»، مطبوع في مطبعة مصطفى البالي الحلبي بمصر سنة ١٢٦٧هـ.

(٤) ترجمته في تشنيف الأسماع ٣٧١ ـ ٣٧٥.

بمصر، وناشر «الضوء اللامع»، «ومجمع الزوائد»، وكان تلميذًا بارًّا للكوثري، وصديقًا حميمًا له[1]، ولكن لم يلبث إلا ظهر له من خياناته العلمية ودجله، فتمالأ عليه وأوقف تعليقاته على كتاب «الانتقاء» لابن عبد البر[2].

٨ ـ وصديقه وشريكه في الخرافات القبورية[3]، العلامة فضيلة الشيخ أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (١٣٨٠هـ)[4]، فقد تصدى للرد عليه في قطعة (أي رسالة)[5].

وقال أخوه عبد الله الغماري: «فكتب شقيقنا ردًا عليه جمع فيه سقطاته العلمية وتناقضاته التي منشأها تعصُّبه البغيض»[6]، وهو الذي لقبه: مجنون أبي حنيفة[7].

---

(١) انظر الإمام الكوثري، لأحمد خيري، المطبوع مع مقالات الكوثري ٧١.

(٢) انظر مقدمة القدسي للكتاب الانتقاء ٣ ـ ٤.

(٣) قال شيخنا بكر بن عبد الله: «هو شديد الخصومة لابن تيمية وابن القيم ومن نحا نحوهما من علماء السلف». التقريب لفقه ابن القيم ١/ ٣١، حاشية رقم ٢. وقال شيخنا الألباني: «إنه يدعو للاجتهاد ولكنه للانتصار للأهواء وأهلها، وهو خلفي صوفي، يحارب أهل التوحيد، ينتصر للمبتدعة، كما يفعل مجتهدو الشيعة تمامًا، وحسبك برهانًا على ذلك كتابه: إحياء القبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور». تحذير الساجد ٨٠ ـ ٨١.

(٤) انظر ترجمته وبيان مكانته ومؤلفاته وتفوّقه في العلوم، ولا سيما في الحديث وعلومه، في: تشنيف الأسماع، لأبي سليمان محمود سعيد بن ممدوح الشافعي ٧١ ـ ٨٥.

(٥) المصدر المذكور ٢١٦.

(٦) انظر: بدع التفاسير ١٨١.

(٧) انظر: بدع التفاسير ١٨٠.

٩ ـ وصديقه الآخر، وشقيق الغماري المذكور، العلامة عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري[١]، وهو من شيوخ أبي غدة ومحمد عوامة[٢]، فقد كشف عن مخازي هذا الرجل، مع صداقته معه، وولائه في كثير من البدع والخرافات[٣].

١٠ ـ وفضيلة العلامة محب الدين الخطيب، في كتابه: صفعات البرهان على صفحات العدوان، طبع المكتبة السلفية، بمصر[٤].

١١ ـ والشيخ أبو سليمان محمود سعيد بن ممدوح الشافعي، تلميذ أبي غدة ومحمد عوامه[٥].

فقد بالغ في كشف مخازي هذا الرجل، بعد أن ترجم له ترجمة

---

(١) قال شيخنا بكر أبو زيد: «عالم مشتغل بالحديث، ومؤلف مكثر، له ما يزيد عن أربعين كتابًا، جلها رسائل، له رسالة في جواز بناء القباب والمساجد على المقابر، مفوِّض في باب الأسماء والصفات»، التقريب لفقه ابن القيم ١/ ٣١ حاشية رقم (١).

قلت: قد ترجم لنفسه في كتابه: بدع التفاسير ١٦٣ ـ ١٨٧، وتشنيف الأسماع، لأبي سليمان ٣٤٦ ـ ٣٥٥، وقد ألف رسالة: إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء، فتصدى له شيخنا حماد الأنصاري المدني، رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية، فألف: تحفة القاري في الرد على الغماري، أجاد فيها وأفاد، وقصف رسالته قصفًا، ونسفها نسفًا، فجعلها شذر مذر.

(٢) كما في تشنيف الأسماع ٣٥٠ ـ ٣٥١، حيث صرَّحا بذلك ووصفاه بأوصاف جميلة وألقاب غالية.

(٣) انظر: بدع التفاسير ١٨٠ ـ ١٨١.

(٤) على ما ذكره شيخنا بكر أبو زيد، انظر: التقريب لفقه ابن القيم ١/ ٣٢ حاشية رقم (٣).

(٥) كما صرح بذلك في كتابه: تشنيف الأسماع ٣٥٠ ـ ٣٥١.

طويلة، وكفى بذلك عبرة[١].

١٢ ـ والشيخ احمد عصام الكاتب، مؤلف: عقيدة التوحيد في فتح الباري، له رد على الكوثري ورد كيده في نحره، وموقفه الخطير من مؤلفات السلف في العقيدة السلفية[٢].

١٣ ـ وشيخنا بكر بن عبد الله أبو زيد، فهو مُكرٌّ مقبلٌ فتاكٌ على الكوثري على وجازة عبارته، وبلاغة إشارته؛ بل لشيخنا كتاب أقطع من الصارم المنكي، وأمضى من المبرد المنكي، على عنق الكوثري وفرخه أبي غدة الكوثري، بعنوان: براءة أهل السنة[٣].

١٤ ـ والدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، حيث نفى اتهام السبكي والكوثري وبهتهما عن ساحة الإمام ابن القيم رحمه الله[٤].

١٥ ـ شيخنا سماحة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، رئيس الدراسات العليا، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، والأمين العام للجامعة الإسلامية، فقد ذكر جوانب من تعصب الكوثري وسبابه لأئمة الإسلام وعداوته للعقيدة السلفية فأجاد وأفاد، كما وجه النصيحة لأمثال أبي غدة وغيرهم، نصيحة لله ولكتابه[٥].

---

(١) انظر: المصدر المذكور ٢٠٩ ـ ٢١٦.

(٢) مقدمته لكتاب: الاعتقاد، للبيهقي ١٦ ـ ١٩.

(٣) انظر: التقريب لفقه ابن القيم ١/ ٣٠ ـ ٣٤.

(٤) ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراءه في الفقه والعقائد والتصوف، رسالة الماجستير ص: ٣٥٣، على ما قاله شيخنا الدكتور على ناصر الفقيهي في مقدمته لكتاب: الصواعق المنزلة، لابن القيم ٢٥ ـ ٢٦.

(٥) انظر مقدمة تحقيقه لكتاب: الصواعق المنزلة لابن القيم ٢١ ـ ٢٨.

١٦ ـ فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، فقد كتب حول الكوثري كلمة قد ذبحه بها من قفاه[(١)]، وقد جازاه جزاء موافقًا بجريمته التي ارتكبها حول كتاب السنة للإمام ابن الإمام عبد الله ابن أحمد ﷺ، حيث اتهمه بالزيغ والوثنية والتجسيم، وغيرها من السباب والشتائم واللعان والطعون التي يستحقها الكوثري، وساحة الأئمة عنها بريئة، وهكذا كان معاملته مع الإمام الدارمي، صاحب النقض على بشر المريسي الجهمي، والإمام ابن خزيمة، صاحب كتاب التوحيد، فقد قال عن الأول: إنه عابد بقر، ومتَّبع المجوس، ومجسِّم! وعن الثاني: إن كتابه كتاب الشرك[(٢)]!!

---

(١) انظر مقدمة تحقيقه لكتاب: السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد ﷺ، وتحقيق هذا الكتاب رسالة علمية، نال بها محققه الشهادة العالمية العلمية الدكتوراه بتقدير ممتاز، حيث نوقش ليلة الأحد ١٤٠٥/٨/٢٣هـ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من كبار العلماء البارزين المعروفين: ١ ـ الأستاذ الدكتور بركات دويدار مشرفًا، ٢ ـ فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضوًا، ٣ ـ الأستاذ الدكتور محمود خفاجي عضوًا، وقد طبع الكتاب محققًا بحمد الله تعالى من دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، جزاهم الله خير الجزاء.

(٢) انظر: مقالات الكوثري ٣٠١ ـ ٣٠٧ مقالة بعنوان: تحذير الأمة من دعاة الوثنية، ٣١٥ ـ ٣٢٣ مقالة بعنوان: فتن المجسمة وصنوف مخازيهم، ٣٢٤ ـ ٣٣٢ مقالة بعنوان: كتاب يسمى كتاب السنة وهو كتاب الزيغ. ويا ليت لو ظهر كتاب السنة في هذه الحلل السندسية الجميلة في حياة الكوثري والبنوري، ولعل هذا الكتاب ينبه شركاء الكوثري أمثال أبي غدة عن غفلتهم وغفوتهم وهفوتهم، تائبين إلى الله توبة نصوحًا، وإلا يكون جزعًا في أعينهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

١٧ ـ الشيخ محمد السليماني، فقد نقد الكوثري وأثبت مغالطته في تحريف كلام الجويني ونبزه إياهم بالحشوية، كما ذكر أنه ظالم لأهل الحديث بَهَّات لهم[١].

١٨ ـ والشيخ ابو اسحاق الحويني الاثري، فقد أجاد في الكشف عن مخازيه وتناقضه وأفاد. انظر فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب، لابن بدر الموصلي الحنفي ٩، ١٣.

١٩ ـ والدكتور علي سليمان المهنا، فقد قطع أوداج الكوثري بإثبات إمامة الإمام أحمد في ثمان خصال، منها: إمامته في الفقه، وإمامته في اللغة. انظر مقدمة تحقيقه لكتاب: مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ٢٦ ـ ٣٠، ١٦٤.

٢٠ ـ الشيخ محمد ناصر العجمي له كلمة قصيرة عن الكوثري، في مقدمته لرسالة الذهبي: زغل العلم ١٩.

(١) انظر: دراسة قانون التأويل، لأبي بكر بن العربي ٣٥٩.

ذكر نصوص بعض النقاد في الرد على الكوثري وشهادة أصدقائه وتلاميذه على خياناته ودجله

أ ـ قال صديقه الحميم، وتلميذه البار، حسام الدين القدسي لما انكشف له دجله وتلبيسه وخيانته: «وقد كان الشيخ محمد زاهد الكوثري يصحِّح الكتاب ويعلق عليه، ثم أوقفتُ ذلك في الصفحة: (٨٨) لمَّا اطلعتُ عليه من دخلة في علمه وعمله، دفعتني إلى النظر في تعليقاته على النزر من مطبوعاتي بغير العين التي كانت لا تأخذ منه إلا عالمًا مخلصًا، فرأيته في بعضها باحثًا بمادة واسعة، وتوجيه لم يسبق إليه، وهو شطر السبب في إعجابي به، بما تأتى إليه من عدم النفاذ إلى أغراضه، وفي بعضها يحاول الارتجال في التاريخ تعصبًا واجتراء، والباقي تعليق ككل تعليق، وكلام ككل كلام.

وخيفة أن أشاركه في الإثم إذا أنا سكتُّ عن جهله بعد علمه؛ سقت هذه الكلمة الوجيزة، معلنًا براءتي مما كان من هذا القبيل».
ثم ضرب أمثلة لدجله وتناقضه وتعصبه، ثم قال: «وهو يشد من عصبيته في الأكثر لكل من يحسب أن يتصل بدم جركسي، سواء أكان حنفيًا أم غير حنفي، فيخلق لهم من المحاسن والدفاع ما لا يكون على تصديقه التاريخ، ويعلن بمساوئ غيرهم، ولو قيلت للنيل منهم والوقيعة فيهم». ثم ذكر أمثلة أخرى لتعليقاته ومقدماته التي طبعت

بدون إشارة إلى اسم الكوثري تمويهًا ودجلًا[١].

ب ـ آراء صديقيه الحميمين المعاصرين له والمشاركين له في بعض آرائه البدعية الخرافية؛ ألا وهما: **المحدث أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري**، وشقيقه **المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري**، واللفظ له، فيقول: «وكنا نعجب بالكوثري لعلمه وسعة اطلاعه وتواضعه، كما كنا نكره منه تعصبه الشديد للحنفية تعصبًا يفوق الزمخشري لمذهب الاعتزال، حتى كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض: هو مجنون أبي حنيفة!

ولما أهداني رسالته: إحقاق الحق في الرد على رسالة إمام الحرمين في ترجيح مذهب الشافعي، وقرأتها، وجدته غمز نسب الإمام الشافعي، ونقل عبارة عن زكريا الساجي في ذلك، فلمته على هذا الغمز، وقلت: إن الطعن في الأنساب ليس برد علمي. فقال لي: متعصب رد على متعصب[٢]! هذه عبارته، فاعترف بتعصبه.

وزرته مرة ببيته أنا والشريف الجليل السيد محمد الباقر الكتاني، وجرى الحديث بيننا في مسائل علمية، وجاء ذكر الحافظ ابن حجر، فأبدى السيد الباقر إعجابه بحفظه وبشرحه للبخاري، وأيدته في ذلك، فقلل من قيمة شرحه المذكور، وقال: كان يعتمد على الأطراف في جمعه لطرق الحديث! وهذا غير صحيح.

---

(١) انظر مقدمة الشيخ حسام الدين القدسي، لكتاب: الانتقاء، لابن عبد البر ٣ ـ ٤.

(٢) المتعصب الأول: هو الكوثري، والثاني: إمام الحرمين، باعتراف الكوثري، وشهادة صديقه الغماري.

وذكر أنه ـ أي: الحافظ ابن حجر ـ كان يتتبع النساء في الطريق(١)، ويتغزل فيهن، وأنه تبع امرأة ظنها جميلة حتى وصلت إلى بيتها وهو يمشي خلفها، وكشفت له البرقع، فإذا هي سوداء دميمة، فرجع خائبًا!!!

وأكبر من هذا؛ أن الكوثري رمى أنس بن مالك ﷺ بالخرف، لأنه روى حديثًا يخالف مذهب أبي حنيفة!!

وأقبح من هذا أنه حاول تصحيح حديث موضوع، لأنه قد يفيد البشارة بأبي حنيفة، وهو حديث: (لو كان العلم بالثريا، لتناوله رجال من فارس)(٢)، فإن الحديث في «الصحيحين» بلفظ:

---

(١) قلت: وهكذا اتهم الحافظ الخطيب البغدادي بفوات الصلاة، واختلاء وعشق الصبيان والمردان، وكاد أن يتهمه باللواط. انظر تأنيب الكوثري ١٩ ـ ٢٠.

(٢) رواه أحمد ٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ عن أبي هريرة، وذكر شيخنا الألباني: رواه الشيرازي في الألقاب عن قيس بن سعد. انظر: ضعيف الجامع الصغير ٥/ ٤٧، وحكم به بالضعف، انظر: السلسلة الضعيفة رقم الحديث: (٢٠٥٤) وضعيف الجامع الصغير ٥/ ٨، والسلسلة الصحيحة ٣/ ١٤، وقال: «وعزاه الشيخ علي القاري في رسالته: تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية (ق ١٥٧/ ٢) مجموع المكتب) للشيخين من حديث أبي هريرة، وذلك من أوهامه، رحمه الله وإنما أخرجاه بلفظ: (الإيمان)، مكان: (العلم)، وهو في الصحيح برقم ٥١٥٦، ٥١٥٧». انظر ضعيف الجامع الصغير ٣/ ٤٨. قلت: والحديث رواه أيضًا أبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٤، وتاريخ أصبهان ١/ ٤، ورمز له السيوطي بالضعف، وأقره المناوي، انظر: الجامع الصغير مع شرحه فيض القدير ٥/ ٣٢٣، وذكره الهيثمي فقال: «هو في الصحيح غير قوله: (العلم)، رواه أحمد، وفيه شهر بن حوشب، وثقه أحمد، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد ١٠/ ٦٤. وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» شرح المسند ١٥/ ٩٥، وقد ذكره الحافظ في التقريب (٢٦٩): «شهر بن حوشب صدوق، كثير الإرسال والأوهام، من =

(الإيمان)[1] والنبي ﷺ لما قاله وضع يده على كتف سلمان رضي الله عنه، فغير بعض الوضاعين[2] لفظ الإيمان بالعلم، كما بيَّنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض في المثنوني والبتار، وقال: لو فرض صحته لم يكن فيه إشارة إلى أبي حنيفة، ولكن إلى حفاظ الحديث الذين خرجوا من فارس، مثل: أبي الشيخ[3] وأبي نعيم[4]، لأن العلم في عُرْفِ الشرع يراد به الكتاب والسنة لا الرأي والقياس، فتعرض له الكوثري في تأنيب الخطيب[5]، ورد عليه بعبارة فيها جفاء، فكتب شقيقنا ردًّا عليه جمع في سقطاته العلمية وتناقضاته التي منشأها تعصبه البغيض، وقسى عليه بعض القسوة....»[6].

ت ـ وقال الشيخ العلامة محمد العربي التباني، شيخ علوي بن

الثالثة، مات سنة اثنتي عشرة بخ م ٤». وهذا كله يدل على أن هذا الحديث ليس بموضوع، كما ادعى هذان الحافظان الغماريان، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) رواه البخاري في التفسير، سورة الجمعة ١٨٥٨/٤، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضل فارس ١٩٧٢/٤.

(٢) هذا تهور محض من هذين الحافظين الغماريين، صديقي الكوثري، والشاهدين عليه، فإن الحديث ليس في إسناده وضّاع.

(٣) أبو الشيخ عند الكوثري: «مائل إلى التجسيم، وساقط عن الاحتجاج بقوله مثل أبي نعيم والخطيب، لأن فاقد الشيء لا يعطي»، التأنيب ١٠٢، ٣٠٣، ٣٣٤.

(٤) أبو نعيم والبيهقي تعمدا ذكر رحلة مكشوفة فلا يوثق به وأمثاله، لأن فاقد الشيء لا يعطي، وأبو نعيم متعصب شديد متكلم فيه على تعصبه، صاحب تخليط فاحش! كل هذا عند الكوثري، انظر التأنيب ١٦، ٢٧، ٢٨، ١٤٦، ١٩٨، ٣٠٣، ٣٢٧.

(٥) قلت: لم أهتد إلى هذا في تأنيب الكوثري.

(٦) بدع التفاسير ١٨٠ ـ ١٨١ الحاشية.

عباس المالكي، ومحمد أمين كتبي، ومؤلف: براءة الأشعريين، بعد ذكره مطالعة كتب الكوثري: التأنيب، وإحقاق الحق، وبلوغ الأماني، ومقدمته لنصب الراية: «فوجدت الغاية التي يرمي إليها في رسائله الأربع واحدة، هي التعصب للإمام أبي حنيفة وأتباعه، ومن لازم ذلك عند حضرته الغض من أئمة الإسلام وعلمائه... تناول فيه الشافعية وغيرهم... بل ترقى إلى الطعن في نسب الشافعي، وفي مذهبه، وفي أعيان أتباعه، من محدثين وفقهاء، وفي غيرهم، ويرى دعائم ترجمة محمد بن الحسن أقيمت على التصريح بغباوة مالك وتصغير مذهبه، ولمز كبار أصحابه، والمبالغة في رفع مقام محمد بن الحسن على جميع الأئمة المصنفين والمتبوعين بأساليب من التمويهات، وإذا نظر المُطَالِعُ إلى مقدمة «نصب الراية» يجده أفرغ أقصى جهده وتعصبه في موضوعها الذي هو مناقب فقهاء الكوفة، وخاصة النعمان بن ثابت رحمهم الله تعالى، فصرحها لم يرفع إلا على دعائم التحقير لمذهب الإمامين مالك والشافعي وأتباعهما إلى أقصى درجة مزرية؛ بل ترقى فيها عن هؤلاء، فجاء بالدهيم المعضل، تناول سادات التابعين من علماء الحجاز، طاوسًا ومجاهدًا ونافعًا وربيعة شيخي مالك وقتادة بن دعامة البصري... ليرفع بذلك من شأن الإمام أبي حنيفة ومشايخه وعقبها، بقائمة لحفظ أتباعه، أدرج فيهم الإمام ليث بن سعد المصري تعصبًا[1] وحشر فيها من

(١) بل أدرج فيهم من الأئمة: ابن المبارك، ووكيعًا، ويحيى بن سعيد القطان، وأسد بن الفرات، وفضل بن دكين، وعلي بن الجعد ويحيى بن معين، وأبو يعلى الموصلي وغيرهم باعتبارهم أنهم حنفية مثل الكوثري، وانظر كشف النقاب عن دجل الكوثري حول وكيع، مقدمة تحفة الأحوذي ٢٣٦ الطبعة =

ليس من أهل الرواية فضلًا عن كونه حافظًا، ومع هذا كله ختمها بقائمة أخرى تحت: (كلمة في كتب الجرح والتعديل)[1] غمز فيها جماعة من أئمة الحديث، أجلهم عبد الرحمٰن بن مهدي، وشيخ حفاظ الأمة محمد بن إسماعيل البخاري. . . والتعصب لها [أي: للفروع التي ذكرها] حزب من الجنون. . . فوجدت ناشره [أي: كتاب الانتقاء] المقدسي كتب في أوله كلمة عن الكوثري، خلاصتها: أنه لا يؤمن على العلم، وأنه متعصب لكل دم جركسي، وذكر لذلك أمثلة. . . لما انكشف له حقيقته، ولقد كان مفتوحًا أمامه أبواب كثيرة من نواحي الإصلاح، تغنيه عن التكلم في الماضين، يجب أن تستخدم فيها الأقلام. . .»[2].

الهندية، و١/٤٧٨ الطبعة اللبنانية، وحول يحيى بن معين: تاريخ يحيى بن معين، مقدمة التحقيق ١/ ٣١ ـ ٣٤، وانظر: حقيقة حنفية يحيى بن سعيد القطان، في مقدمة تحفة الأحوذي، بعد ترجمة وكيع ٢٣٧، الهندية، ٢٨٤ اللبنانية، وأما حنفية عبد الله بن المبارك فانظر: سنن الترمذي ٢/ ٢٦، ٣٨، ١٢٢، ٢٢٣، ومناظرة ابن المبارك أبا حنيفة مزاحًا وإفحامه أبا حنيفة معروفة حتى باعتراف الكوثري، انظر: تأنيب الكوثري ١٢٢، والتنكيل ١/ ٢٤٣، كما أنه ذكر بعض الكذابين والضعفاء والجهمية والمريسية، أمثال الحارثي، وابن شجاع الثلجي، تلميذ المريسي، راجع نقض الدارمي ١٤٣، ١٤٤، ١٥٦، وراجع ترجمة محمد بن شجاع هذا في: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٧ ـ ٥٧٩ لترى عجائب وأساطير من كذبه وخرافاته وعداوته مع الإمام أحمد.

(١) ومقالته هذه من أخطر مقالاته، حاول الكوثري كعادته رفع الاعتماد عن كتب الجرح والتعديل، وغمز النقاد ولمزهم ونبذهم ونبزهم بكل سوء، ثم العجب من مجنون آخر حيث حقق هذه المقدمة بما فيها من الانحرافات بعنوان: فقه أهل العراق، وأيد شيخه الكوثري في كل ما يقول، فزاد الطين بلة، فاتسع الخرق، وازداد الضلال.

(٢) تنبيه الباحث السري إلى ما في مسائل وتعاليق الكوثري ٢ ـ ٣.

ث ـ وقال الشيخ أبو سليمان محمود سعيد بن ممدوح، تلميذ الحافظين الغماريين، وأبي غدة الكوثري، ومحمد عوامة، ومؤلف: تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، بعدما ترجم للكوثري ترجمة واسعة حافلة: «كلمة عن كتب الشيخ محمد زاهد الكوثري: الناظر في كتب فضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ يرى فيها تعصُّبًا وتهجمًا وثلبًا يتضايق منه كل منصف مريد للحق أبعده الله عن الهوس والعصبية، فهو متعصِّب للإمام أبي حنيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ بشتى الطرق والوسائل التي لا تليق بأصحاب هذا الإمام، ومتهجِّم على علماء الأمة من فقهاء ومحدثين ومفسرين من غير حجة أو برهان، يتبع في ذلك تمويهات وتشكيكات، ويتبع الظنون، فتراه يتناقض ويخالف القواعد، فإذا نظرت في كتبه رأيته... على أمثال مسعود بن شيبة السندي[1] المجهول، ويسميه شيخ الإسلام[2]،

(١) ذكره القرشي وتبعه ابن قطلوبغا بدون جرح ولا تعديل مقتصرين بقولهما: «الملقب بشيخ الإسلام، له كتاب... وطبقات أصحابنا». الجواهر المضية ١/٤٦٩، وتاج التراجم ٧٧، وانظر الطبقات السنية للتميمي برقم ٢٤٨١، ولم أجده في الفوائد البهية ونزهة الخواطر، ورجال السند والهند، ومهما يكن هو لاشك أنه متعصب كذاب.

(٢) أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرميه بالكفر، والوثنية، واليهودية، والتجسيم، والضلال، والإضلال، والبدع، ومخالفة الإجماع، والإلحاد، والخطة المدبرة في كتاباته المسمومة المتفرقة، ويقول: «إن كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الإسلام؛ فعلى الإسلام سلام»، الإشفاق ٨٩. هذا وقد أطلق تلميذه البار أبو غدة الكوثري هذا اللقب: (شيخ الإسلام) على ابن تيمية في تعليقاته على الأجوبة الفاضلة ٩٢، كما أطلق عليه: (الشيخ الإمام الحافظ شيخ الإسلام)، في آخر تحقيقه لكتاب: الموقظة، للذهبي ١٤٧، على سبيل خرق العادة، فلا ندري هل الحق أراد ورام، أم رمية من غير رام، أم عمل =

وعبد الله بن محمد بن أبي العوام[1][2] الذي لا يعرف، ويسميه بالحافظ[3]، وعلى أصبغ بن خليل القرطبي الكذاب[4]، وسبط

بالمثل السائر كالطائر: (دارهم ما كنت في دارهم، وأرضهم ما كنت في أرضهم)؟! والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(١) لطيفة غريبة، أو أعجوبة عجيبة: ذكره الكوثري في قائمة كبار أئمة الحنفية وحفاظهم، فقال: «الحافظ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبي العوام السعدي (٣٣٥هـ)، له ذكر في طبقات الذهبي في ترجمة النسائي». فقه أهل العراق ٦٧، ومقدمة نصب الراية ٤٤. ولكنك أيها القارئ إذا رجعت إلى طبقات الحفاظ للذهبي ٢/ ٧٠٠ تجد ابن أبي العوام هذا يروي عن النسائي عن إسحاق عن ابن أعين، قال: قلت لابن المبارك: «إن فلانًا يقول: من زعم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] مخلوق فهو كافر، فقال: صدق»، فإذًا صار الكوثري كافرًا بفتوى ابن المبارك، ورواية ابن أبي العوام هذا، لأن الكوثري يرى القرآن العربي مخلوقًا.

(٢) المعروف بابن العوام ثلاثة: الجد والوالد وما ولد، فالجد عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث بن أبي العوام، ذكره القرشي مقتصرًا على اسمه فقط، انظر: الجواهر المضية ١/ ٢٨٢، ٢/ ٣٢٧، ٤/ ٥٠٠، وأما الوالد فهو محمد بن عبد الله بن أحمد بن يحيى بن أبي العوام، لم أجد له ذكرًا أصلًا. وأما ما ولد فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى بن الحارث أبو العباس، عرف بابن أبي العوام السعدي (٤١٨هـ)، ترجمته في الجواهر ١/ ٢٨٢، هذا هو ابن أبي العوام المجهول المطلق، الذي لا يعرف، ومع هذا كله ترى الكوثري يوثقه، ويجعله من الأثبات، وفي مرتبة الإمام ابن عبد البر. انظر: التأنيب ٩٧، ٩٨، ١٧٨.

(٣) قلت: لا بد للكوثري وأمثاله أن يسموا هؤلاء شيوخ الإسلام، والحفاظ، والنقاد، والأئمة، حتى تنفق سلعته وبضاعته المزجاة وترهاته وتمويهاته لرفع الاعتماد عن السنن وأهله، ليرفع بذلك الحنفية ظلمًا وعدوانًا، والله حسيبه.

(٤) قلت: ولم لا يعتمد أمثال الكوثري على أمثال أصبغ بن خليل هذا، ومن هو على شاكلته، وشريك للكوثري في ارتكاب الجرائم وافتعال الأساطير؟ كيف لا وأصبغ بن خليل القرطبي هو الذي يقول: «لأن يكون في تابوتي رأس

ابن الجوزي[1] الذي يقول فيه الذهبي: «ألَّف مرآة الزمان، فتراه يأتي

= خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة». وقال ابن عبد البر ـ الذي يعتمد عليه وعلى انتقائه الكوثري ـ: «كان معاديًا للآثار، شديد التعصب لرأي مالك وأصحابه ولابن القاسم من بينهم»، وقال القاضي عياض: «وبلغ به التعصب فيما قاله ابن الفرضي وغيره أنه افتعل حديثًا في رفع اليدين في الصلاة... وحدث أيضًا بحديث آخر في إسناد القرآن،... لكن الكذب في العلم أي نوع كان مبطل لصاحبه مسقط له بشهادة الزور،... وكان يعادي أهل الأثر، وكان قاسم [ابن أصبغ] يدعوا عليه ويقول: هو الذي حرمني أن أسمع من بقي بن مخلد ونهى أبي أن يحملني إليه». انظر جميع هذا في ترتيب المدارك ٤/٢٥١ ـ ٢٥٢، والميزان ١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠، واللسان ١/٤٥٨ ـ ٤٥٩. ولم لا يعتمد على أمثال ابن شجاع الثلجي المريسي الذي يقول: القرآن مخلوق كسماء الله، وأرض الله، ويوصي أن لا يعطى ثلثه إلا من قال ذلك، ويقول: عند أحمد كتب الزنادقة، وإيش قام به أحمد! ويقول: أصحاب أحمد يحتاجون أن يذبحوا، ومن الشافعي؟ إنما كان بربرًا المغني، كما أنه وضع حديثًا في خلق النفس. انظر: الميزان ٣/٥٧٧ ـ ٥٧٨. ومع ذلك كله ترى الكوثري يذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية، ويلقبه ألقابًا عظيمة، وقال في إجلال الثلجي هذا وإكباره: «إنه كان شجى في حلوق المشبهة، وجذعًا في أعينهم، بما ألفه في الرد عليهم، وبإقامته النكير عليهم، لروايتهم أمثال هذه السخافات»، تعليق على تبيين كذب المفتري ٣٧٠. وكيف لا يعتمد على أمثال حفيد الإمام أبي حنيفة إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة المعتزلي المجاهر، عدو أهل السنة، مسعر نار الفتنة، الكذاب، الذي كذب على أبيه وجده، انظر: الجواهر ١/٤٠١، والطبقات السنية ٢/١٨٦، والفوائد البهية ٤٦، والانتقاء ١٦٦، واللسان ١/٣٩٩. ومع هذا ترى الكوثري يجله، ويقرر فيه: «ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم منه»، انظر: تأنيب الكوثري ٢٤٣ ـ ٢٤٤، ويصب كل زندقة وزيغ ولعن وطعن على عبد الله ابن الإمام أحمد، ويقول: إنه لم يسر سير أبيه. فهل سار إسماعيل هذا سير الإمام أبي حنيفة؟

(١) هو يوسف بن قُزغلي الواعظ، المؤرخ، الكذاب، المجازف، المشهور =

فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة فيما ينقله؛ بل يجنف ويجازف» اهـ[1]. يعتمد عليهم في ثلب الأئمة والوصول لأغراضه، طارحًا خلفه الثقات العدول من المحدِّثين المؤرِّخين، كأبي يحيى الساجي[2]، وأبي بكر البيهقي[3]، وعبد الرحمٰن بن أبي حاتم

= بالرفض، الذي كان حنبليًّا، ثم تحنَّفَ لأجل الملك المعظَّم عيسى، ثم صار رافضيًّا، وكان بارعًا في الوعظ، مدرسًا للحنفية، معظمًا للإمام أحمد. انظر: الميزان ٤/ ٤٧١، واللسان ٦/ ٣٢٨، فقد باع دينه بعرض من الدنيا، ولنعم ما قيل في أمثاله:

ألا مبلِّغ عني الوجيه رسالة … وإن كان لا تُجدي إليه الرسائل
تمذهبتَ للنعمان بعد ابن حنبل … وذلك لمَّا أعوزتك المآكل
وبعد قليل أنت لا شك صائر … إلى مالك، فافهم لما أنا قائل

وكان يوسف هذا نشأ تحت كنف جده لأمه أبي الفرج ابن الجوزي، ولذا يقال له سبط ابن الجوزي، فلا بد لأمثال الكوثري أن يعتمد على أمثال هؤلاء الكذابين الروافض في اتهام الخطيب البغدادي؛ ذلك الثقة الثبت الذي عال المحدثون على كتبه بعده، بشهادة النحارير الجهابذة من أهل هذا الشأن، فيتَّهمه بفوات الصلاة، وحب المردان، والاختلاء بهم طول الليل! وكاد أن يتهمه باللواط!! انظر: تأنيب الكوثري ١٦ ـ ٢٠. كما حاول اتهام الحافظ ابن حجر بتتبع النساء في الطرقات، شأن الرعاع الفسقة الفجرة، هكذا يصوِّر المحدثين خيار هذه الأمة بعد الصحابة ﷺ في صورة الماجنين المارقين!

(١) انظر: الميزان ٤/ ٤٧١، واللسان ٦/ ٣٢٨.

(٢) الساجي عند الكوثري: شيخ المتعصبين، كذاب يفضح نفسه، وشيخ وقح مجهول، قليل الدين، يجمع بين شرب السُّكر وبين الفقه!! انظر: تأنيب الكوثري ٢٨، ٣٨، ١٨٥. ليس بمأمون، ولا ثقة، ولا موضع تعويل أصلًا، تعصبه البارد مما لا يطاق. فقه أهل العراق ٨٧.

(٣) البيهقي عند الكوثري يتعمَّد اختلاق رحلة مكثوفة كذب على علمه أنها باطلة لا أصل لها في الحقيقة، فهو يتعمَّد الكذب، فلا يقبل قوله، ولا يوثق به. انظر: تأنيب الكوثري ١٦، ٣٠٣.

الرازي[1]، وأبي نعيم الأصبهاني[2]، وأبي بكر الخطيب البغدادي[3]، والقاضي عياض، وابن حجر العسقلاني[4]، وغيرهم

---

(١) ابن أبي حاتم عند الكوثري متعصب، يغير المتن، ويغير تغييرًا خطأ على عمد، مسكين، أفسده حرب بن إسماعيل الكرماني في المعتقد، حتى أصبح ينطوي على العداء لمتكلّمي أهل الحق [يعني: الجهمية الحنفية الماتريدية والأشعرية الكلابية]، ذكر في كتابه الرد على الجهمية ما يدل على إصابته في عقله، فسبحان قاسم العقول! مباعد عن التفويض والتنزيه، فزلت قدمه! وهكذا التعصب يجعل النهار ليلًا، ولو كشفنا الستار عما ينطوي عليه من الاعتقاد الرديء الحامل له عداء أهل الحق [أهل الكلام الجهمية] لطال بنا الكلام من جهلة النقلة المتهورين في الإكفار. هذه خلاصة آراء الكوثري في التأنيب ٩٧، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨.

(٢) أبو نعيم عند الكوثري ساقط عن مرتبة الاحتجاج؛ لأن فاقد الشيء لا يعطي، وقد تعمد ذكر رحلة كاذبة مكشوفة مع علمه أنها باطلة، فلا يقبل توثيقه! ويسوق ما سمعه وما لم يسمعه في مساق واحد على تعصبه الشديد، متكلم فيه على تعصبه، يستبيح الإساءة بيد الإحسان، صاحب تخليط فاحش، وجرح ابن منده فيه لا يتغاضى عنه بهوى الذهبي. انظر تأنيب الكوثري ١٦، ٢٨، ١٤٦، ١٩٨، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٣٤.

(٣) أما الخطيب عند الكوثري فحدّث ولا حرج؛ فيتهمه بترك الصلاة، وحب المردان، والاختلاء بهم طول الليل، وكاد أن يتهمه باللواط، متعصب، الشاطح، الأثيم، المحرف المخرف، فاقد الحياء، بهات، شنيع البهت ظاهره، مجترأ مفتر، لعل الله طمس بصيرته ليفضحه، يعض بهنّ أبيه، قليل دينه وأمانته، يحتسي الخمر، من المنبوذين لظهور بالغ تعصبه ومتابعته لهواه، في عداد أبي نواس في هجر القول وسوء الفعل، ساقط من مقام الأمانة في تعصبه، وهكذا يفضح الله الكذابين!! انظر تأنيب الكوثري ١٦ ـ ٢٠، ١٢١، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٥، ١٧٦، ١٨٥، ٢١١، ٢٢٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٧٥، وغيرها.

(٤) يكفي أنه اتهمه بتتبُّع النساء في الطرقات، وأنه تبع امرأة ظنها جميلة حتى وصلت إلى باب بيتها وهو خلفها ماشٍ، فرفعت البرقع عن وجهها فإذا هي دميمة، فرجع خائبًا!!

من الحفاظ العدول؛ بل يطعن في هؤلاء المذكورين بكل ما يصل إليه، ولو من كذاب متعصّب خبيث، وقد أداه ذلك إلى الوقوع في أئمة الهدى. . . .

ثم ذكر من تناقضاته ومخازيه وقدحه في نسب الشافعي وعلمه، ثم يقول: «أما الإمام أحمد؛ فله نصيب وحظٌّ وافر من الهجوم، ويكفي أنه اتهمه بالخطأ في اللغة والنحو، وعدم الغوص في الفقه[1]! وفي هذا تناقض بالغ، فتجده يقبل قول الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة». ويرده في قوله: «خرجت من العراق فما تركت فيها أفقه ولا أعلم من أبي عبد الله أحمد بن حنبل». والمعروف أن الشافعي خرج من بغداد سنة ١٩٨هـ، وتوفي أحمد سنة ٢٤١هـ، وبمثل

(١) ومن شناعات الكوثري في إمام أهل السنة والجماعة ـ الذي يعرف منزلته كلُّ سني ومبتدع ـ ما يقول الكوثري: «من جهل شيئًا عاداه»! يريد أن أحمد وأصحابه «لم يفهموا الجامع الصغير ولا عرفوا ما فيه فضلًا عن سائر كتب الحنفية»، «وليس بقليل بين الفقهاء من يرضى تدوين أقوال أحمد في عداد الفقهاء باعتبار أنه محدِّث غير فقيه»، «وأنَّى يفسر الفقيه إبداء رأي مُتَّزِن في فقه الفقهاء»، «ومن تابع أحمد وذكره بكثرة الحديث فله ذلك ولكن كثرة الحديث بمجردها إذا لم تكن مقرونة بالتمحيص والغوص تكون قليلة الجدوى»، «كان قول أبي حنيفة أكثر نفعًا من ملء الأرض من مثلك [يعني الإمام أحمد]، هكذا يحصد الزوبعة من زرع الريح»، «وأما أحمد فدونك مسائل أبي داود وإسحاق بن منصور الكوسج وعبد الله بن أحمد؛ فيا ترى هل يمكنك أن تقرأ صفحة منها على صحة الأصول من غير أن تجابهك خطيئات في اللغة والنحو»!! بل يقدم الحسن بن زياد على أحمد في الفقه، ويقول: «لا يحب أبا حنيفة إلا سني ولا يبغضه إلا مبتدع». راجع بالترتيب صفحات تأنيب الكوثري ٢٠٦، ٢٦، ٨، ٢٠٩، ٤٠، ٢٧٣، ويتناسى أن علامة كون الرجل سنيًا ومبتدعًا حب أحمد وبغضه، كما أننا لا ننكر أن حب جميع الأئمة من الإيمان وعلامة كون الرجل سنيًّا.

هذه المغالطات تراه يلمز أئمة الهدى ومصابيح الإسلام، كسفيان الثوري[1]، والأوزاعي، وابن مهدي رحمهم الله، ثم يعلو عن هؤلاء ويرمي علماء بلاد الحجاز والشام ومصر باللحن في العربية...

ومن تعصُّبه: رد حديث الرضح الصحيح، بدعوى انفراد أنس بن مالك رضي الله عنه به «وأن أنسًا رواه بعد أن هرم[2]، وقد تفرد به»! وهذه

---

(١) يقول عن الثوري: «كان منحرفًا عن أبي حنيفة» يعني: فلا يقبل قوله، «وكان علي بن مهر يأتي بكتب أبي حنيفة إلى الثوري بطلب منه، ولما نهاه أبو حنيفة عن ذلك بدأ الثوري يحضر مجلس أبي حنيفة وهو يغطي رأسه»، التأنيب ١٣٤، ١٨٣. وجل اعتماده في ذلك على أمثال مسعود بن شيبة وابن أبي العوام من مجاهيل العوام، فلا يعتمد على أقوالهم في انتقاص الأئمة إلا من هو كالأنعام أو أضل سبيلًا.

(٢) يقول الكوثري في سبب إعراض أبي حنيفة عن أحاديث بعض الصحابة ـ كأبي هريرة وأنس وغيرهما ـ: «وليس هذا إلا تحريًا بالغًا في المرويات يدل على عقلية أبي حنيفة الجبارة المزيلة لكثير من شكوك المتشككين». الترحيب مع التأنيب ٣١١.

فإن قيل: ما السبب أن عقول جميع الأمة وعقليتهم الجبارة مجتمعة لم تكشف هذا السر في التحري في قبول بعض الأحاديث ورد بعضها بمثل هذه الدعاوي؟ فالجواب على ما يقول الكوثري: «وعقل أبي حنيفة ـ بشهادة خصومه ـ كان يوزن مع عقول أهل طبقته فيزنها». التأنيب ١٧٤. ثم لم يلبث الكوثري إلا فضح نفسه واعترف بأن عقلية أبي حنيفة الجبارة فشلت في بعض أبواب الفقه في كتابي الوقف والمزارعة، ولكن لا يمكن أن تكون عقلية أبي حنيفة الجبارة فاشلة أمام أحاديث أمثال أبي هريرة وأنس! فيقول: «بل نعترف بأن المجتهد قد يخطئ في التفريع، ولأبي حنيفة بعض أبواب في الفقه من هذا القبيل، ففي كتاب الوقف أخذ بقول شريح القاضي وجعله أصلًا ففرع عليه المسائل، فأصبحت فروع هذا الكتاب غير مقبولة حتى ردها صاحباه، وهكذا فعل في كتاب المزارعة حيث أخذ بقول إبراهيم النخعي وجعله أصلًا ففرع عليه الفروع..» التأنيب ٢٠٣، وانظر المقالات ٢٠١.

والله طامة كبرى[1]، أن ترى عالـمًا يرد حديث رسول الله ﷺ[2] لمخالفته قول أبي حنيفة بهذه الدعوى العجيبة، نسأل الله العفو والعافية والستر والأدب.

ج ـ ومع رده هذا الحديث الصحيح تراه يقول في الحديث الموضوع: (يكون في أمتي رجل اسمه النعمان، وكنيته أبو حنيفة، هو سراج أمتي ثلاثًا)، وفي بعض طرقه: (وسيكون في أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس، فتنته أضر على أمتي من إبليس)، [يعني: الإمام الشافعي]، يقول في التأنيب ص: ٣٠: «ذكر العيني تلك

(١) قلت: وفيما قاله الإمام الشاه ولي الله الدهلوي ـ إمام الحنفية، ولا سيما في الهند ـ عبرة لأمثال هؤلاء، فذكر أن قول ابن حزم: إن التقليد حرام؛ إنما يتم أربعة أصناف من المقلدين الجامدين العميان، فيقول: «وفيمن ظهر عليه ظهورًا بيِّنًا أن النبي ﷺ أمر بكذا ونهى عن كذا... فحينئذٍ لا سبب لمخالفة حديث النبي ﷺ إلا نفاق خفي أو حمق جلي، وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، حيث قال: ومن العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا، وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من شهد له الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم؛ جمودًا على تقليد إمامه؛ بل يتحيَّل لدفع ظاهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالًا عن مقلده...، كأنه نبي أرسل، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولي الألباب». حجة الله البالغة ١/ ١٥٥، والإنصاف بتحقيق أبي غدة وإقراره ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) وقال الشاه ولي الله ـ المذكور، وزعيم الحنفية ـ في أمثال هؤلاء المتعصبين النابذين للأحاديث الصحيحة المحكمة الصريحة: «فإن بلغنا حديث من الرسول المعصوم ـ الذي فرض الله علينا طاعته ـ بسند صالح يدل على خلاف مذهبه، وتركنا حديثه واتبعنا ذلك التخمين؛ فمن أظلم منا وما عذرنا يوم يقوم الناس لرب العالمين». حجة الله البالغة ١/ ١٥٦، والإنصاف بتحقيق أبي غدة وإقراره ١٠٢.

الطرق، ثم قال العيني: «فهذا الحديث ـ كما ترى ـ قد روي بطرق مختلفة، ومتون متباينة، ورواة متعددة عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فهذا يدل على أنه له أصل، وإن كان بعض المحدثين ـ بل أكثرهم ـ ينكرونه، وبعضهم يدَّعون أنه موضوع، وربما كان هذا من أثر التعصب[1]، ورواة الحديث أكثرهم علماء، وهم من خير الأمم[2]» اهـ، وهذا كذب موضوع بلا ريب...». ثم كشف عن كثير من مخازي الكوثري وأباطيله[3].

ح ـ وقال الشيخ أحمد عصام الكاتب ـ بعدما أيد منهج السلف، وأنه الأسلم والأحكم والأضمن، ودافع عنهم ورد على مخالفهم ـ:

---

(١) هذا من أوضح الحجج القاطعة على شدة تعصب هؤلاء للباطل، حتى للموضوع المكشوف، وتعصب الإمام بدر الدين العيني رحمه الله وضح وأشته، حتى بين أهل مذهبه، فاعترفوا بذلك، يقول العلامة عبد الحي اللكنوي: «ولو لم يكن فيه رائحة التعصب المذهبي لكان أجود وأجود». الفوائد البهية ٢٠٨، قلت: أهذه رائحة التعصب؟ كلا بل رياحٌ قواصف.

(٢) سبحان الله! واعجبًا لقوم يقولون: أهل الحديث ورواة الآثار علماء وخير الأمم، إذا كان الأمر في صالحهم، ولو في الموضوعات والنقولات المكذوبات المختلقات والأساطير المفتعلات المصنوعات، ولكن أهل الحديث إذا كان مروياتهم على خلاف آرائهم وأقيستهم وعقائدهم الكلامية الجهمية؛ فحينئذٍ يقول: أهل الحديث ورواة السنن وأصحاب الآثار مجسّمة، حشوية، وثنية، مغفلون، حمقى، كذابون، مختلقون، متهورون، زوائل، جامدون، لا يفقهون ما يقولون، جهلة، أغمار، كذبة، عباد الوثن والصنم، آخذون عن اليهود والنصارى والمجوس وعباد البقر، وجعلوا صنمهم الأرضي صنمًا سماويًا، كتبهم كتب شرك، في كتبهم أحاديث وضعتها الزنادقة والملاحدة بما فيها الصحيحان وغيرهما، قليل دينهم وعقلهم ودرايتهم...!! عاملهم الله بعدله.

(٣) تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع ٢٠٩ ـ ٢١٦.

«على أن بعض المتأخرين ـ وخاصة أصحاب مدرسة الرأي ـ تعرضوا لأهل الحديث وحملوا عليهم، وكان الأولى بهم أن لا يحملوا في صدورهم غلًّا لمن نقل لنا هذا الدين وفحص الأخبار. . .». ثم ذكر قدح الكوثري في كتب أئمة السلف في العقيدة، وعدوانه عليهم ظلمًا وعلوًّا: «أمثال مرويات حماد بن سلمة، وكتاب الاستقامة، لخشيش بن أصرم، وجميع الكتب التي تسمى: السنة؛ لعبد الله ابن الإمام أحمد، وللخلال، ولأبي الشيخ، وللعسال، وابن أبي عاصم، والطبراني، والجامع، ولحرب بن إسماعيل، والتوحيد؛ لابن خزيمة، وابن منده، والصفات للحكم الخزاعي، والنقض للدارمي، والشريعة للآجري، والإبانة؛ لأبي نصر السجزي المجسِّم، وابن بطة، وإبطال التأويلات لأبي يعلى، وذم الكلام، والفاروق؛ للهروي، وغيرها من الكتب، كلها تجد فيها ما ينبذه الشرع والعقل في آنٍ واحد، تجدها تحتوي على كثير من الأخبار التالفة، فأصبحوا مجلبة العار لطائفتهم، بَالِغُو الضرر لمن يسايرهم، فدونك مرويات حماد بن سلمة الذي تزوج نحو مائة امرأة من غير أن يولد له ولد منهن، وقد فعل هذا التزاوج والتناكح في الرجل فعله»!! إلى آخر ما ارتكبه الكوثري تجاه هؤلاء المحدِّثين، من تمويهات وتشكيكات ودجل وظلم وعدوان[1]! ثم قال الشيخ أحمد عصام الكاتب ردًّا لكيد الكوثري في نحره: «كان الأولى أن لا يخوض الشيخ الكوثري فيما خاض فيه، فليس من الأمانة في

(١) هذه خلاصة ما ارتكبه الكوثري، انظر نص كلامه في مقدمته لكتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، مقالة بعنوان: نظرة في كتاب الأسماء والصفات، ص: أ ـ ج.

النقل أن يذكر لحماد بن سلمة هذه المثالب، وهو على ما هو عليه من جلالة القدر عند علماء الحديث، وقد أخرج له مسلم في «صحيحه» عن ثابت [يعني: البناني] في الأصول، وعن غير ثابت في الشواهد، وسئل عنه الإمام أحمد، فقال: «هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل وأثبتهم فيه». وقال عنه ابن المبارك[1]: «ما رأيت أحدًا كان أشبه بمسالك الأُوَل من حماد». وقال ابن حبان: «لم ينصف من جانب حديث حماد واحتج بأبي بكر بن عياش، وعبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، وكان خزازًا، وكان من العبَّاد والمجابي الدعوة». وقال ابن المديني: «من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه»[2]. وانظر سائر ما قيل فيه في (الميزان ١/ ٥٩٠)،

(١) وهو حنفي عند الكوثري، معوَّل عليه في الجرح والتعديل، فماذا يصنع الكوثري الآن؟ فقول ابن المبارك قد قضى على الكوثري قضاءً كليًّا وهدم بنيانه.

(٢) قلت: قال يحيى بن معين ـ الحنفي المتعصب عند الكوثري، ومن كبار أئمة الحديث عندنا ـ: «حماد بن سلمة في أول أمره وآخر أمره واحد». تاريخ بن معين ٢/ ١٣١، ٤/ ٣٢١. وهذا يرد على ما قاله البيهقي وتبعه الكوثري وانظر التنكيل ١/ ٢٤٢، ولقد آمنا وصدقنا وأطعنا هؤلاء المحدِّثين، فاتهمنا الكوثري في دينه وعقيدته وديانته وأمانته، لأن الكوثري قد أسس بنيانه الذي بناه على شفا جرف هار الذي انهار بنيانه في النار؛ بحول الله القهار الجبار، ثم بنقد هؤلاء الأئمة الأطهار، فقد أكثر الكوثري الطعون في الإمام حماد بن سلمة ليقوي بها جهميته، ومن طعون الكوثري فيه ونبزه ونبذه في كتاب واحد فقط ألا وهو تأنيب الكوثري: «عليه أن يذكر مخازيه»، «وهو مشبِّه» ١٨٦، «يروي الطامات»، «المخازي»، «أداة صماء في أيدي الحشوية»، «وجب تعزيره»، «مبلغ سفهه»، «وبذائه» ١٨٩، «ليس ممن يفرق بين من يأخذ بالسنة وبين من يردها»، «وهو راوي تلك الطامات»، «فمثله يجب أن يسكت الناس عن تخليطه» ١٣٣!! ولكن الكوثري خالف الوجوب فلم يسكت عن تخليطه؛ بل

و(التهذيب ٣/ ١١)، وأما أنه تزوج نحو مائة امرأة؛ فهذا ليس مما يُجَرَّحُ به الرواة[1]، ويترك حديثهم من أجله، ولو تزوج بألف امرأة[2]، والذي وجدته في «الميزان» و«التهذيب» أنه تزوج بسبعين امرأة، ثم استنباط الكوثري أن هذا التزاوج أضعف حفظه وملكته، ليس على طريقة المحدثين[3]... وهذه الكتب تتضمن عقيدة أصحاب الحديث... فالطعن في هذه الكتب هكذا على إطلاقه هو بمثابة ضرب الصفح عن عقيدة أصحاب الحديث، أو على الأقل

= زاد فقال: «أدخل في كتبه ربيباه ما شاء من المخازي» يعني أحاديث الصفات ١٨٩، «وكان المسكين على براعته في العربية وصيته الطيب في مبدأ أمره ساءت سمعته وأصبح أداة صماء في أيدي الحشوية في آخر عمره» ١٨٩! الآن قد اعترف الكوثري ببراعة أهل الحديث في العربية! ثم يقول الكوثري: «من دافع عنه إما أن يكون جاهلًا بحاله أو زائغًا» ١٨٩، سبحان الله! فقد صار الإمام أحمد وابن معين وابن المديني وابن المبارك وغيرهم الذين دافعوا عنه إما جهلاء وإما زائغين، والكوثري عالم مستقيم!! راجع توسع تهم الكوثري وكذباته وطعونه حول إمام الأئمة حماد بن سلمة إلى التنكيل ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٥ فالمعلمي قد نكّل الكوثري تنكيلًا.

(١) بل هذه منقبة وليست مثلبة، ويدل هذا على أن حمادًا من فحول الرجال، وأمثلة هذا النوع من التخليط الفاحش وقلب الحقائق وجعل المنقبة مثلبة وجعل ما ليس بجرح جرحًا كثيرة عند الكوثري، انظر التنكيل الطليعة ٣٧ ـ ٤١.

(٢) ولعل الكوثري امتلأ صدره غضبًا وحقدًا على حماد بن سلمة لأجل كثرة أزواجه، لأن الكوثري لم يُوَفَّقْ إلا بزواج امرأة واحدة لم يرزق منها إلا ابنًا وثلاث بنات كلهم توفوا في حياته، فجعل أبتر لا وارث له إلا الجهمية. انظر: الإمام الكوثري، لتلميذه أبي الخير الجهمي الرافضي ١٠، المطبوع مع مقالات الكوثري.

(٣) بل ولا على طريقة الحكماء والأطباء، فإنه لا فرق بين رجل يكثر الجماع مع امرأة واحدة وبين من يجامع مائة امرأة بالتناوب.

التشكيك فيها، وإذا لم نتلقَّ العقيدة عن هؤلاء الرجال الذين هم أقرب الناس إلى أنفاس[1] رسول الله ﷺ وأعلم الناس بسنته[2]، فعمن نتلقى العقيدة؟[3]... فهل ندع هذه الكتب لأجل وجود بعض

---

(١) ولذا يقولون:

أهل الحديث هم أهل النبي إن لم يصحبوا نفسه أنفاسهم صحبوا

(٢) ولكن المتكلمين الجهمية ومن على شاكلتهم يزعمون: أن طريقة الخلف أعلم وأحكم!

(٣) الجواب واضح من جانب الكوثري وأفراخه: أن الكوثري لا يتلقى العقيدة من هؤلاء المجسِّمة، المشَبهة، حمقاء، زوامل، سفهاء، أصحاب الطامات والمخازي، الوثنية ورعاتها، عبَّاد الوثن والصنم، الآخذين عن اليهود والفرس وعباد البقرة!! راجع مقالات الكوثري ٣٠١، ٣٠٣، ٣١٠، ٣٠٦، ٢٨، ٣٢٠، ٣٠٢، ٣٣٢، ٣٧٥، ٣٣٦، ٢٨٢، ٣١٥، ٣٣٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٤٠، ٣٤٤، وغيرها. بل يتحاكم ويفزع إلى أئمة أصول الدين، أمثال الرازي، والتفتازاني، والجرجاني، الذين تفزع إليهم الأمة في أصول الدين، فهم أئمته، وإليهم المرجع، ومنهم يُتلقى العقيدة. انظر: مقالات الكوثري ٣٨١ ـ ٣٨٢، وانظر: ظلامه المخيم ٤، ١٦٠. ولذلك تراه يطعن ويقدح في كتب السلف، ويثني على كتب هؤلاء الجهمية، حتى أنجس كتبهم؛ ألا وهو أساس التقديس للرازي، فيشكر الرازي بتأليفه. انظر: مقدمة الكوثري للغرة المنيفة ٧، مع أن الرازي هو الذي قال: «كتاب التوحيد لابن خزيمة: كتاب الشرك»! التفسير الكبير ٢٧/ ٢٥١، وأقره الكوثري، انظر: المقالات ٣٣٠، والتأنيب ٢٩. والرازي هو الذي ادعى واتهم البخاري ومسلماً وغيرهما من المحدثين، وأن في كتبهم أحاديث وضعتها الملاحدة الزنادقة، بما فيها الصحيحان، الذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله!! انظر خرافات الرازي وكذباته ونقولاته في: تأسيس التقديس ١٧٠ ـ ١٧١، الذي هو أساس الجهمية. أما التفتازاني فهو الذي تبع الرازي في قولته المشهورة: أن الكتب السماوية والأحاديث النبوية جاءت على خلاف الدين الحق، لأن الدين الحق هو التنزيه عن الجهة والاستواء والعلو، ولكن الكتب السماوية والأحاديث النبوية جاءت على خلافها، لأجل استدراج الناس إلى الدين الحق، لئلا

أحاديث ضعيفة معلومة وردت فيها إلى رأي لم يقل به أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان؟

وأذكر في هذه المناسبة أنني دخلت مرة إحدى المكتبات فوقع بصري على كتاب التوحيد لابن خزيمة[1]... فسألت البائع ـ وكان أزهريًا ـ عن ثمنه، فقال لي: ... «هذا كتاب الشرك[2] وليس كتاب التوحيد»! فألقيت الكتاب أمامه على الطاولة... وسألته أن يخرج لي منه موطنًا من المواطن التي أشرك فيها مصنفه، فلم يفعل... ولا أعتقد أننا بحاجة إلى مثل هذه الأهواء. وإن الأولى بنا أن نقدر علماء الآثار وأصحاب الحديث حق قدرهم»[3].

= يتنفروا عن قبول الحق، فكان ذلك هو الأصلح لهم!! انظر: شرح المقاصد. وأقرَّه البياضي في: إشارات المرام ١٩٨، وانظر: التنكيل ٢/ ٣٥٧، والقائد إلى تصحيح العقائد ١٨٥، كما أن التفتازاني ادعى ـ كذبًا وزورًا ـ «أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا منامًا، وتفل في فيه، فملأ صدره علمًا ونورًا»!! انظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٢١، وأقر هذه الأسطورة الحنفية، انظر: هامش أنباء الغمر ٢/ ٣٧٧، وأما الجرجاني النقشبندي الصوفي الاتحادي فقد صرح المحقق ولي الدين أنه من أهل وحدة الوجود. انظر: حاشية ولي الدين على حاشية العصام على شرح التفتازاني على العقائد النسفية ٢.

(١) يقول الكوثري في حق هذا الإمام العظيم جبل الإيمان والعلم: «جد عريق في التعصب، جامع بين التعنت البالغ والتساهل المرذول، يصفه بعضهم بقلة الدين، ورماه بعضهم بالزندقة»! انظر: تأنيب الكوثري ١٣٣.

(٢) والذي تولى كبره أولًا هو الرازي ذلك الفيلسوف صاحب الأفاعيل. انظر: مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير ٢٧/ ٢٥١، ثم دفنت هذه المقالة الخبيثة، حتى جاء دور الكوثري، فحاول إحياء دولة أبي دؤاد، كما حاول إحياء دولة القبورية، فأحيا تلك المقالة. التأنيب ٢٩، والمقالات ٣٣٠.

(٣) مقدمة الشيخ أحمد عصام الكاتب، لكتاب: الاعتقاد، للبيهقي ١٤ ـ ١٩.

خ ـ **وقال شيخ الإسلام العلامة المحدث الناقد عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني** رَحِمَهُ اللهُ (١٣٨٦هـ): «أما بعد؛ فإني وقفت على كتاب تأنيب الخطيب، للأستاذ العلامة محمد زاهد الكوثري. . . فرأيت الأستاذ تعدَّى ما يوافقه عليه أهل العلم من توقير أبي حنيفة، وحسن الذب عنه إلى ما لا يرضاه عالم متثبِّت من المغالطات المضادة للأمانة العلمية، ومن التخليط في القواعد، والطعن في أئمة السنة ونقلتها، حتى تناول بعض أفاضل الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة مالكًا والشافعي وأحمد، وأضرابهم، وكبار أئمة الحديث، وثقات نقلته، والرد لأحاديث صحيحة ثابتة، والعيب للعقيدة السلفية، فأساء في ذلك جدًّا حتى إلى الإمام أبي حنيفة نفسه»[1].

د ـ **وقال شيخنا محمد ناصر الدين الألباني** المحدث الناقد حفظه الله ـ بعدما تحدث عن مطاعن أبي غدة فرخ الكوثري ـ: «فلما كتب الله على البلاد السعودية أن يكون أبو غدة مدرسًا في بعض معاهدها؛ كتم عداءه الشديد إياهم ولدعوتهم، وتظاهر بأنه من المحبِّين لهم، ولسان حاله ينشد: ودارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم!. . . وفي الوقت نفسه لا يتمالك من النقل عن عدوهما [يعني: شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم] اللدود، وعدو أهل الحديث جميعًا؛ بل الإكثار عنه، ألا وهو المدعو زاهد الكوثري، الذي كان ـ والحق يقال ـ على حظ وافر من العلم بالحديث ورجاله، ولكنه ـ مع الأسف ـ كان علمه حجة عليه ووبالًا، لأنه لم يزدد به هدى ونورًا، لا في الفروع ولا في

(١) طليعة التنكيل ١٧.

الأصول، فهو جهميٌّ معطِّل، حنفي هالك في التعصب، شديد الطعن والتحامل على أهل الحديث قاطبة، المتقدمين منهم والمتأخرين، فهو في العقيدة يتهمهم بالتشبيه والتجسيم، ويلقبهم في مقدمة السيف الصقيل ص٥: بالحشوية السخفاء! ويقول في كتاب التوحيد للإمام ابن خزيمة: إنه كتاب الشرك! ويرمي نفس الإمام بأنه مجسِّم جاهل بأصول الدين وفي الفقه، ويرميه بالجمود، وقلة الفهم، وأنه حملة أسفار! وفي الحديث؛ طعن في ثلاثمائة من الرواة أكثرهم ثقات، وفيهم نحو تسعين حافظًا، وجماعة من الأئمة الفقهاء، كمالك والشافعي وأحمد، ويصرح بأنه لا يثق بأبي الشيخ ابن حيان(١)، ولا بالخطيب البغدادي ونحوهما، ويكذِّب الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل(٢)، المتفرِّد برواية المسند عن أبيه، وكأنه لذلك

(١) يرى الكوثري أنه لايقبل توثيق أمثال أبي نعيم والبيهقي والخطيب وأبي الشيخ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطي، ويقول في أبي الشيخ: ضعيف، له ميل إلى التجسيم، انظر التأنيب ١٠٢، ٣٠٣، ٣٣٤، ومع ذلك ترى الكوثري يعتمد عليه فيما يهواه، انظر ٨٦، ٨٧.

(٢) يقول الكوثري في التأنيب: «تعصب عبد الله وانحرافه عن الجادة مما لا حاجة إلى دليل عليه سوى كتاب السنة له» ٩٥، «لا يصدَّق في أبي حنيفة» ١٣٣، «صاحب طامات» ١٦٩، «بلى فيه الكذب» ٢٢٠، «افتتن به المفتتنون» ١٦٩. وقال في المقالات: «في كتاب الدارمي وسنة عبد الله بن أحمد من الجاهلية الجهلاء، والوثنية الخرقاء»، «فيهما من دسائس الوثنية وصرائح الكفر الناقل عن الملة» ٣٠١، «في كتاب الدارمي وسنة عبد الله والسجزي وتوحيد ابن خزيمة من المخازي المشروحة» ٣١٥، «وعبد الله هو الذي أخرج للناس كتاب السنة»، «لم يرو عنه أصحاب الأصول الستة غير النسائي»، «لم يتمكن من المضي على سيرة أبيه»، «حتى ألف كتاب السنة تحت ضغط تيار الحشوية أدخل فيه ما ينافي دين الله وينافي الإيمان بالله»، «نماذج من الزيغ» ٣٢٤، «فهل ترك قائل هذه الكلمات شيئًا من الوثنية والتجسيم»، «فهل يشك مسلم =

لا يعتبره من المسانيد التي ينبغي الرجوع إليها والاعتماد عليها[1]، فيقول في كتابه الإشفاق على أحكام الطلاق (ص:٢٣) طبع حمص... ثم هو يصف الحافظ العقيلي بقوله: «المتعصب الخاسر»! وبالجملة فقلَّ من ينجو من الحفاظ المشهورين وكتبهم من غمزٍ ولمزٍ هذا المتعصب الخاسر حقًّا، مثل: ابن عدي في كامله، والآجري في شريعته! وغيرهما، وهو إلى ذلك يضعف من الحديث ما اتفقوا على تصحيحه[2]، ولو كان مما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما[3]، دون علة قادحة فيه، وقد سبق ذكر

= في خروج من يعتقد ذلك من الإيمان إلى الوثنيَّة الصريحة»، «ولعل هؤلاء الوثنية» ٣٢٨، «وهكذا دخلت دسائس اليهود في كتب المغفلين من الرواة فلعائن الله على من يعتقد ذلك» ٣٢٩، «أساطير الوثنية» ٣٣٠، «تلبيسات هؤلاء الوثنيين» ٣٣٢، «شيعة ابن عبد الوهاب صرحاء في معتقد التشبيه والتجسيم، فدونك كتاب النقض للدارمي والسنة لعبد الله» ٣٧٥.

(١) مع أن إمام الحنفية الشاه ولي الله الدهلوي جعل مسند أحمد قريبًا من الطبقة الثانية من طبقة السنن الأربعة، وكتب الطحاوي من الثالثة، ومسند أبي حنيفة للخوارزمي من الرابعة. انظر: حجة الله البالغة ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٢) ولا بد لهم أن يرتكبوا هذه الجريمة تحقيقًا لقاعدتهم الكلية: «إن للفقهاء الحنفية قواعد وأصولًا في تصحيح الحديث وتضعيفه كما أن للمحدثين أصولًا، فلا لوم على الحنفية إذا خالفوا الحديث الذي هو صحيح عند المحدثين». انظر قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد العثماني، تحقيق أبي غدة الكوثري ٢٠، ٤٦١. ثم يناقضون أنفسهم فيقررون قاعدة يرجع في كل علم إلى أهله، المرجع المذكور ٤٤٠. وانظر أيضًا: مقدمة إعلاء السنن ١/ ٢٨٤، ٢٧٢ من المقدمات الثلاث.

(٣) فعند الحنفية قاعدة: «أنه لا ترجيح للصحيحين عند التعارض، فربما يرجح حديث خارج الصحيحين على حديث متفق عليه». انظر المرجعين السابقين ٣٦، ١/ ٤١.

ما ضعفه منها[1]، وعلى العكس من ذلك: فهو يصحح ـ انتصارًا لعصبية المذهبية ـ ما يشهد كل عارف بهذا العلم أنه ضعيف؛ بل موضوع، مثل حديث: (أبو حنيفة سراج أمتي...)[2].

ذ ـ وقال أديب أهل الحديث في العهد الحاضر **فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد**: «ولم يُسمِّ السبكي كتابه باسم: السيف الصقيل... وهذا يكسبنا اتجاهًا كبيرًا أن يكون ذلك الاسم انتحله ووضعه الكوثري[3]، وهو أمر غير بعيد على مخلوق يتأجج غيظًا وحنقًا على شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذ مدرسته السلفيين كابن قيم الجوزية، فإنه نصَّب نفسه وكدَّ قلمه وفكره في محاربة هذين الإمامين، وإثارة الشغب عليهما، ورميهما بالزندقة والكفر والنفاق

---

(١) فقد ذكر شيخنا الألباني من أحاديث الصحيحين التي طعن فيها الكوثري ظلمًا وعدوًا (١٤) حديثًا. انظر: مقدمة الألباني لكتاب: شرح الطحاوية ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) المصدر المذكور ٤٤ ـ ٤٩، وارجع إلى محاولة الكوثري لتصحيح هذا الحديث الموضوع في التأنيب ٤٥.

(٣) ليس الأمر كما قال شيخنا بكر أبو زيد؛ بل هذه التسمية: السيف الصقيل على ابن زفيل، من صنع السبكي، لا من الكوثري، صرح بذلك الزبيدي في شرحه لإحياء العلوم، للغزالي ٢/ ١٠، ١٠٥، وقد كتبت في ذلك إلى الشيخ فلم يجبني. أما إيهام الكوثري بقوله: إني أردت نبز ابن القيم بذلك وأن زفيلًا اسم لجده... إلى آخر القصة التي ذكرها الشيخ عن الغماري عن الكوثري، فلا أشك أن هذا كذب محض، وبهت صرف، ومَيْنٌ بحت من الكوثري، وهذا من الحجج الواضحة على أن الرجل كذاب، يرتجل الكذب، كما يشهد عليه بذلك معاصروه وأصدقاؤه، فسقط من حيِّز العدالة إلى درك الوضاعين. لأن هذه التسمية ـ كما ذكرنا ـ من وضع السبكي لا من وضع الكوثري، ثم ليس فيها نبز بحمد الله، لأن مادة: (زفل) تدل على الجماعة والحسن والبهاء. تاج العروس ٧/ ٣٥٧.

والضلال[1]! وإذا سكن جأشه توسع في السباب واللعن وكيل

(١) استمع إلى بعض الأمثلة لسُباب الكوثري وشتائمه ولعائنه وطعونه في شيخ الإسلام ابن تيمية علم الأعلام في مقالات الكوثري: «هذا المخرِّف تبعًا لابن ملكا اليهودي»، «إفك الأفاكين»، «المسكين»، «يجب على ولاة الأمر إعانة العلماء المنزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين»، ٢٨ ـ ٢٩، مقالة بدعة الصوتية، «وقد فضح السبكي خيانة صاحب الفتوى» ١٤١، «من يذيع التجسيم باسم السلف» ١٤٣، «صنيع ابن تيمية وابن القيم تشغيب محض تنبذه الحجج» ٢٦٥، «فتبًا لابن تيمية وابن القيم»، «مبلغ شناعة أتباعهما» ٢٨٥، «نعوذ بالله من الخذلان» ٢٨٥، «فتن ابن تيمية»، «انخدع بكتبه البسطاء»، «في كلامه سموم فتاكة»، «يرد عليه ما يرد على الدارمي وابن خزيمة»، «وهذه وقاحة بالغة» ٣١٩، مقالة فتن المجسمة وصنوف مخازيهم. «الكلمات الإلحادية»، «وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا» ٣٢٠، «وقد سئمت من تتبُّع مخازي هذا الرجل المسكين الذي ضاعت مواهبه في شتى البدع»، «ليس القول بالتجسيم أمر هيِّن عند أئمة أصول الدين»، «وقد جزم النواوي بتكفير المجسِّمة»، «وصحح القرطبي القول بتكفيرهم»، «ولا فرق بينهم وبين عبَّاد الأصنام والصور»، «أبو منصور البغدادي والأشعري وأكثر المتكلمين بتكفير من كانت بدعتُه كفرًا»، «لا إشكال في تكفير كرامية خراسان» ٣٢١، المقالة المذكورة ٣٤٧، مقالة عقيدة التنزيه «نقل القاري إكفار القائلين بالجهة عن الأئمة الأربعة» ٣٣١، «أما الكوثري فهو ـ ولله الحمد ـ ناصع الجبين، جبان رعديد لا يجترئ على تخطي حدود ما أنزل الله تعالى في ذاته وصفاته وأحكام شريعته، لكنه بطل كرار حنيفي حنفي يهدّ الأصنام كبيرها وصغيرها، ويسحق رؤوس عبادها بمقامع الحجج من الكتاب والسنة والمعقول ما دام له عرق ينبض، وكتاباته ـ ولا سيما الرد على نونية ابن القيم ـ دواء شاف للمرضى بداء التجسيم والوثنية» ٣٣٦، «وهذا منطق البادية والوثنية» ٣٣٧، مقالة الصراع الأخير بين الإسلام والوثنية، «المشبِّه عابد وثن، جسمية خراسان تكفيرهم واجب، وخطورة تلك الكلمات واحدة، سواء صدرت من الكرامية أم من المتسلِّفين، أو الدارمي أو الحراني أو الزرعي أو غيرهم، لأن الضلال ضلال حيثما وقع»، ٣٤٧ ـ ٣٤٨، «فتبين أن كتابي الدارمي على علاتهما مريضان عند الحراني والزرعي، فيقعان تحت =

الحكم القاسي من قبل أئمة هذا الشأن»، ٣٤٨، مقالة التنزيه، «صنيع الشيخ الحراني وزميله ابن زفيل من مسايرتهما لجهم بن صفوان»، «خرق للإجماع وتشغيب متهافت»، ٣٦٥، ويقول في مقدمة كتاب: تبيين كذب المفتري: «وكاد أن لا يبقى بينهم حشوي لولا جالية حران... فإذا هو يجري على خطة مدبرة في إحلال المذهب الحشوي تحت ستار مذهب السلف محل مذهب أهل السنة، ولم يعلم أن مذهب أهل السنة من الماتريدية والأشعرية بلغ من التمحيص بأيدي نوابغ أهل النظر ممن لا يعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم، إذا حاول أن يصطدم بحججهم لا يقع إلا على أم رأسه فيردى ولا يودى، وحيث لم يكن له شيخ يرشده أصبح علمه لا يرتكن على شيء، خليطًا كثير التناقض، توزعت مواهبه في أهواء متبعة، ثم أفضى إلى ما عمل، وزالت فتنته بردِّ العلماء عليه»، انظر: ص: ١٧ من مقدمته للتبيين. **قلت**: هذا مع كذبه متناقض لما يقوله فيما بعد. وقال: «إن كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام السلام»! الإشفاق ٨٩، وقال: «ولو قلنا لم يبل الإسلام في الأدوار الأخيرة بمن هو أضر من ابن تيمية في تفريق كلمة المسلمين، لما كنا مبالغين في ذلك، وهو سهل متسامح مع اليهود والنصارى..» الإشفاق ٨٦، وقال: «الحمد لله الذي أقام من يذب عن دين الله ببراهين تقطع دابر المتشككين من شرار خلقه... ومن حرم التقوى والعقل فقد حرم الخير كله، واحتوشه الشر من كل جانب، ولم ينقطع شره بإفضائه إلى ما عمل إذا خلف كتبًا يضل بها أناس... ومن هؤلاء الذين خلّفوا كتبًا ضارة بدون ورع حاجز عن انتهاك ما عليه الجماعة ولا بصيرة تجلو الظلمات أمام كل بحث: الشيخ الحراني وتلميذه الزرعي، وهما أثارا فتنًا في الفروع والأصول، حتى قضيا عمرهما في المعتقل بحكم قضاة الإسلام». مقدمة الكوثري لكتابي: البراهين الساطعة، وبراهين الكتاب والسنة الناطقة، لسلامة القضاعي العزامي (١٣٧٦هـ) ص: ٣، وقال: «والذي أخذه الشيخ الحراني من اليهود... فإذا هو لا يتحاشى أن يأخذ أسوأ ما عند اليهود... في تأييد عقيدته في التجسيم، وهذا غاية في الخذلان، فيرثى لضياع مواهب هذا المبتدع، ولو تلفع بالتقوى وتورع من مخالفة الجماعة لما وقع فيما وقع...» المصدر المذكور ١٠.

القذائف مما لا يتصور خروجه إلا من رجل مقضي عليه في دينه وعقله... وقد هلك الكوثري وذهبت معه آثاره، وبقي ابن القيم تُدَرَّسُ حياته وعلومه وآراؤه في عامة المعاهد الإسلامية، وسيعلم الكوثري مدى تحامله واستطالة لسانه وقلمه يوم يدعى كل أناس بإمامهم»[1]. ثم حدث عن الغماري أنَّ الكوثري قال: «إن زفيلًا اسم لجد ابن القيم من قبل أمه، وإنني أردت نبزه بذلك على عادة العرب حينما يريدون التحقير لشخص ينسبونه إلى جده لأمه... فسأله الشيخ أحمد: أين وجدت أن ذلك اسم لجد ابن القيم لأمه؟ فلم يجب بإيجاب... وهذا من السباب، وفي الحديث، أن النبي ﷺ قال: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)، ولا يضر بذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، فالكوثري خصم ملد ليس لابن القيم فحسب؛ بل لكل من ليس حنفيًّا... وهذا غير مستغرب على هذا الجركسي، فله أمثال ذلك الشيء الكثير من التحريف والزيادة والنقص عند النقل لكلام العلماء، وقد فضح في هذا من أهل العلم؛ بل من أصدقائه وخاصة منهم حسام الدين القدسي في مقدمة الانتقاء، ومنهم أحمد

---

(١) تذكرت لأجل هول القيامة ما قاله الكوثري في الإمام الدارقطني: «أعمى الله بصيرة كثير من زملائه، وهو معهم، فاقد البصر في المعتقد كما هو فاقد البصر في الفروع، ومن يكون فاقد البصرين يكون هو الأعمى بين أناس عور، ضل في المعتقد، تابع للهوى في الكلام على أحاديث، هو الذي يهذي في أبي يوسف على تعصبه البالغ، لأن الله سبحانه أعمى بصيرة هذا المتسافه في صفات الله، حتى دوَّن في صفات الله ما لا يدونه إلا مجسم، جلية أمره في عدم الثقة والأمانة»، انظر: التأنيب على الترحيب ٢٣٩، ٢٦١، ١٦٢، ٢٤٤. فكان ينبغي أن يقام الحد، حد القذف والفرية على الكوثري قبل أن يقام على حماد بن سلمة.

وعبد الله ابنا الصديق الغماري، وهو لا يرى شيئًا غير أبي حنيفة، ولذلك لقبه أحمد الغماري بقوله: مجنون أبي حنيفة»...

* تنبيه: هذه تعليقة لا بد من سياقها حتى يكون القارئ فيمن هو الكوثري ذلك أنه: سخر قلمه وكدَّ فكره ووقف حياته على سب روَّاد المدرسة السلفية في القديم والحديث، وعلى رأسهم ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ، وقد أوسع هذين الشخصين الكريمين سبًّا وذمًّا، وملامة وقدحًا، بما لا يخرج مثله إلا من معدة شره متخوم، أو منحل من الدين والعقل.

وإليك بعض ما في تعليقه على السيف الصقيل من وصف الكوثري لابن القيم، وما رماه به مدللًا عليه بأرقام الصفحات. فقد رماه بالزندقة ص/ ١٨٢، والكفر ص: ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ١٧٠، ١٨٢، وأنه ضال ص/ ٩، ١٠، ٢٢، ٢٣، ٣٧، زائغ ص/ ٩، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٥، ٣٧، مبتدع ص/ ٨، وقح ص/ ٤٧، ١٢٨، كذاب ص/ ٤١، ٥٧، ١٦٨، حشوي ص/ ١٣، ١٤، ٣٩، بليد ص/ ٦٦، غبي ص/ ٢٨، ٥٩، جاهل ص/ ٢٥، ٦٠، مهاتر ص/ ٢٧، خارجي ص/ ٢٨، تيس حمار ص/ ٢٨، ٥٩، ملعون ص/ ٣٧، من إخوان اليهود والنصارى ص/ ٣٩، منحل من الدين والعقل ص/ ٦٣[1]. وهذا والله تهيج وضباح لا يهضم حقًّا ولا ينصر باطلًا.

---

(١) انظر إلى هذه السباب والشتائم واللعائن والتكفير والطعون والهجاء والنبز باليهودية والنصرانية وأمثالها من نباح الكلاب، ونهيق الحمير، ونقيق الضفادع، التي لا تصدر إلا عن أسوء الشعراء هجاءً، والمغنين المطربين الماجنين، الذين لا خلاق لهم ولا أخلاق، ولا ينكرون منكرًا، ولا يعرفون معروفًا، ومع ذلك يقول الكوثري، يخاطب مُنَكِّلَه المعلمي: «ويجب أن =

يعلم هذا الباهت المتهافت؛ أن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا تهاذر القحاب، ولا النبز باليهودية للأضداد والأحباب...!

انظر: الترحيب مع التأنيب ٢٩٦. وهكذا يسير مسيرة أحد عاشقيه ومجانينه، ألا وهو البنوري زعيم الديوبندية، فيدافع عن رفيع منزلة الكوثري، وعظيم خلقه، فيقول: «الكوثري محتاط متثبِّت في النقل متيقِّظ،... انظر أبلغ كتابة له في الرد على نونية ابن القيم، وأقسى لهجة في كتبه، هل تجد فيه مغمزًا؟». انظر: مقدمة البنوري الحنفي الماتريدي الديوبندي الكوثري لكتاب: مقالات الكوثري ص(ز).

قلت: فليس مثل هؤلاء إلا ما يقال: إن الغراب يأكل العذرة والجيفة ثم يدَّعي طهارة منقاره، والجعل يجمع القاذورات ثم يدَّعي أن عنده عطورًا! فهم يرتكبون الجرائم الواضحات، والسباب والشتائم المكشوفات، واللمز والهمز والنبذ والنبز باليهودية وغيرها، ثم يقولون بمرأى الناس ومسمع: «هل تجد فيه مغمزًا»؟! أليس إطلاق كلمة: حمار، تيس، ملعون، جاهل، كذاب، زائغ، مبتدع، وقح، متهاتر، من إخوان اليهود والنصارى، منحل من الدين والعقل، عابد صنم، عابد وثن، مشبِّه، مجسم، ورميه بالزندقة والكفر، وضال، مضل، حشوي، بليد؛ وهذا كله في تعليقاته على السيف الصقيل، أليس هذه مغامز؟ أليس هذا مغمزًا؟ أيها البنوري! وكيف تدعي البراءة أيها الكوثري؟ وتقول: «إن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا تهاذر القحاب، ولا النبز باليهودية للأضداد والأحباب»؟! ثم أيها الكوثري ألست مع هذه الدعاوي الكاذبة تقول في حق العقيدة السلفية وحامليها ـ أمثال الدارمي، وعبد الله بن أحمد، وابن خزيمة، وشيخ الإسلام، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب ـ مجدد الدعوة ـ وغيرهم ـ في مقالاتك: الوثنية الخرقاء ٣٢٧، ٣٠١، أساطير الوثنية ٢٩٠، منطق البادية والوثنية ٣٣٧، الوثنية والتجسيم، الكلمات الإلحادية ٣٢٠، الكفر المكشوف والتجسم الصريح ٣٢٠، وقاحة بالغة ٣١٩، هذه النحلة السخيفة ٣١٦، مصدرخرافتهم أساطير اليونان الأقدمين ٣٠١، الصراع بين الإسلام والوثنية ٣٣٦، فتن المجسِّمة ومخازيهم ٣١٥، تحذير الأمة من دعاة الوثنية ٣٠١، كتاب التوحيد كتاب الشرك ٣٣٠، هؤلاء الوثنيون ٣٣٢، دعاة الوثنية ٣٠١، ٣٢٧، معتقدهم

ما يضر البحر أمسى ذاخرًا أن رمى فيه غلام بحجر

فما هذه السفاهات إلا جهد عاجز، وحجة عجائز، وإنما المسلك المبرور والمنهج المشكور لدى المسلمين؛ قرع الحجة بالحجة، وإقامة البرهان والدليل، ولا يقولون هجرًا...

الصريح في الوثنية ٣٠٦، المجسِّم عابد وثن ٣٧٥!! ٣٤٧!! ويقول في حق الإمام الدارمي صاحب النقض على المريسي وابن شجاع، الذي غضب لأجله فرخهما الكوثري، فيقول: «المجسم الفاقد العقل» ٢٨٥، «مجسم» ٢٨٠، ٢٨٧، «المجسم المسكين» ٢٨٤، «هذا الأخرق» ٣٠٣، «الخاسر» ٢٨٤، ٣٠٥، «ولعل السجزي أخذ هذا الاعتقاد من جيرانه عبَّاد البقر» ٣٠٢، «في كتاب الدارمي من الكفريات، ووساس الوثنية، وصرائح الكفر، والجاهلية الجهلاء» ٣٠١، «ابن تيمية مخرف تابع لليهودي» ٢٨، «محمد بن عبد الوهاب زعيم المشبِّهة» ٣٧٥، «الشوكاني يهودي اندس في المسلمين لإفساد دينهم» ٣٣٨، «الألوسي، ونعمان الألوسي، وشكري الألوسي؛ تابع هؤلاء لأجل منافع دنيوية»، «وسبابه للشيخ محمد نصيف» ٣٤٢، ٣٤٤، «ابن عبد الهادي زائغ» ٣٩٢، «لا يعتمد على أمثال ابن كثير، ولا على ابن شاكر، ولا على ابن عبد الهادي» ٣٤٣، «ابن جرير أدخل في تفسيره عقائد المجسِّمة إرضاءً لهم وكرهًا» ٣١٧، وهكذا يصور الأسرة الآلوسية ٣٤٤، هذا كله في المقالات، وقال في مقدمة تبيين ابن عساكر ص٢٨: «إنهم جعلوا صنمهم الأرضي صنمًا سماويًّا [يريد صفة الاستواء]، وإنهم أخذوا العقيدة من دجاجلة الملبِّسين من الثنوية واليهود» ص١٤، «هم سلفية بمعنى أن لهم سلف؛ لكن من غير هذه الأمة» ص١٤، وهكذا حواشيه على كتاب البيهقي! أليس كل هذا مغمز؟ وأليس هذا نبح الكلاب وتهاذر القحاب ونبزنا باليهودية والنصرانية؟ وإلا فما هي؟ أين الإنصاف يا فاقدي الإنصاف؟! أين العدل يا لابسي الاعتساف؟! ترتكبون الجرائم ثم تُبرِّئون ساحتكم، توسخون ألسنتكم ثم تكنسونها، وتقولون: ما فعلنا شيئًا!! نعوذ بالله من هذا التناقض الواضح والتلون الفاضح، وهكذا هجيري ذي الوجهين وديدن الحرباء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝﴾ على نفسها جنت براقش، رمتني بدائها وانسلت، نعوذ بالله من الهوان.

وإنما أتيت على ذكر هذه الألفاظ الملموسة من قلم الكوثري مع ثقلها وبشاعتها؛ حتى لا يغتر أحد بهذا المخلوق الذي ينعق بهذا الهراء، وليكن على بيِّنة: أن صيحات الكوثري وطيشه وعويله ما هي إلا صرير باب، أو طنين ذباب...»[1].

ر ـ **وقال الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني** ـ بعد ما ذكر فتن المبتدعة ضد العقيدة السلفية وحامليها عبر القرون ومر العصور وكرِّ الشهور ـ: «ومن هؤلاء المبتدعة في العصر الحديث: المدعو زاهد الكوثري، والمتأمل لجميع ما كتبه هذا الرجل يخرج بنتيجة قطعية لا شك فيها هي أن قلبه مملوء غيظًا على عقيدة أهل السنة والجماعة، ولذلك نصَّب نفسه مخاصمًا لجوجًا همازًا مشاءً بنميم، وسأثبت من كلامه ما يصدق هذه الدعوى، ذلك أن هذا الرجل لا تنقصه أمور العلم الضرورية، كالمصطلح، وأصول الفقه، ومعرفة التخريج، ورد المسائل إلى أصولها، ولكنه بلي بعمى البصيرة والهوى، فهو لا يرعوي أن يقدح فيمن خالف هواه حتى لو كان من القرون المفضلة، ولكنه لا يسمح بأن يقال في أئمته ما يقول هو في غيرهم[2]، ولقد جاء هذا الرجل إلى القاهرة قادمًا من تركيا، فهاجم

---

(١) التقريب لفقه ابن القيم الجوزية ١/ ٣٠ ـ ٣٤، ١١٩ ـ ١٢٠، ولم أجد غالب تلك الإحالات والحرف والنص، وإنما إشارات.

(٢) قلت: ليس مجرد القول فقط. لو كان كذلك لهان الخطب، وخفت الرزية؛ بل الكوثري يطالب إقامة الحد ـ حد الفرية والقذف ـ على كبار أئمة الإسلام، وجهابذة الأعلام من المحدثين، أمثال إمام المحدثين أمير المؤمنين في الحديث حماد بن سلمة، الذي حُبُّهُ دليلٌ على كون الرجل سنيًا، والنيل منه دليل على كون الرجل مُتَّهمًا في دينه، بشهادة أئمة هذا الشأن من أصحاب الجرح والتعديل. كما يطالب الكوثري إقامة حد القذف =

على الخطيب البغدادي، بحجة أن بعض هؤلاء الأئمة قال في حق الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وعنهم: «أبو جيفة»، وذكره الخطيب في تاريخه، واستدل الكوثري لإقامة الحد عليهم بقصة الحطيئة، حيث قال في حق الزبرقان: «أنت الطاعم الكاسي»، فاعتقله عمر سنين حتى تاب. انظر التأنيب ٨٨، ١٨٩. مع أن كلام الأئمة بعضهم في بعض بشرط ثبوته له محامِل، وليس أمره كأمر الشعراء الهجائين، وإلا لنادى ناس بمطالبة الحجة على أبي حنيفة ومالك وغيرهما من الأئمة، وفي هذا فتح باب الطامة الكبرى، ومن تلك المحامل ما اعترف به الكوثري نفسه: «والعالم قد يحضره ضيق صدره، فيقول ما يستغفر الله عنه بعد وقت إذا زال غضبه». انظر: التأنيب ١٣. وغيره من المحامل المشروحة في التنكيل ١/ ٣ ـ ٦، مما يبرأ ساحة الإمام أبي حنيفة ومن قدح فيه من الأئمة بذكر وجوه وجيهة ومحامل طيبة لتلك الجروح التي وجهت إلى الإمام أبي حنيفة من جانب أئمة الحديث رضي الله عنهم جميعًا، بشرط ثبوت تلك الجروح قطعًا، وإلا لكان المجال أوسع للبراءة للجانبين، أما مطالبة المتعصِّبين إقامة حد القذف على أئمة الحديث، أو إقامة حد القذف والفرية على أبي حنيفة الإمام؛ فهذا سفاهة وخلاعة إلى الغاية والنهاية.

ثم نقول للكوثري: انتظر واصطبر، سواء عليك صبرت أم لم تصبر، نحن أيضًا نقيمُ عليك حد القذف وحد الفرية، لأنك قد قذفت الخطيب بحب المردان، والاختلاء بهم طوال الليالي، وترك الصلاة، وتحسي الخمور!! انظر: التأنيب ١٩ ـ ٢٠. والحافظ ابن حجر بتتبُّع النساء، ورميت أئمة الإسلام بسباب وشتائم صريحة مكشوفة، ومنها «ابن القيم حمار، تيس، زائغ، بليد، مهاتر، ملعون، حشوي، من إخوان اليهود والنصارى، وثني، عابد صنم، عابد وثن، الوثنية، الجاهلية الجهلاء، الوثنية الخرقاء، مجسم، مشبه، محرف، مخرف، خارجي، منحل من الدين والعقل، مبتدع، سلفية ولكن سلفهم من غير هذه الأمة، يأخذ العقيدة من جيرانه عباد البقر، مصدر خرافتهم أساطير اليونانيين، يهودي مندس في المسلمين لإفساد دينهم، ابن جرير أدخل في تفسيره عقائد المشبهة إرضاء لهم، في كتبهم كفريات الصرائح، والوثنية ودسائسها، الدارمي يكفر هذا الكفر الأخرق، خاسر، أخرق، مجسم فاقد العقل، كتاب التوحيد كتاب الشرك والوثنية، ابن تيمية مخرف تابع اليهودي، تبًّا لابن تيمية وابن

القيم، محمد بن عبد الوهاب زعيم المشبّهة، البربهارية الأنذال، منطق البادية والوثنية، هؤلاء الوثنيون، دعاة الوثنية، جعلوا صنمهم الأرضي صنمًا سماويًّا»!! وهذا كله في المقالات، والرد على النونية، ومقدمة التبيين، وفي التأنيب رماهم بالكذب، والبهت، والتقول عمدًا، وقلة الدين، وعدم الأمانة، «كذبة، أفاكون، المختلقون، الشياطين، ما أرق دين هؤلاء، رقة في الدين، والنفاق الكمين، واختلال في العقل، وضعف في اليقين، الساقطون، المتنطعون، المهملون، الفاتنون، المعتدون، المتلفون، جهلة النقلة، السفهاء، قليلي الفهم والدين، المشبهة والمجسمة، يا مجانين التعصب، المبرسمون، أغمار، الزوامل، المفترون، الكذابون، أفاكون، الزائغون، المفتتنون»!! انظر: صفحات التأنيب مع الترحيب بالترتيب: ٧٥، ٣٠٣، ٣٢٨، ٧٤، ١٤١، ١٢، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٨٥، ٢١، ٧٧، ٢٩٨، ١٠٢، ٢٢٧، ٣٠٢، ٨٤، ٢٩٩، ٢١٦، ٥٨، ١٣٠، ١٠٤، ٢٢٧، ٧٤، ١٨١، ٣٢٨، ١٤١، ١٦٢، ٢٠٦، ١٦٩. ثم يقول طاعنًا في أنسابهم وحرفهم وكسبهم الحلال: «فيهم كل من هب ودب من حائك، وحلاق، وحمال، وفحام، وبزار، بزاز، وزيات، ولبان، وبناء» انظر: ٢٢٧، ٢٩٩، طاعنًا في كبار الأئمة حتى ابن معين، [الحنفي المتعصب عند الكوثري، وإمام المحدثين عندنا] وتناسى عن أبي حنيفة البزاز والجصاص والحلواني والخصاف وغيرهم، فهنيئًا للكوثري الطعن في الأنساب، مع تناقضه الفاضح، وكذبه الواضح، فإذا كان الكوثري يطالب إقامة الحد - حد القذف والفرية - على المحدِّثين، فالكوثري هو الأحرى والأليق أن يقام عليه الحد، لارتكابه تلك القذائف والفرى بلا مرية، قبل أن يقام على أمثال حماد بن سلمة والخطيب، ثم نقول لك أيها الكوثري: ألا تستحيي أن تجعل التمذهب بمذهب الحنفية حربة للطعن في الأئمة الثلاثة خاصة وأهل الحديث عامة، مع أنك تقول: «ومن أحاط علمًا بكل ما سبق، استحيى من اتخاذ التمذهب بمذهب أحدهم ذريعة إلى الوقيعة في الآخرين» ألا تستحيي أنت؟

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

ومن ديدن اليهود، وهجيري المنافقين أنهم يقولون ما لا يفعلون، ويأمرون ما لا يأتمرون، وينهون ولا ينتهون، نسأل الله السلامة.

كتب السلف، ونال من العلماء المصلحين، وناطح كتب العقيدة زعمًا منه أن عقيدة الخلف هي العقيدة التي يريدها الله من عباده، وأما عقيدة السلف فحشوية وثنية!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولقد شاء الله أن أطلع على مقالات هذا المبتدع وضلالاته في كتاب بعنوان: «مقالات الكوثري»، نشرها راتب حاكمي(1) سنة ١٣٨٨هـ بالقاهرة، ووجدتُ أن هذا الرجل قد قدم افتراءات وأغلوطات عن كتاب «السنة» لأبي عبد الرحمٰن عبد الله بن أحمد بن حنبل، كشفتْ عن مخبوء سريرته، وخبث طويته(2)، مع أنه في كل ما يكتب ـ أو يكتبه عنه طلابه ـ يوصف بالعالم المحقق المدقق!!(3)

---

(١) وهو الخرافي الكبير، الساعي في نشر جهالات الكوثري وخيالاته وخزعبلاته وتقوُّلاته: رضوان محمد رضوان. انظر: مقدمة مقالات الكوثري بمذهبيّة الشيخ محمد يوسف البنوري الحنفي الديوبندي الماتريدي ص ـ ل ـ.

(٢) ولنعم ما قيل:

صدودك عني ولا ذنب لي … دليل على نية فاسدة

(٣) الأمر أشد من هذا؛ فإنه لا يعلم مدى حب الحنفية عامة والديوبندية خاصة وتلامذة الكوثري على وجه أخص وغلوهم في مديح الكوثري، يقول أبو غدة الكوثري: «أستاذ المحققين الحجة المحدث الفقيه الأصولي المتكلم النظار النقادة الإمام محمد زاهد الكوثري». انظر طرة كتاب: الرفع والتكميل، للعلامة اللكنوي، تحقيق أبي غدة. وقال: «عالم الرجال ونقادهم، وعارف أقدار ذوي القدر فيهم، شيخنا الإمام محمد بن زاهد الكوثري». مقدمة تحقيقه لكتاب التصريح، للعلامة المحدث محمد أنور شاه الديوبندي ٦. وقال زعيم الديوبندية الشيخ محمد يوسف البنوري الديوبندي: «الشيخ محمد زاهد الكوثري... جمع بين غاية سعة العلم. علوم الدراية.. وعلوم الرواية.. وبين رقة الشمائل، ومكارم الأخلاق،.. والورع والتقوى والصبر على المكاره وكرم النفس والسماحة... محتاط متثبّت في النقل.. انظر أبلغ كتابة له في الرد على نونية ابن القيم، وأقسى لهجة في كتبه؛ هل تجد =

وإليك أيها القارئ الكريم نماذج من الترهات الكوثرية حول كتاب السنة»، ثم ذكر تلك الترهات، ثم قال: «وإذا وصل الحال إلى أنَّ من نقل للأمة كتاب المسند، والسنة، والرد على الجهمية، والزهد، وفضائل الصحابة، يوصف بأنه وثني مجسم فعلى الدنيا العفاء... لقد مات عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ اللهُ سنة ٢٩٠هـ، وبقي علمه تتوارثه الأجيال، وبقيت عقيدة السلف وكتبها تتلألأ في سماء تاريخ هذه الأمة، مشاعل هداية ونور، وأما ذا [الكوثري] فقصمه الله في السبعينات من هذا القرن، [أي الرابع عشر، لأنه توفي سنة ١٣٧١هـ] فكان نكرة من النكرات، هلك وهلكت ترهاته...

وليس الكوثري وحده الذي تناول هذا؛ بل عثرت على كتاب اسمه: براءة الأشعريين من عقائد المخالفين[1]، لمزعوم أبي حامد بن مرزوق، الجزء الأول ص(٨) طبع مطبعة العلم، بدمشق، سنة ١٣٨٧هـ، وهذا من تلاميذ الكوثري؛ بل إن كنيته: أبو زاهد،

= فيه مغمزًا... هو متصلب في المعتقد كصخرة صماء، منتصر للماتريدي غاية الانتصار، يذب عن حريم الحنفية كل حملة شنعاء، ولا تجد لصارمه نَبوة، ولا لجواده كبوة». تقريظ البنوري لكتاب: مقالات الكوثري (ج - ز). سبحان الله! الذي يسب أئمة الإسلام هل يوصف بهذا؟

(١) كون كتاب براءة الأشعريين من عقائد المخالفين، لأبي غدة الكوثري هو المعروف عند أهل العلم، كما صرح به الدكتور محمد بن سالم القحطاني الآن، وبهذا أيضًا صرَّح الشيخ سفر بن عبد الرحمٰن الحوالي. انظر: منهج الأشاعرة في العقيدة ١٤ - ٥٨، ونسبه أبو سليمان محمود بن سعيد بن محمد ممدوح - تلميذ أبي غدة الكوثري، ومحمد عوامة، وأحمد وعبد الله الغماريين - إلى محمد العربي بن التباني المغربي المكي، مدرس مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، وشيخ علوي بن عباس المالكي، ومحمد أمين كتبي. انظر: تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع ٣٧٥.

وأعرف اسمه، ولكنه ليس بأهل لأن يذكر[1]، لأن في هذا رفع لشأنه، رأيت هذا الكتاب فوجدت كلام أحمقٍ ضالٍّ يتهجم على سنة رسول الله ﷺ في حديث الصورة وغيره، ويردد كالببغاء ما كتبه أستاذه الكوثري من قبل، إلا أنه يزيد على أستاذه بالمطالبة أن يكون

---

(١) بل لا بد أن يذكر ويُصرَّح باسمه على عادة المحدِّثين في الجرح والتعديل، ليُتَّقَى من شره، ويشهد عليه على رؤوس الأشهاد، وبناء على ذلك نقول: هو أبو غدة عبد الفتاح السوري، ومن غاية حبه للكوثري نسب نفسه إليه، وسمى ابنه زاهدًا إحياءً لاسم الكوثري، انظر: الإمام الكوثري، لأحمد خيري الرافضي، تلميذ الكوثري ٧٢، المطبوع مع مقالات الكوثري. ومقدمة شيخنا الألباني لشرح الطحاوية ٤٦، فهو إذًا أبو الزاهد أبو غدة عبد الفتاح الحنفي الماتريدي الكوثري الصوفي السوري الحلبي، يشهد عليه شيخنا الألباني: «أنه كان شديد العداء لأهل الحديث، ولا سيما لأهل التوحيد الذين يسمونهم أعداءُ الإسلام الوهابيين، وكان يطعن فيهم دائمًا، ولا سيما لمَّا كان خطيبًا في مسجد من مساجد حلب، فيسبهم وينبزهم ويقدح فيهم من على المنبر، ويعلن عداءه الشديد لهم، ويصرِّح بتضليلهم، وبجانب ذلك يصرح بجواز الاستغاثة بالموتى، وكان يقول: من زعم أنه شرك فهو كافر! ويقول: إن هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم أو تشمئز من ذكر اسم محمد ﷺ! وكل من حضروا خطبه شهداء عليه. [قلت: وهكذا أستاذه الكوثري يتهم أهل التوحيد والسنة ببغض النبي ﷺ، انظر: المقالات ٣٩٢]، ثم لما وفد أبو غدة المملكة العربية السعودية [ولا سيما نجد الرياض] كتم عداءه الشديد للوهابية ولدعوتهم، وتظاهر بالمحبة والتملُّق إليهم، ودعم ذلك بقيامه بطبع بعض كتب الحديث، وأحدها للإمام ابن القيم، ويزينها بالنقل عنه وعن شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي الوقت نفسه لا يتمالك إلا وينقل عن عدوهما اللدود ذلك الكوثري الجركسي والإكثار عنه، ويبجِّله، ولسان حاله ينشد: ودارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم». انظر مقدمة الشيخ لكتاب: شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ٤٤.

دين الأمة دين التعطيل، ودين الخرافة، وهرطقة الصوفية»[1].

ز ـ كما كشف الستار عن بعض أسرار الكوثري الخبيثة **الشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري**، فأجاد وأفاد، فيقول: «وهذا قول يليق بالكوثري وتعصبه؛ فقد كان يكيد لأهل الأثر ويتهمهم بالحشوية وغير ذلك، وليس المحدِّثون بهذه المكانة من قلة الدين والورع، حتى يردوا الأحاديث الثابتة نكاية في مخالفيهم، وإنما ردوها لأنها لم تُنقل إلا من طريق الكذابين، وسُرَّاق الأحاديث، أو من طريق المغفلين من الرواة، ودائمًا يهول الكوثري هذا التهويل إذا لم يجد على ما يقول دليلًا، فكان الواجب عليه بدلًا من المغالطة أن يثبت بالنقد العلمي النزيه خطأ المحدثين في رد أحاديث العقل، ثم قد يسوغ له هذا التشغيب، ولكن هيهات أن يستطيع»[2].

وقال: «والكوثري كان ممن يجيد اللعب على الحبلين، فحيث يحط هواه رحله فإنه يحط رحله أيضًا (!)، فلما احتاج إلى الدفاع عن [داود] ابن المحبر فعل، وحيث أراد الطعن فيه فعل، فتراه يقول في تأنيب الخطيب ص٩٤[3]: «ابن المحبر متروك باتفاق»، فواعجباه لتحري الحق (!)»[4].

---

(١) مقدمة تحقيقه لكتاب: السنة، للإمام ابن الإمام عبد الله بن أحمد ١/ ٨٤ ـ ٨٦.

(٢) انظر: فصل الخطاب بنقد كتاب المغني عن الحفظ والكتاب، لابن بدر الموصلي الحنفي ٩.

(٣) في طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، من التأنيب ص١٢٨، وارجع إلى التنكيل لمزيد من تناقض الرجل ودجله ١/ ٢٤٩.

(٤) المصدر المذكور ١٣.

(نبذة من فرق الحنفية، وتميز الحنفية السلفية السنية من الحنفية المبتدعة الخرافية)

(التمهيد في ذكر فرق الحنفية إجمالا)

هذا هو كان الكوثري، وتلك كانت عقائده، وسبابه، وشتماته، ولعنه، وطعنه أول هذه الأمة، وبهذا التفصيل في كشف الستار عن أسرار مخازيه وإظهار خباياه في زواياه؛ ظهر للقراء الكرام الغر المخلصين طالبي الحق: أن الكوثري ليس حنفيًا كاملًا؛ بل هو حنفي في الفروع الفقهية، وجهمي ماتريدي كلامي في باب توحيد الأسماء والصفات وما يتعلق به، كما أنه قبوري بريلوي خرافي في باب توحيد الألوهية، وعدوٌ لدود لأهل الحديث كشيوخه من المعتزلة، يردد كالببَّغاء ما كان شيوخه الجهمية والمعتزلة يقولونه ضد أهل الحديث، فقد حاول في حياته محاولات لإقامة دولة المريسي، والثلجي، وإسماعيل حفيد الإمام أبي حنيفة، وابن أبي دؤاد، كما حاول إقامة دولة مشركي العرب الجاهلية الجهلاء والوثنية الخرقاء، وهذا ما أقول على وجه البصيرة والحجة والبرهان، كما أن الكوثري صوفي نقشبندي خالدي[1].

(١) انظر: الإمام الكوثري ٦٧، المطبوع مع مقالات الكوثري.

ولا يغتر أحد أن من ينتسب إلى الإمام أبي حنيفة، فهو سني من أهل السنة، كلا؛ بل ليس الأمر كذلك، فإنه قد انتسب إلى الإمام رَحِمَهُ طوائف من المبتدعة تسترًا على أسرارهم، وترويجًا لخبثهم[1].

وإليك نصًا مهمًا من نصوص العلامة عبد الحي اللكنوي الذي يهتم به الكوثري ويوصي بكتبه على ما قاله أبو غدة[2]، قال العلامة اللكنوي الحنفي الهندي: «وتوضيحه: أن الحنفية عبارة عن فرقة تقلد الإمام أبا حنيفة في المسائل الفرعية، وتسلك مسلكه في الأعمال الشرعية، سواء وافقته في أصول العقائد أم خالفته، فإن وافقته يقال لها الحنفية الكاملة، [أي الحنفية السنية، والحنفية السلفية][3]، وإن لم توافقه يقال لها: الحنفية مع قيد يوضح مسلكه في العقائد الكلامية، فكم من حنفيٍّ حنفيٌّ في الفروع معتزلي عقيدة، كالزمخشري[4] جار الله، مؤلف الكشاف وغيره، وكمؤلف

---

(١) انظر: التبصير في الدين للإسفرائيني ١١٤، تحقيق الكوثري، والمواقف للإيجي، وشرحه للجرجاني ٨/٣٩٧، والفرق بين الفرق للبغدادي ١٩١، والملل والنحل ١/١٤١، والانتقاء لابن عبد البر ١٦٦، وتاريخ الخطيب ٦/١٤٩، والكامل لابن عدي ١/٣٠٨، ولسان الميزان ٣٩٩، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ٣٢٣، وغيرها.

(٢) طرة كتاب: الرفع والتكميل، تحقيق أبي غدة، كما أنه لا يخفى مكانة العلامة اللكنوي هذا، فقد ذكره الكوثري في قائمة كبار الأئمة الحنفية، انظر: فقه أهل العراق، بتحقيق أبي غدة الكوثري واعترافه وإقراره ٧٧.

(٣) توضيح من قلمي.

(٤) كان الزمخشري معتزليًا متعصبًا للبدعة، حتى كنى نفسه أبا المعتزلة، انظر: النبراس شرح شرح العقائد النسفية ٢٨، المتوفى (٥٣٨) أدل دليل على اهتمام الحنفية بالزمخشري ما اهتموا بكشافه شرحًا وحاشية وتعليقًا =

القنية والحاوي والمجتبى شرح مختصر القدوري نجم الدين الزاهدي، وقد بسطنا ترجمتهما في الفوائد البهية في تراجم الحنفية[1]، وكعبد الجبار[2]، وأبي هاشم[3]، والجبائي[4] وغيرهم، وكم من حنفيٍّ حنفيٌّ فرعًا مرجئ أو زيدي أصلًا، وبالجملة؛ فالحنفية لها فروع باختلاف العقيدة، فمنهم الشيعة[5]، ومنهم المعتزلة[6]، ومنهم المرجئة». ثم ذكر العلامة اللكنوي: أن النسبة بين الحنفية وبين أهل السنة عموم وخصوص من وجه، فمادة الافتراق من يكون حنفيًا ولا يكون من أهل السنة كالمرجئة الحنفية، والمعتزلة الحنفية، ومن يكون من أهل السنة ولم يكن من

= واختصارًا. انظر: كشف الظنون ٢/ ١٤٧٥ ـ ١٤٨٤، وما قام أبو غدة من ترجمته وإجلاله وإكباره في رسالته: العلماء العزاب ٧٠ ـ ٨٠، وليس تفسير المدارك وأبو السعود من الكشاف إلا كالفرع من الأصل، وانظر ترجمته في: الجواهر المضية ٣/ ٤٤٧، والفوائد البهية ٢١٠.

(١) الزاهدي هو مختار بن محمود بن محمد (٦٥٨هـ)، انظر الفوائد البهية ٢١٢.

(٢) كأنه يعني به عبد الجبار بن أحمد الديناري الحنفي المعتزلي، انظر الجواهر المضية ٢/ ٣٥٩، ولا يريد عبد الجبار الهمداني صاحب المغني وشرح الأصول الخمسة (٤١٥) فإنه كان شافعيًا، انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ٩٧.

(٣) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي رأس المعتزلة وإمام الهاشمية (٣٢١هـ)، راجع الميزان ٢/ ٦١٨، واللسان ٤/ ١٦.

(٤) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، والد أبي هاشم، إمام المعتزلة، وشيخ الأشعري، وزوج أمه (٣٠٣هـ)، راجع اللسان ٥/ ٢٧١.

(٥) ومنهم أحمد خيري الكوثري الحنفي الماتريدي الرافضي، انظر عقائده الخرافية القبورية والشيعية في: الإمام الكوثري ٥٢ ـ ٥٨.

(٦) بل غالب أئمة الاعتزال ورؤوس فتنة خلق القرآن أمثال حفيد الإمام أبي حنيفة وابن أبي دؤاد كانوا حنفية.

الحنفية كأهل السنة من الشافعية، ومادة الاجتماع من يكون موافقًا لأبي حنيفة في الفروع والعقيدة[1].

(١) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لعبد الحي اللكنوي، تحقيق أبي غدة الكوثري وإقراره ١٧٨ ـ ١٨١.

ذكر فرق الحنفية تفصيلًا

فالحنفية إذًا فرق متعددة، أشهرها ما يلي:

١ ـ الحنفية السلفية [وهي الحنفية الكاملة، على حد تعبير العلامة اللكنوي]، كالأئمة الثلاثة: أبي حنيفة وصاحبيه، والإمام الطحاوي، وابن أبي العز وأمثالهم.

٢ ـ الحنفية الماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمد (٣٣٣هـ)، وهم أقرب إلى المعتزلة من الأشعرية، حسب تحقيق الكوثري وأبي زهرة وآخرين.

يقول الكوثري: إن الماتريدية وسط بين الأشعرية والمعتزلة[١]، وقد مرت العقيدة الماتريدية على أدوار وتطورات، وانتشرت في البلاد التي انتشرت فيها الحنفية، كبلاد ما وراء النهر، وتركيا، وبلاد الروم، وسيبريا، وولايات الاتحاد السوفيت، والمغرب، وإفريقيا، ومصر، والصرب، وبوسنا وهرسك، والألبان، وبلغاريا، والهند، والصين، وبنغلاديش، وباكستان، وأفغانستان، والقوقاس، والقزان،

(١) مقدمة الكوثري لكتاب: تبيين كذب المفتري ١٩، ولكتاب: إشارات المرام ٧، وتاريخ المذاهب الإسلامية، لأبي زهرة ١٧٦ ـ ١٧٨، ١٧٣، ١٨٦، ومقدمة مناهج الأدلة، لابن رشد، للدكتور محمود قاسم ٣٣، ٧٨، ٩٩، والعقيدة والشريعة، للمستشرق جولد تسهر، الترجمة العربية ٩٩.

وبخارى، واليونان، والحبشة، والبلاد العثمانية[1].

فمن أهم أدوار العقيدة الماتريدية: دور الماتريدي نفسه، ودور سمرقندي ليثي، ودور بزدوي، ودور نسفي، ودور صابوني، ودور جرجاني، ودور تفتازاني، ودور ديوبندي، ودور بريلوي، ودور كوثري.

ثم انقسمت الحنفية الماتريدية إلى الديوبندية والبريلوية والكوثرية، والديوبندية إلى شُعَبٍ وفروع، منها: جماعة التبليغ، فهم حنفية ماتريدية ديوبندية صوفية، ومنها الفنجفيرية، فهم حنفية متعصبة ماتريدية ديوبندية، غير أنهم في باب توحيد الألوهية على منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٣ ـ الحنفية المعتزلة: وكان غالب القضاة في خلق القرآن ومسعِّري نار الفتنة وأكثر أئمة الاعتزال والذين تولوا كبره هم المعتزلة الحنفية، حتى باعتراف الكوثري[2]، وغيره من الحنفية، أمثال إسماعيل بن حماد، وابن أبي دؤاد، وبشر المريسي، وابن شجاع، والجبائي، وأبي هاشم، وعبد الجبار وغيرهم، وانتشر الاعتزال ودب في الحنفية حتى دخل أسرة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه على أسف شديد، فحفيد الإمام أبي حنيفة رحمه الله إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة كان رأسًا في الاعتزال، مسرفًا كذابًا، مفتريًا على أبيه وجده، ساقط العدالة، ومسعِّرًا لنار الفتنة، وكان من دعاة المأمون في الفتنة، ويقول بخلق القرآن، ويفتري على أبيه وجده فيقول: «هو ديني، ودين

(١) انظر: تأنيب الكوثري ٢٢، ومقدمته لكتاب تبيين كذب المفتري ١٦.
(٢) انظر: تأنيب الكوثري ١١، وعقيدة الإسلام، لأبي الخير الماتريدي ٢٥٢.

أبي وجدي»[1].

ومع ذلك ترى الكوثري يستر عليه ويدافع عن هذا المعتزلي الكذاب الفتان، ويقرر فيه قول بعضهم: «ما ولي القضاء بعد عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم من إسماعيل بن حماد»[2]! ومع ذلك ترى الكوثري يتناسى ويتعامى عن مخازي هذا الرجل المعتزلي الجهمي، الذي انحرف عن جادة أهل السنة تمامًا، ولم يَسِرْ مسير أبيه وجده الإمام أبي حنيفة، وفي الوقت نفسه يطعن في الإمام ابن الإمام عبد الله بن أحمد، ويجعله مجسِّمًا وثنيًّا، وكتابه كتاب كفر ووثنية، بحجة أنه لم يَسِرْ سير الإمام أحمد[3]!

وهذا مع الكذب الواضح، والافتراء الفاضح، ظلم وعدوان في آن واحد، لا يقره عدل وإنصاف، ولا عقل ولا نقل ولا فطرة، وليس مثل الكوثري في هذا الباب إلا كالغربال يعير الكوز ويسخر منه، ويقول للكوز: فيك ثقبان، فيقول الكوز: ألا تستحي؟ تعيرني بثقبين وتتعامى عن ثقباتك المئات؟[4]

ومن هنا تدرك تساهل الماتريدية عامة والكوثري والكوثرية

---

(١) الانتقاء، لابن عبد البر ١٦٦، كتاب السنة، للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد ١/ ١٨٢، تاريخ بغداد، للخطيب ٦/ ٢٤٥، الكامل، لابن عدي ١/ ٣٠٨، لسان الميزان ١/ ٣٩٩.

(٢) انظر: تأنيب الكوثري.

(٣) انظر: مقالات الكوثري [بل جهالاته]، مقالة بعنوان: كتاب يسمى كتاب السنة وهو كتاب الزيغ، ٣٢٤ ـ ٣٣٢.

(٤) ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: ١١٢]، رمتني بدائها وانسلت.

خاصة مع الجهمية والمعتزلة، فهم معهم هيِّنون ليِّنون، يجلونهم ويكبرونهم ويعظمونهم، وأشداء صواعق سيوف على أهل الحديث.

فقد علمت إجلال الكوثري لحفيد الإمام أبي حنيفة، وانظر إجلاله لمحمد بن شجاع الثلجي البلخي (٢٦٦هـ)، الذي كان يقول: عند أحمد كتب الزنادقة! ويتمنى ذبح الحنابلة، وغير ذلك من مخازيه كما شرحنا حاله[(١)].

والكوثري يجله إلى حدٍّ أفرد بتأليف في ترجمته، مع ترجمة شيخه الإمام حسن بن زياد رحمهما الله[(٢)].

ويظهر مدى إجلال الكوثري لذلك الثلجي وتعظيمه له من قول الكوثري ـ ساخرًا من أهل الحديث مطريًا للثلجي قادحًا في إمام أهل الحديث حماد بن سلمة ومتهمًا له ـ فيقول الكوثري: «كان الثلجي شجًى في حلوق المشبِّهة [أهل السنة أصحاب الحديث] وجذعًا في أعينهم بما ألفه في الرد عليهم، وبإقامة النكير عليهم، لروايتهم أمثال هذه السخافات»[(٣)]! يعني أحاديث الصفات.

كما أن الكوثري يثني على المعتزلة عامة، ويبجِّلهم، ويمدح

---

(١) انظر ص: ١٢٥ ـ ١٤٢، من هذه الرسالة.

(٢) والكوثري قد ذكر هذا الثلجي في قائمة كبار أئمة الحنفية أيضًا، انظر: فقه أهل العراق بتحقيق: أبي غدة ٦٥، يقول أبو غدة الكوثري: «وانظر معها جزأ شيخنا الكوثري ـ رحمه الله تعالى ـ الذي سماه: المتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع، طبع بالقاهرة، بمطبعة الأنوار، سنة (١٣٦٨)، ثم بحمص سنة (١٣٨٩)، وفيه ما يشفي ويكفي». انظر: حواشي أبي غدة على فقه أهل العراق ٦٥.

(٣) تعليقات الكوثري على كتاب: تبيين كذب المفتري ٣٧٠.

أعمالهم من بين الفرق[(١)]؛ بل يُبَرِّئُ إلى حد كبير ساحة جهم بن صفوان[(٢)].

بل الخطب أشد من ذلك؛ فإن الكوثري اكتظ غيظًا وامتلأ حقدًا وانتفخ غضبًا على خالد بن عبد الله القسري، حيث ذبح جعد بن درهم يوم العيد وضحى به[(٣)]، مع أن الأئمة من أهل السنة شكروا خالدًا على ذلك، ولكن ما بال الكوثري كأنه ذُبِحَ أبوه أو أمه؟

بل الأمر أشد من ذلك؛ فقد جعل الكوثري تبعة فتنة خلق القرآن وما فيها من الرزايا والمصائب على أئمة الإسلام، وعلى رأسهم إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله، فقد جعل تبعة هذه الفتنة على أئمة أهل الحديث، مُبَرِّئًا ساحة المعتزلة والمأمون[(٤)]، ساخرًا من أهل الحديث بقوله: «فجعلوا رقابهم بأيدي أبي حنيفة وأصحابه في الآخرة، . . . كما كانت أقفيتهم بأيدي قضاتهم في الدنيا. .»[(٥)]! كما أن الكوثري ألف مقالة في السباب للإمام الدارمي وتكفيره، دفاعًا عن بشر المريسي الحنفي الجهمي تلميذ جهم بن صفوان وشيخ ابن أبي دؤاد، الذي أفتى بقتل الإمام أحمد[(٦)].

---

(١) مقدمة الكوثري على تبيين كذب المفتري ١٣، ١٨.

(٢) المصدر السابق ١٢.

(٣) انظر: تأنيب الكوثري ٩١، وانظر جوابًا مسكتًا لشبهات الكوثري في التنكيل ١/٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٤) المصدر المذكور ١١ ـ ١٢.

(٥) انظر على سبيل المثال ما قام به أبو غدة في ترجمة الزمخشري في رسالة: العلماء العزاب ٧٠ ـ ٨٠، وكشف الظنون ٢/١٤٧٥ ـ ١٤٨٤، وقدمنا أن تفسيري النسفي وأبي السعود كالفرع من تفسير الكشاف في التأويل.

(٦) انظر هذه المقالة البشعة، وما فيها تكفير وشتائم شنيعة للإمام الدارمي خاصة =

كما يظهر مدى إجلالهم للمعتزلة اهتمامهم بالزمخشري وكتبه، وإجلالهم إياه[1].

وهذه الرابطة القوية بين الماتريدية والمعتزلة [رابطة التلمذة والمشيخة] كان سببًا مؤثرًا في انحراط الماتريدية في التعطيل، وتحريف نصوص الصفات، والانحراف عن معتقد الإمام أبي حنيفة وصاحبيه[2].

٤ ـ الحنفية الجهمية: أتباع جهم بن صفوان في المعتقد، وحنفية في الفروع، أمثال بشر المريسي (٢١٨هـ)، **ومقالة الجهمية:** إنكار الأسماء والصفات، وهي مقالة التعطيل التي منتهاها إنكار وجود الله تعالى وأنه عدم محض، وأصل هذه المقالة من: اليهود، والمشركين، والصابئين، وفلاسفة النمروذيين، والكنعانيين، والمجوس، وسمنية خراسان، وفلاسفة اليونان[3]، وأخذها لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، وعنه أخذها ابن أخته

= وأهل الحديث عامة في مقالات الكوثري ٢٨٢ ـ ٢٨٩.

(١) انظر على سبيل المثال ما قام به أبو غدة في ترجمة الزمخشري في رسالة: العلماء العزاب ٧٠ ـ ٨٠، وكشف الظنون ٢/ ١٤٧٥ ـ ١٤٨٤، وقدمنا أن تفسيري النسفي وأبي السعود كالفرع من تفسير الكشاف في التأويل.

(٢) كما فصَّلته بالبراهين والحجج في كتابي: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات.

(٣) راجع: الحموية ٢٤ ـ ٢٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٠ ـ ٢٢، ومقالات الأشعري ١٣٢، ٢٧٩، ٢٨٠، والفرق بين الفرق ١٩٩ ـ ٢٠٠، والتبصير في الدين ٦٣ ـ ٦٤، والتنبيه للملطي ٩٦ تحقيق الكوثري وأقره، والكامل لابن الأثير ٥/ ٢٩٤، والبداية والنهاية ٩/ ٣٥٠، ١٠/ ١٩، ولسان الميزان ٢/ ١٤٢، والخطط للمقريزي ٢/ ٣٤٩.

طالوت، وعنه أبان بن سمعان، وعنه جعد بن درهم المقتول المُضَحَّى به (١٢٤هـ)، وعنه تلميذه جهم بن صفوان المقتول (١٢٨) هـ، وعن جهم أخذها تلميذه بشر بن غياث المريسي الجهمي الحنفي (٢٦٦)، وعنه أخذها أحمد بن أبي دؤاد[١] المعتزلي الحنفي[٢]، رأس المعتزلة في الفتنة، المتوفى (٢٤٠)، وكما أخذ عنه أيضًا محمد بن شجاع الثلجي (٢٦٧هـ) الحنفي، الذي يُنوّه به الكوثري، وجعله في قائمة كبار الحنفية[٣]، ثم انتشرت هذه المقالة الخبيثة في المعتزلة، ومنها القول بخلق القرآن، ثم تسربت بشيء من التهذيب إلى الكلابية، ثم إلى الأشعرية فالماتريدية إلى يومنا هذا، وكان بشر بن غياث المريسي تتلمذ على الإمامين أبي حنيفة وأبي يوسف[٤].

وقد كفَّره عدة من أهل العلم[٥]، وقال له الإمام الشافعي: نصفك مؤمن، ونصفك كافر[٦].

---

(١) انظر إسناد هذه المقالة الجهمية اليهودية في: الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٩٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٥٠، والحموية ٢٤ ـ ٢٥، وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) وهو الذي أفتى بقتل الإمام أحمد؛ انظر ترجمته في: الجواهر المضية ١/ ١٣٤، ٤/ ٤٥٣، والطبقات السنية ١/ ٢٩٠، واللسان ١/ ١٧١، وشذرات الذهب ٢/ ٩٣.

(٣) انظر: الجواهر المضية ٣/ ١٧٣، وتاج التراجم ٥٥، وطبقات الطاش كبرى زاده ٢٦، والفوائد البهية ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٩، والميزان ٣/ ٥٧٧، واللسان ٧/ ٣٦١.

(٤) انظر: الجواهر المضية ١/ ٤٤٧، وطبقات الطاش كبرى زاده ٣٠، والطبقات السنية ٢/ ٢٣٠، والفوائد البهية ٥٤، وانظر: خطط المقريزي ٢/ ٣٥٠.

(٥) انظر: الحموية ٢٧، ومجموع الفتاوى ٥/ ٢٣ ـ ٢٤.

(٦) انظر: التبصير في الدين، بتحقيق الكوثري وإقراره ٦١، وخطط المقريزي ٢/ ٣٥٠.

وهو رأس الفرقة المرِّيسية من المرجئة(١)، وقد هم الإمام أبو يوسف رحمه الله بتنكيله، لكنه فر إلى البصرة(٢)، وحلف هارون الرشيد الخليفة: إن ظفر به ليقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط، فتوارى أيام الرشيد(٣)، وهو الذي هزمه عبد العزيز المكي الكناني صاحب الحيدة(٤).

وذكر شيخ الإسلام أن مقالة تعطيل الصفات انتشرت بسبب المريسي هذا، وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس وفي كتاب التأويلات [مشكل الحديث]، لابن فورك، وتأسيس التقديس [تأسيس الجهمية]، للرازي، وفي كتب الغزالي وغيرهم، هي بعينها تأويلات المريسي التي ذكرها في كتابه، كما يظهر ذلك من كتاب رد الدارمي عليه(٥) [رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد]، ويظهر مدى صلة الماتريدية ـ ولا سيما الكوثري والكوثرية ـ بالجهمية ـ وخاصة بالمريسي ـ من سُباب الكوثري وتكفيره للدارمي دفاعًا عن المريسي(٦).

---

(١) انظر: مقالات الأشعري ١٤٠، الفرق بين الفرق ١٩٢، التبصير في الدين ٦١، وأقره الكوثري.

(٢) نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي ١٤٥.

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب ٧/ ٦٤، وأقره أبو الخير في عقيدة الإسلام ٢٤٤.

(٤) المناظرة برمتها موجودة في كتاب الحيدة، وهو مطبوع مرارًا وتكرارًا، وانظر: عقيدة الإسلام، لأبي الخير الماتريدي ٢٤٤.

(٥) الحموية ٢٦ ـ ٢٧، وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٦) راجع: مقالات الكوثري، مقالة بعنوان: نماذج مما في نقض الدارمي ٢٨٢ ـ ٢٩٧، ومقالة بعنوان: تحذير الأمة من دعاة الوثنية ٣٠١ ـ ٣١٤، ومقالة بعنوان: فتن المجسِّمة ومخازيهم ٣١٥ ـ ٣٢٣.

ثم تتلمذ محمد بن شجاع الثلجي البلخي الحنفي (٢٦٦هـ) على المريسي الجهمي الحنفي، وأخذ عنه مقالة الجهمية[١].

وهو فقيه أهل العراق، تفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي، صاحب الإمام أبي حنيفة[٢].

وكان يقول: إنما أقول: كلام الله، كما أقول: سماء الله، وأرض الله[٣].

ومن شدة تعصبه للتجهم: أوصى أن لا يعطى من ثلثه إلا من قال: القرآن مخلوق[٤].

وقد بلغ به العداء لأئمة أهل السنة ووصل في الحقد إلى حد كان يقول من شدة خبثه: «أصحاب أحمد يحتاجون أن يذبحوا»[٥]!

قال الذهبي: «جاء من غير وجه؛ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه، ويقول: إيش قام به أحمد»[٦].

وكان يقول في حق الإمام الشافعي مستهزأ به: «ومن الشافعي؟ إنما كان يصحب بربر المغني»! ثم رجع عن هذا لما حضرت وفاته[٧].

---

(١) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي ١٤٣، ١٤٤، ١٥٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٧، ٥٧٨، التهذيب ٩/ ٢٢١.

(٢) الجواهر المضية ٣/ ١٧٣، وتاج التراجم ٥٥، وطبقات الطاش كبرى زاده ٢٦، والفوائد البهية ١٧١.

(٣) الميزان ٣/ ٥٧٧.

(٤) الميزان ٣/ ٥٧٨، التهذيب ٩/ ٢٢١.

(٥) الميزان ٣/ ٥٧٨.

(٦) الميزان ٣/ ٥٧٧.

(٧) الكامل لابن عدي ٦/ ٢٢٩٢، الميزان ٣/ ٥٧٨، الوافي بالوفيات ٣/ ١٤٨.

وقال ابن عدي: «كان يضع الحديث في التشبيه، ينسبها إلى أصحاب الحديث يثلبهم»[1].

وفعلًا قد وضع حديث خلق النفس المعروف[2].

وقال الذهبي ـ مذيّلًا على حديث النفس ـ: «هذا مع كونه من أبين الكذب، هو من وضع الجهمية ليذكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته، فكذلك إضافة كلامه إليه...»[3]، إلى آخر كلامه الطيب.

وقال زكريا الساجي: «كذاب، احتال في إبطال الحديث نصرةً للرأي»[4]، أي: جهميته.

وقد كفَّره القواريري، وأقره عبد الله ابن الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي[5].

وقال الإمام أحمد: «مبتدع صاحب هوى»[6].

(١) الكامل، لابن عدي ٦/ ٢٢٩٣، الأسماء والصفات، للبيهقي ٤٤٥ ـ ٤٤٦، كتاب الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي ٣/ ٧٠، والمنتظم له ٥/ ٥٨، وتهذيب الكمال، للمزي ٣/ ١٢١٠، والميزان ٣/ ٥٧٧، والتهذيب، لابن حجر ٩/ ٢٢٠، والخلاصة، للخزرجي ٢/ ٣١٣، والوافي بالوفيات ٣/ ١٤٨، الكشف الحثيث ٣٧٩، شذرات الذهب ٢/ ١٥١، الفوائد البهية ١٧١.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٥١، الكامل، لابن عدي ٦/ ٢٢٩٣، الميزان ٣/ ٥٧٩.

(٣) الميزان ٣/ ٥٧٩.

(٤) الأنساب، للسمعاني ٣/ ١٣٩، المنتظم ٥/ ٥٨، وتهذيب الكمال ٣/ ١٢١٠، والميزان ٣/ ٥٧٨، التهذيب ٩/ ٢٢٠، الخلاصة ٢/ ٣١٣.

(٥) تاريخ بغداد، للخطيب ٥/ ٣٥١، كتاب الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي ٣/ ٧٠، تهذيب الكمال ٣/ ١٢١٠، والتهذيب ٩/ ٢٢٠.

(٦) انظر: الأنساب ٣/ ١٣٩، والمنتظم ٥/ ٥٧، والفوائد البهية ١٧١، وتاريخ =

وقال الأزدي: «كذاب، لا تحل الرواية عنه؛ لسوء مذهبه، وزيغه عن الدين»[1].

وقال موسى بن القاسم: «كان كذابًا خبيثًا»[2].

وقال الحافظ المزي: «كان أحد الجهمية»[3].

وقال الحافظ ابن كثير: «كان أحد عباد الجهمية»[4].

وقال ابن الجوزي: «كان رديء المذهب في القرآن»[5].

وقال الذهبي: «كان ينال من الكبار»[6]، وقال: «متروك الحديث»[7]، وقال: «مشهور مبتدع»[8].

وقال الحافظ ابن حجر: «متروك، رمي بالبدعة»[9]، وقال: «مشهور مبتدع»[10].

وقال ابن الأثير: «غير ثقة»[11].

= بغداد، للخطيب ٥/ ٣٥١، وتهذيب الكمال ٣/ ١٢١٠، والتهذيب ٩/ ٢٢٠.

(١) انظر: تاريخ بغداد، والتهذيب، وتهذيب الكمال، والمنتظم، وكتاب الضعفاء والمتروكين، كلاهما لابن الجوزي.

(٢) كتاب الضعفاء، لابن الجوزي والتهذيب ٩/ ٢٢١.

(٣) تهذيب الكمال ٣/ ١٢١٠.

(٤) البداية والنهاية ١١/ ٤٠.

(٥) المنتظم ٥/ ٧٥.

(٦) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٠.

(٧) العبر ١/ ٣٨٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٥١.

(٨) المشتبه ٨٩.

(٩) التقريب ٤٨٣، وأقره محمد عوامة، تلميذ أبي غدة، محقق «التقريب».

(١٠) تبصير المنتبه ١/ ١٦٨.

(١١) اللباب ١/ ٢٤١.

وقال الخزرجي: «كان ينال من الشافعي وأحمد، قال عبد الغني: معتزلي»[1].

وقال القرشي، وقاسم بن قطلوبغا، والطاش كبرى زاده، وعبد الحي اللكنوي: «له ميل إلى مذهب المعتزلة»[2].

قال العلامة عبد الحي: «هو مُضَعَّفٌ عند المحدِّثين، وإن كان في نفسه من الكاملين»[3]. أيُّ كمال هذا!

قلت: ألف هذا الثلجي في تحريف الأحاديث وتعطيل صفات الله وسب أئمة الحديث كتابًا سماه: كتاب الرد على المشبِّهة. ومن شدة عشق الكوثري ومحبته لهذا الثلجي الجهمي الكذاب الوضاع الذي شرحنا حاله، ووزنًا دينه وعقله بميزان أئمة الحديث؛ أن الكوثري قد ذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية، وبجَّله وعظَّمه إلى الغاية، وأطراه إلى النهاية[4].

ولم يكتفِ الكوثري بهذا؛ بل ألف كتابًا مستقلًا في ترجمته مع ترجمة شيخه الإمام الحسن بن زياد ـ رحمه الله تعالى ـ[5].

ويثني الكوثري على كتاب هذا الثلجي ساخرًا من أهل الحديث

---

(١) الخلاصة ٢/٣١٣.

(٢) الجواهر المضية ٣/ ١٧٤، تاج التراجم ٥٥، طبقات الفقهاء، للطاش ٣٦، الفوائد البهية ١٧٢.

(٣) الفوائد البهية ١٧١.

(٤) انظر: فقه أهل العراق ٦٥، تحقيق أبي غدة الكوثري، فهو شريك مع الكوثري في الوِزر.

(٥) عنوانه: الإمتاع بسيرة الإمامين الحسن بن زياد وصاحبه محمد بن شجاع، قال أبو غدة: «وفيه ما يشفي ويكفي».

فيقول: «فكان [يعني كتابه في الرد على المشبِّهة] شجًى في حلوق المشبهة [يعني أهل الحديث]، وجذعًا في أعينهم، بما ألفه في الرد عليهم، وبإقامة النكير عليهم، لروايتهم أمثال هذه السخافات»[1]! يعني أحاديث الصفات.

وذكر الكوثري أن الثلجي ذكر في كتابه في الرد على المشبِّهة: «أن الزنادقة وضعت الأحاديث [أحاديث الصفات]، فدسوها في كتب المحدِّثين»[2]! ولا تخفى خطورة هذه المقالة الفاحشة، وما ترمي إليه من أغراض.

وذكر **العلامة المعلمي**: أن الثلجي هذا جمع كتابًا تكلف فيه تأويل الأحاديث، وتبعه ابن فورك في كتابه مشكل الحديث، وأن البيهقي أرعبته شقاشق أستاذه ابن فورك المتجهِّم، الذي حذا حذو الثلجي في كتابه الذي صنفه في تحريف أحاديث الصفات والطعن فيها[3].

(الكشف عن مقالة أخرى شنيعة للثلجي)

ومن شدة خبثه وبالغ افترائه كان يقول: «عند أحمد كتب الزنادقة»[4]! ولم يكتفِ بهذا؛ بل كان يقول: «إن الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألفًا من الحديث، وروَّجوها على رواة الحديث وأهل الغفلة منهم»[5].

(١) تعليقات الكوثري على كتاب تبيين كذب المفتري ٣٧٠.
(٢) تعليقات الكوثري على كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ٣٧٢.
(٣) انظر: التنكيل ١/٢٦، ٢٤٢.
(٤) الميزان ٣/٥٧٨.
(٥) رد الدارمي على بشر المريسي ١٥٠، وقال الكوثري: كلامه هذا في كتابه =

وقصده بهذه المقالة الشنيعة والتهمة الفظيعة: رفع الاعتماد عن المحدِّثين حملة السنن، وأحاديث الصفات، والقضاء على توحيد الأسماء والصفات؛ بحجة أن هذه الأحاديث من وضع الزنادقة!! ثم دفنت هذه المقالة حتى جاء فيلسوف أهل الكلام ذلك الرازي فأحياها بعد ما أُميتت، وصرَّح أن أحاديث الصفات في كتب الحديث ـ بما فيها الصحيحان ـ اللذان هما أصح الكتب بعد كتاب الله ـ من وضع الملاحدة، لأن البخاري ومسلمًا لم يكونا يعلمان الغيب، والدليل على كونها من وضع الملاحدة لأنها تبطل إلٰهية الله وربوبيته، ولكن الملاحدة روَّجوها على المحدِّثين[1].

ولعل قاضي الحنفية يوسف بن موسى الملطي[2] (٨٠٣هـ) قد أخذ هذه الفكرة الخبيثة من الثلجي، ثم من الرازي وأمثالهما، فقال: «من نظر في كتاب البخاري تزندق»!!

ثم أُميتت ودُفنت تلك المقالة الخبيثة حتى جاء دور الكوثري، فشمَّر عن ساق الجهد والجد فأحياها ونصرها، ودافع عن صاحبها ابن شجاع الثلجي الحنفي الجهمي، وشيخه المريسي الحنفي

= في الرد على المشبِّهة. انظر: تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات، للبيهقي ٣٧٢، وانظر المقالات ٢٨٦.

(١) تأسيس التقديس، للرازي ١٧٠ ـ ١٧١ الذي هو تأسيس الجهمية.

(٢) وهذا المتعصب هو الذي باشر في القضاء فضائح كثيرة، فقرَّب الفساق، واستكثر من استبدال الأوقاف، وقتل مسلمًا بنصراني، وأفتى بأكل الحشيش، وبوجوه من الحيل لأكل الربا، وكان بجانب ذلك إمامًا للحنفية قاضيًا لهم، انتهت إليه رئاستهم. كما أنه تكلم بتلك الكلمة الفاجرة، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝﴾ راجع أنباء الغمر ٤/٣٤٨، الضوء اللامع ١٠/٣٣٥، شذرات الذهب ٧/١٤٠، وهكذا يكون سلف الكوثرية.

الجهمي، وكفَّر الإمام الدارمي، وجعله وثنيًا صنميًا[1]، كما أن الرازي أحدث مقالة خبيثة أخرى: ألا وهي أن كتاب التوحيد لابن خزيمة كتاب الشرك، ثم أحياها الكوثري مرة ثانية[2].

فلا ندري على ماذا نتأسف، أعلى علومهم أم عقولهم أم دينهم؟

فإذا كان الإسلام المبني على كتاب الله وعلى هذه السنن المتوارثة المتوافرة عن مشكاة النبوة وديوان الرسالة المبني على الوحي المبين الأمين، وهي في أصح الكتب بعد كتاب الله: صحيحي البخاري ومسلم؛ بإجماع هذه الأمة، وفيها عشرة آلاف حديث وضعها الزنادقة والملاحدة؛ وهي أحاديث الصفات؛ إذ هي تبطل ربوبية الله وألوهيته، ولم يعلم بذلك المحدِّثون، ولا عاش لها الجهابذة، ولا قاوموا تلك الموضوعات، ولا نظفوا كتبهم عنها؛ فإذًا كيف يُدَّعى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]؟ بل يكون هذا الدين دين الزندقة والإلحاد، حسب إنتاج هؤلاء المتفلسفين، الذين يعطون الأسلحة بأيدي أعداء الإسلام، ويفتحون لهم الأبواب للقدح في هذا الدين القيِّم.

بل الحقيقة بالنظر إلى جهود المحدثين قوانينهم الدقيقة، ومنهجهم القويم المحكم الحكيم المتين، الذي ليس بعده منهج، ومساعيهم في

---

(١) انظر مقالات الكوثري، مقالة بعنوان: نماذج مما في نقض الدارمي ٢٨٢ ـ ٢٨٩، ولا سيما ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٢) انظر مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، للرازي ٢٧/ ١٥١، ومقالات الكوثري ٣٣٠.

تتبُّع الكذابين الوضاعين وتمييز السليم من السقيم، لا يستطيع أحد أن يضع حديثًا واحدًا إلا ويردون كيده في نحره، وهو أمر واقعي ليس مجرد دعوى، ألا ترى لمَّا وضع عبد العزيز بن الحارث التميمي حديثًا أو حديثين في مسند أحمد كيف فضحه الله على رؤوس الخلائق، قال ابن رزقويه: كتبوا عليه محضرًا بما فعل، كتب عليه الدارقطني وابن شاهين وغيرهما[1]. بل لا حاجة إلى مثال آخر، فقد ردوا كيد الثلجي هذا في نحره لمَّا وضع حديث النفس ليتدرج به إلى خلق القرآن، فكشفوا الأستار عن أسراره على رؤوس الأشهاد[2].

ولذلك تحدَّى الإمام الدارمي ـ أصالةً عن نفسه ـ ونيابة عن المحدِّثين وارثي علم رسول الله ﷺ ـ تحدى بأندى صوت هذا الثلجي، إمام الرازي والكوثري، فقال الإمام الدارمي: «وما إخالك إلا وستعلم أنه لا يجوز [يعني: لا يمكن] للزنادقة على أهل العلم بالحديث تدليس، غير أنك تريد أن تهجن العلم وأهله، وتزري بهم من أعين من حواليك من السفهاء بمثل هذه الحكايات، كيما يرتاب فيها جاهل فيراك صادقًا في دعواك، فدونك أيها المعرض فما وجدنا عشرة أحاديث دلسوها على أهل العلم كما وجدنا مما دلسوا على إمامك المريسي، أو جرِّبْ أنت فدلِّسْ عليهم منها عشرة [فضلًا عن عشرة آلاف] حتى تراهم كيف يردونها في نحرك»؟[3]. لأن الله ﷻ خلق الجهابذة النحارير أمثال شعبة، وابن المبارك، وأبي إسحاق

(١) انظر: تاريخ بغداد، للخطيب ١٠/ ٤٦٢، والميزان ٢/ ٦٢٤، واللسان ٤/ ٢٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد، للخطيب ٥/ ٣٥١، والكامل، لابن عدي ٦/ ٢٢٩٣، والميزان ٣/ ٥٧٩.

(٣) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ١٥١.

الفزاري، ووكيع، والسُّفيانَيْنِ، وابن معين، والقطان، وأحمد، وابن المديني، والبخاري، ومسلم وغيرهم، يعيشون لمقاومة الوضع، وكشف أسرار الوضاعين[1].

قلت: ولقد تحدى الإمام الدارمي هؤلاء الجهمية المريسية الثلجية الكوثرية، فرد كيدهم في نحرهم، فلا يستطيعون حراكًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

ثم يقول الدارمي: «وكيف دلس الزنادقة على أهل الحديث اثني عشر ألفًا، ولم يبلغ جميع ما روي عن رسول الله ﷺ وأصحابه اثني عشر ألف حديث [يعني: الأحاديث الصحيحة] بغير تكرار إن شاء الله؟ إذًا رواياتهم كلها من وضع الزنادقة في دعواك»[2].

قلت: لقد صدق الإمام الدارمي وكذب الثلجي، فلو جرَّدت الأحاديث الصحيحة من كتب السنة لما تبلغ هذا المقدار. والدليل على ذلك: أن جميع أحاديث صحيح البخاري بدون تكرار حسب ضبط الحافظ ابن حجر (٢٥١٣) حديثًا[3]، وقد شاركه مسلم في (١٩٠٦) أحاديث، حسب ترقيم الشيخ فؤاد عبد الباقي[4]، وجميع أحاديث صحيح مسلم حسب ترقيم الشيخ فؤاد (٣٠٣٣)[5]، وفيها

---

(١) انظر بعض الأمثلة المهمة لذلك في: لمحات في تاريخ السنة، لأبي غدة ٥٢ ـ ٥٣، فقد نطق بالحق.

(٢) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ١٥١.

(٣) انظر: فتح الباري ١/ ٨٤.

(٤) انظر: آخر حديث من كتابه اللؤلؤ والمرجان ٣/ ٣٣٦، مع تكرار عدة الأحاديث فيه.

(٥) انظر: آخر حديث صحيح مسلم ٤/ ٢٣٢٣.

الموقوفات، وأحاديث المقدمة أيضًا، فلم يبق لمسلم بعد طرح (١٩٠٦) إلا (١١٢٧) حديثًا فصارت أحاديث الصحيحين كلها بما فيها من الموقوفات (٣٦٤٠) حديثًا.

وقد طبع بحمد الله تعالى صحيح سنن ابن ماجه لشيخنا الألباني، وعدد الأحاديث الصحيحة فيها (٣٥٠٣) أحاديث[(١)]. وكم نرى فيها من أحاديث الصحيحين وسائر السنن الثلاثة.

وقد طبع أيضًا صحيح الجامع الصغير وزياداته، فبلغت أحاديثهما (٨٠٥٨) حديثًا[(٢)]، ومع ذلك فيها متون مكررة كما لا يخفى، وهذا الكتاب خلاصة كتب السنة كلها تقريبًا.

أما الأحاديث القولية والفعلية المكررة باعتبار الأسانيد والطرق؛ فقد ذكر السيوطي أنها (٢٠٠٠٠٠) حديث ونيف، وقد جمع السيوطي منها في الجامع الكبير (١٠٠٠٠٠) حديث، واخترمته المنية ولم يكمله[(٣)].

فقد يكون للحديث الواحد مئات الطرق والأسانيد، فقد ذكر الحافظ ابن حجر أن يحيى بن سعيد الأنصاري راوي حديث الأعمال، حدث به عنه سبعمائة نفس[(٤)].

وقال الكوثري: «كان إبراهيم بن سعيد الجوهري يقول: كل حديث لم يكن عندي من مائة وجه فأنا فيه يتيم»[(٥)].

---

(١) انظر آخر حديث من صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٨.

(٢) انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته ٦/ ٣٦٩.

(٣) انظر: مقدمة شيخنا الألباني لصحيح الجامع الصغير ١/ ٣٥.

(٤) التهذيب ١/ ٤.

(٥) تأنيب الكوثري ٢٢١، وانظر: التهذيب ١/ ١٢٤.

فلأجل هذا تزايد عدد الأحاديث، أما بالنظر إلى المتون فالأمر كما قاله الإمام الدارمي السني الصادق الثقة.

وبعد هذا لا يغتر القارئ الكريم طالب الحق بنهيق الثلجي ولا نعيق الرازي ولا نقيق الكوثري في محاولته تكذيب الإمام الدارمي، دفاعًا عن إمامه الثلجي، وتصديقًا له، وإيمانًا بمقالته، وكفرًا بجهود المحدثين[1] الأبرياء الأمناء الثقات الأثبات، شكر الله مساعيهم وحشرنا الله في زمرتهم.

نعم؛ إن الزنادقة والجهمية وغيرهم من الملحدين حاولوا تشويه الإسلام بوضع بعض الأحاديث، ولكن الله تعالى تدارك أمر الإسلام، وحفظ السنة بالجهابذة النحارير الثقات الأثبات الأمناء الحفاظ المتقنين المتيقظين، الذابين كل حملة شعواء، وكرة شنعاء عن السنة، فتتبعوا الكذابين الوضاعين، وشدَّدوا عليهم الخناق، ووضعوا قوانين دقيقة في معرفة الوضع والإدراج والتدليس والأوهام والتصحيف واللقى والسماع والتلقي، كما دونوا أحوال الرواة من المواليد إلى الوفاة، ومن شيوخهم إلى تلاميذهم، فلم يتركوا جليلًا ولا دقيقًا مما يتعلق بالرواية إلا سجلوه.

بل نقول: إن ادعاء هؤلاء وضع الأحاديث بهذه الكمية الهائلة جزء من مخططهم الرهيب، حتى ولو تظاهروا بالتوبة، فإنهم لا يريدون إلا تنفير الناس عن كتب السنة وأهلها، حتى يستأصلوا الإسلام من أصله[2].

(١) انظر: مقالات الكوثري ٢٨٦ ـ ٢٨٧.
(٢) انظر: الوضع في الحديث، للدكتور عمر بن حسن فلاته ١/ ٢٢٢.

بل الحق والواقع أن هؤلاء المتكلمين هم المغفلون الأغمار الجهلة، حيث دس عليهم الفلاسفة والزنادقة أفكارهم، وهم يشعرون[1].

أما المحدثون فهم في حرز من ذلك، وهم على منهج الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

إذًا تكفل الله تعالى دين هذه الأمة، وحفظه بأمثال: شعبة، والسفيانين، وابن المبارك، ويحيى بن معين، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري ومسلم، وغيرهم من النحارير الجهابذة[2].

وهذه حقيقة ومزية واضحة لهذه الأمة على الأمم السالفة الخالية، بحيث قد اعترف بها أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم على رغم أنوفهم، وإن رغم أنف الكوثري.

يقول المستشرق الألماني سبر نجر: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر، الذي يتناول أصول خمسمائة ألف رجل وشئونهم...»[3].

---

(١) لا أنهم لا يشعرون، فقد اعترفوا بذلك في كتبهم مرارًا وتكرارًا، وكتبهم تشهد بذلك، انظر: شرح العقائد النسفية ٧، رمتني بدائها وانسلت.

(٢) راجع: مقدمة صحيح مسلم إن كنت من الممترين، وكذا السنة ومكانتها للسباعي، والسنة قبل التدوين، لمحمد عجاج، ومنهج النقد عند المحدثين، للأعظمي، والوضع في الحديث، للدكتور فلاته، وبحوث في السنة المشرفة، للدكتور العمري وغيرها.

(٣) السنة قبل التدوين، للدكتور محمد عجاج الخطيب ٢٣٨، نقلًا عن التاريخ =

وهناك كلمة مباركة مبنيَّة على علم وصبر وبحث ودقة وإخلاص من الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، عصري الكوثري ومذهبيه، قام بها بعد طول تنقيب في الثناء على منهج المحدثين، بحيث تكفي هذه الكلمة في القضاء على المريسية الثلجية الرازية الكوثرية، كما تقضي على المستشرقين وأفراخهم وجواسيسهم في آنٍ واحد[(١)].

٥ ـ الحنفية المتفلسفة: أمثال ابن سينا الحنفي القرمطي الباطني[(٢)] (٤٢٨هـ)، والجامي الحنفي الاتحادي[(٣)] (٨٩٨هـ).

٦ ـ الحنفية الاتحادية والحلولية: كالجامي المذكور، والسيد الشريف الحنفي الجرجاني، والمحقق التفتازاني وغيرهم، وهم أتباع ابن عربي الاتحادي الملحد[(٤)]، وقد صرَّح الكوثري أن الشاه ولي الله من أهل وحدة الوجود، المعتقد لجميع العقائد في الإله، وأن الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي الحنفي المعروف بالإمام الرباني

ـ الإسلامي ص: ١٣٦، عن تصدير كتاب الإصابة، طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣هـ.

(١) انظر: منهج النقد عند المحدثين، للدكتور الأعظمي، المطبوع مع كتاب التميز، للإمام مسلم ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) هو أبو علي الحسن بن عبد الله ابن سينا، المعروف بالرئيس، ترجمته في الجواهر المضية ٢/٦٣ ـ ٦٤، ٤/٤٨٥، وتاج التراجم ٢٥.

(٣) هو عبد الرحمٰن بن أحمد بن محمد نور الدين الجامي الصوفي الاتحادي الفلسفي الحنفي، ترجمته في الشقائق النعمانية ١٦٠، للطاش كبري زاده، والفوائد البهية ٨٦ ـ ٨٨. يدل على خرافاته كتابه: الدرة الفاخرة، مطبوع مع تأسيس الرازي.

(٤) انظر: حاشية المحقق ولي الدين على حاشية العصام على شرح التفتازاني على العقيدة النسفية ٢.

والملقب بالمجدد الألف الثاني كان من أهل وحدة الشهود[١].

٧ ـ الحنفية الباطنية القرمطية: منهم ابن سينا وأصحابه[٢].

٨، ١٠ ـ الحنفية الشيعية، والحنفية الزيدية، والحنفية المرجئة: وقد ذكر العلامة عبد الحي هذه الفرق الثلاثة من فرق الحنفية[٣]، ومن الحنفية الشيعية: أحمد خيري تلميذ الكوثري، حيث يرى نجاة أبي طالب، وتفضيل علي على أبي بكر ﵁! ويصحح نسب الفاطميين بمصر، مع كونه ماتريديًا جهميًا قبوريًا حنفيًا[٤].

١١ ـ الحنفية المتصوفة أو الصوفية من النقشبندية، والجشتية، والقادرية، والسهروردية:

هذه هي الطرق الأربعة للطريقة، كالمذاهب الأربعة للشريعة عندهم، أو الأولى للباطن، والثانية للظاهر، وغالب الحنفية صوفية على هذه الطرق بما فيهم جميع الديوبندية، حتى جماعة التبليغ منهم، والفنجفيرية منهم، وإليك نص الجماعة الديوبندية من الحنفية: «ليعلم أولًا قبل أن نشرع في الجواب: أنا بحمد الله ومشائخنا ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وجميع طائفتنا وجماعتنا مقلدون لقدوة

---

(١) انظر: حسن التقاضي ٩٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣١ ـ ٥٣٧، والميزان ١/ ٥٣٩، واللسان ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٣، والقصيدة النونية لابن القيم ٤٣، وشرحها: توضيح المقاصد لأحمد بن إبراهيم بن عيسى الشرقي ١/ ٣٣٤، وشرح خليل هراس ١/ ١٣٦.

(٣) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ١٧٩، وأقره أبو غدة الكوثري الحنفي.

(٤) انظر عقائد أحمد خيري في كتابه: الإمام الكوثري ٥٢ ـ ٥٩، المطبوع مع مقالات الكوثري.

الأنام وذروة الإسلام إمام الهمام الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ﷺ في الفروع، ومتَّبعون للإمام الهمام أبي الحسن الأشعري والإمام الهمام أبي منصور الماتريدي ﷺ في الاعتقاد والأصول، ومنتسبون من طرق الصوفية إلى الطريقة العلية المنسوبة إلى السادة النقشبندية، والطريقة الزكية المنسوبة إلى السادة الجشتية، وإلى الطريقة البهية المنسوبة إلى السادة القادرية، وإلى الطريقة المرضية المنسوبة إلى السادة السهروردية ﷺ أجمعين»[(١)].

ويبدو أن الكوثري أيضًا من الصوفية النقشبندية، فقد نظم في الثناء على النقشبندية[(٢)].

وكل بلاء دخل عليهم ما دخل إلا من باب التصوف، كما أقر به كبيرهم الشيخ عامر العثماني، فقد صرح أن العقائد القبورية كالغلو في المشائخ وأنواع المكاشفات وغرائب الكرامات، وعجائب الإلهامات، والتصرف في الكون للأرواح، وإتيان الميت بعد مدة طويلة بجسده العنصري إلى الدنيا، والاطلاع على المغيبات ـ كل هذه العقائد دخلت على علماء الديوبند من باب التصوُّف[(٣)].

---

(١) المهند على المفند، لمحدثهم وإمامهم العلامة خليل أحمد السهارنبوري الهندي، مؤلف بذل المجهود شرح سنن أبي داود ٢٩ ـ ٣٠، والكتاب فيه عجائب من البدع، وهو يمثل عقيدة الديوبندية، وعليه توقيعات من كبار علماء الديوبند، كالعلامة محمود حسن، وأحمد حسن، وعزيز الرحمٰن، وحكيم الأمة أشرف علي، وغلام رسول، والمفتي كفاية الله، وعاشق إلٰهي، ومحمد يحيى الكاندلوي، وغيرهم من كبار علماء الديوبند، انظر: التوقيعات ٨٨ ـ ١٤٨.

(٢) انظر: الإمام الكوثري لأحمد خيري ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) تقرير الشيخ عامر العثماني عن كتاب: الزلزلة، المطبوع مع الزلزلة، لأرشد القادر البريلوي ١٨٢ ـ ١٩٣.

١٢ ـ الحنفية القبورية: وهم يُعرفون بالبريلوية[١] في البلاد الشرقية، الهند وباكستان وما والاهما، وهم حنفية الفروع، ماتريدية العقائد في أبواب الصفات وغيرها، أما في باب توحيد الألوهية فهم وثنية محضة، أصحاب العقائد الشركية بشكل رهيب، وانتشرت القبورية في كثير من بلاد المسلمين، ولو لم تحمل اسم البريلوية.

١٣ ـ الكوثرية: أتباع الكوثري المعروف، وهم جهمية ماتريدية، قريبة من البريلوية، أو هم والبريلوية شيء واحد في باب توحيد الألوهية[٢].

١٤ ـ الحنفية الديوبندية: وهم ماتريدية في العقائد، صوفية السلوك، يمدحون الكوثري ويثنون عليه بشكل لا يُتصور، قاموا بالخدمات الجليلة في نشر كتب الحديث والشروح عليها، والله أكرمهم بعلوم غزيرة وفهم ثاقب، كل واحد منهم إمام وقته ووحيد عصره ونسيج دهره، مع ما عليه من التألُّه والتعبُّد والذكر والتُّقى، غير أنه دخل عليهم في باب التصوف خرافات قبورية، وصاروا في هذا الباب يضاهؤون البريلوية في كثير من الخرافات، وهم أعداء للعقيدة السلفية، ولا سيما لنشأتها الثانية حركة التجديد، التي يسميها

---

(١) من أراد الاطلاع على كون البريلوية وثنية، فليطالع كتاب العلامة إحسان إلٰهي ظهير ١٤٠٧هـ: البريلوية، وقد صادرته الحكومة الباكستانية، والكتاب لا نظير له في الباب، كما كان المؤلف نسيج دهره.

(٢) ويظهر مدى خبث الكوثري وفساد معتقده في باب توحيد الألوهية وكونه قبوريًا محضًا من مقالتيه الخبيثتين؛ إحداهما بعنوان: بناء المساجد على القبور ١٥٦ ـ ١٥٩، والأخرى بعنوان: محق التقول في مسألة التوسل ٣٧٨ ـ ٣٩٧، وفيهما من المخازي والخرافات العجب العجاب!

أعداء الإسلام (الوهابية)[1].

١٥ ـ حنفية التبليغ: جماعة التبليغ هي حنفية ماتريدية صوفية ديوبندية محضة، غير أنهم أصحاب دعوة إلى أفكارهم، أما الديوبندية فهم أصحاب تدريس وتعليم.

١٦ ـ الحنفية الفنجفيرية: وهي أتباع العلامة محمد طاهر بن آصف الفنجفيري الباكستاني، فهم حنفية ماتريدية ديوبندية، إلا أن لهم خدمات جليلة في باب توحيد الألوهية، وأعمالًا جبارة في نشر ترجمة القرآن الكريم في مناطق بشاور والقبائل الحرة وديار أفغانستان، غير أنهم أعداء لأهل الحديث، مقلِّدة متعصِّبة.

١٧ ـ الحنفية الكرامية المشبهة: وهم أتباع محمد بن كرام، المتوفى (٢٥٥هـ)، وكانوا حنفية في الفقهيات، مشبِّهة في الصفات، مرجئة في الإيمان والأعمال، ولذلك يقول أبو الفتح البستي الكرامي في قصيدة يمدح بها السلطان محمود بن سبكتكين:

إن الذين نُجِلُّهم لم يقتدوا   بمحمد بن كرام غير كرام
الرأي رأي أبي حنيفة وحده   والدين دين محمد بن كرام[2]

ويروى: الفقه فقه أبي حنيفة[3].

والكرامية المشبِّهة في الفروع حنفية، وبذلك ألزم شيخ الإسلام

---

(١) راجع عقائد الديوبندية في أهم كتبهم في هذا الباب: المهند على المفند، والشهاب الثاقب، وعقائد أهل السنة والجماعة.

(٢) انظر: طبقات الشافعية، للسبكي ٢/٣٠٥.

(٣) انظر: شرح المواقف، للجرجاني ٣٩٩، وحاشية العصام على شرح التفتازاني على العقائد النسفية ١٦٦، وانظر أيضًا: حواشي ولي الدين والكفوي على حاشية العصام ١٦٦.

الماتريدية والأشعرية في المناظرة معهم في **العقيدة الواسطية**[1].

وقد أنكر الكوثري ـ كعادته في إنكار الحقائق ـ كون الكرامية من الحنفية، وحرَّف هذا البيت كعادته في التحريف، فقال: «المراد من قوله محمد بن كرام: محمد ﷺ، المنتقل من الأصلاب الطاهرة الكِرام»[2]. وإنكار الكوثري هذا كإنكار الشمس في رابعة النهار، ولقد رد سهير محمد مختار كيد الكوثري في نحره، فكفى وشفى وأفاد وأجاد[3]، ولكل فرعون موسى.

وإنما ذكرت فِرَق الحنفية؛ ليعلم القارئ الكريم وطالب الحق الحنفية السلفية الحنفية الكاملة من الحنفية المبتدِعة، لأن الفِرَقَ المبتدعة قد انتسبوا إلى الأئمة ﷺ تشهيرًا ورواجًا لبضاعتهم المزجاة وتستُّرًا عليهم، **قال الإمام ابن أبي العز الحنفي السلفي** رحمه الله: «ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك [يعني: صفة علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه] ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم، وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي لمَّا أنكر أن يكون الله ﷻ فوق العرش مشهورة، ورواها عبد الرحمٰن بن أبي حاتم وغيره»[4].

وقال أبو المظفر الإسفرائيني: «وقد نبع من أحداث أهل الرأي

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٥.

(٢) انظر: حواشي الكوثري على كتاب التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفرائيني ٦٩.

(٣) انظر: التجسيم عند المسلمين، مذهب الكرامية ٥٠، ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٣٢٣.

من تلبَّس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترًا به، فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه، فإن أبا حنيفة بريء منهم ومما نسبو إليه...»[1].

قلت: وهكذا كان إسماعيل بن حماد ابن الإمام أبي حنيفة ينسب خرافاته إلى أبيه وجده كذبًا وزورًا كما مر[2]، وهكذا كان غسان المرجئ ينسب مذهبه إلى الإمام[3]، والأمثلة لهذا كثيرة، ولنعم ما قيل:

وما انتسبوا إلى الإسلام   إلا لصون دمائهم أن لا تسالا

❁ تنبيه هام:

قد يكون فرقة واحدة أو فرد من الأفراد مجمعًا للفرق الشتى، وأفكار مختلفة، فالحنفية الماتريدية معطّلة في باب الصفات، مرجئة في باب الإيمان، وفيهم صوفية وقبورية كالبريلوية، والكوثري حنفي، ماتريدي، جهمي، معطّل، مرجئ، صوفي، خرافي، قبوري، ثم هو مجنون الإمام أبي حنيفة والحنفية.

(١) التبصير في الدين، مع تعليقات الكوثري وإقراره ١١٤.
(٢) انظر ص: ١١٦.
(٣) انظر: الفرق بين الفرق ١٩١، والملل والنحل ١/١٤١، وشرح المواقف ٨/٣٩٧.

(سبب تأليف هذا الكتاب)

هذا وقد ألف شيخ الإسلام العلامة عبد الرحمٰن المعلمي اليماني كتابًا عظيمًا حافلًا بعنوان: **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، تصدى فيه لتنكيل الكوثري بما ارتكبه من الجرائم الموبقات من سبِّ أهل الحديث وشتمهم بلا حق، وإقامة الضعفاء مقام الثقات، وتوثيق الوضاعين والكذابين لحاجة في نفسه، وافتعاله قواعد مخترعة، كما ردَّ كيده في نحره في باب الصفات، ولكن للكوثري مواقف خطيرة أخرى أيضًا غير هذه المذكورة.

ولم أرَ أحدًا من أهل العلم أفرد كتابًا في الرد عليه في تلك المواقف، مع أنها كانت جديرة بالرد والقلع، وحَرِيَّة بالقلع والاستئصال، فاستخرتُ الله تعالى واستوفقتُه وعزمتُ وتوكلتُ عليه أن أؤلف كتبًا عديدة في الرد على الكوثري، كل كتاب في موقف خاص، لما رأيت ذلك واجبًا نصحًا لله ولرسوله ولسنته ﷺ، وأهل الحديث خاصة، وعامة المسلمين، حتى لإخواني الحنفية طالبي الحق منهم، فإن الناس اغتروا بهذا الجرثوم، ولا سيما الحنفية على ظن منهم: «أنه الإمام، المحدِّث، الفقيه، الأصولي، المحقق، المدقق، النظار، البحاثة، المتثبت، الأمين، الثقة، الثبت، التقي، النقي، عالم الرجال»! إلى آخر ما يلقبونه به كذبًا وزورًا.

أما اهتمام علماء الديوبند به؛ فحدِّث ولا حرج، حتى يُخيَّل كأنه إمام معصوم! فتراهم ينقلون مقالاته كاملة في كتبهم، أمثال: فتح الملهم، وإعلاء السنن، وإن كنتَ في مرية؛ فراجع مقدمات مقالات الكوثري.

وأقل ما يقال في مكانة الكوثري: أنه عند الحنفية عامة والديوبندية خاصة بمنزلة شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام مجدد الدعوة عند السلفية أهل السنة وأصحاب الحديث، غير أن هؤلاء الحنفية والديوبندية بصفة أخص غلوا في الرجل حتى كادوا أن يصفوه بالعصمة!

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾، وسميت هذه السلسلة: **سلسلة الأستاذ الكوثري وشيء من أفكاره وآثاره وأنصاره**، وتتضمن هذه السلسلة الذهبية جواهر ولآلي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فالكتاب الأول موسوم: **الكوثري وموقفه من توحيد الألوهية**.

والكتاب الثاني: **الكوثري وسبابه وشتائمة للعقيدة السلفية وحامليها وكتبهم، ودفاعه عن البدعة وأهلها وكتبهم**.

والكتاب الثالث: **الكوثري وقدحه في الأحاديث الصحيحة، وتصحيحه للأحاديث الضعيفة؛ بل الموضوعة**.

والكتاب الرابع: **الكوثري وآثاره الخطيرة المسمومة**.

والكتاب الخامس: **الكوثري وأنصاره**، ويشتمل الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ بالكشف عن مسايرة تلاميذ الكوثري وأنصاره مسيره، ومناصرتهم إياه حتى في الباطل والبدع والسباب والشتائم لأئمة الإسلام، وتكفيرهم والتنفير عن كتبهم وعقيدتهم.

وعلى رأسهم الشيخ أبو غدة مجنون الكوثري، حتى كنى نفسه باسمه ونسب نفسه إليه، فهو أبو الزاهد الكوثري، والذي ينشر أفكار الكوثري الخبيثة، بشتى الطرق والوسائل الخفية، وأنواع الكيد، حتى في البلاد الطيِّبة بلاد التوحيد.

والأستاذ البنوري الحنفي الديوبندي الماتريدي، الذي يمثّل الكوثري في بلاد الهند والباكستان، ويقر الكوثري على كل سب وباطل.

وعبد الحفيظ سعد عطية، ناشر ظلام الكوثري المخيم على نونية ابن القيم، ورضوان محمد رضوان، ناشر مقالات الكوثري وجهالاته وخزعبلاته وتقوُّلاته، وأحمد خيري الرافضي القبوري الخرافي، الذي كتب أطول ترجمة للكوثري، وأطراه وغالى أكذب إطراء وأزور مغالاة.

وأبو زهرة الذي أثنى على الكوثري، وقال باطلًا محضًا وكذبًا بحتًا، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

والكتاب السادس: **الكوثري وموقفه من الإمام أحمد.**

والكتاب السابع: **الكوثري وموقفه من المحدِّثين.**

والكتاب الثامن: **الكوثري وموقفه من شيوخ الإسلام الثلاثة: ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ.**

الكتاب التاسع: **الكوثري وتناقضاته، وكذباته، وخياناته العلمية، وتمويهاته، وأقواله التي تنعكس عليه حجة ووبالًا.**

الكتاب العاشر: **في استقراء بدعه وخرافاته وشذوذاته وخزعبلاته وجهالاته، وأمثلة خروجه عن المذهب الحنفي.**

(شبهة وجوابها)

ولقائل أن يقول: «لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحًا؛ لكان رأيًا متينًا ومذهبًا صحيحًا، إذ الإعراض عن القول المطرح أحرى لإماتة وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهًا للجهال عليه. غير أنا لما تخوفنا من شرور العواقب واغترار الجهلة بمحدثات الأمور وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين والأقوال الساقطة عند العلماء؛ رأينا الكشف عن فساد قوله ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد أجدى على الأنام، وأحمد للقافية ـ إن شاء الله ـ»(١).

(١) اقتباس من كلام الإمام مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ٢٨ ـ ٢٩.

(منهج الرد على الكوثري في هذا الكتاب)

هذا؛ وإني عزمت ـ إن شاء الله ـ تعالى أن أضرب الكوثري بعصى أقواله هو، وأسحق رأسه بسلاحه هو، وأقطع أوداجه بسيوف الحنفية أنفسهم، وصوارم الماتريدية، ومعاضد الديوبندية، الذين يجلُّهم ويثني عليهم، حتى يكون ذلك أقمع في الحجة، وأقطع للعذر، وأوضح للمحجة، ولئلَّا يقول الكوثري: إن هذا دارمي مجسم أخرق، وذاك عابد بقر وصنم ووثن، وذلك حنبلي حشوي مشبِّه، وهذا بربهاري كذاب، وذاك ابن تيمية مبتدع، وهذا ابن القيم ابن زفيل حمار تيس زنديق ملعون، وهذا شوكاني يهودي مندس في المسلمين لإفساد دينهم، وهذا نجدي وهابي زعيم المشبِّهة...!!

غير أني أعترف بضيق باعي في العلوم، ولا سيما في النطاح مع هؤلاء الفرسان، فرسان الكلام والفلسفة، وأنا طويلب، والكوثري شامخ العلم؛ بحيث لو أنظر إلى علو كعبه في العلوم تسقط قلنسوتي، ولكنه لكثرة خبثه ووافر دجله وعظيم كذبه وأنواع شتائمه وسبابه للمحدِّثين الأمناء الأبرياء، وقدحه في الأحاديث الصحيحة، ومناصرته للباطل، وفساد رهيب في معتقده؛ لا يساوي عندي جناح بعوضة؛ بل أهون عندي من ذلك بكثير.

لأن الحق أحق أن يُعَظم، والباطل أحق أن يُحَطَّم، فإنْ لاحظ

القارئ الكريم بعض الهجوم والشدَّة والحدَّة مني على الأستاذ الكوثري؛ فذلك يكون قطرة من بحر سبابه وشتائمه، فقد جرَّأني الأستاذ بعض التجرؤ، وكلمته بلغته، والبادي أظلم، فليلاحظ القارئ ذلك، وليعذرني، والعذر عند كرام الناس مقبول.

والرجاء من أهل العلم إن وجدوا لي زلة أو هفوة أن يوجهوا إليَّ النصيحة، وأن يتجنبوا الفضيحة، ولنعم ما قيل:

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تُبدي المساويا

(الابتهال إلى الله تعالى)

اللهم يا حي يا قيوم، يا رحمن يا رحيم، يا قوي يا عزيز، يا عليم يا حكيم، أنت تعلم نيَّتي، وللسُّنة مدى محبتي، وخبير بسري وعلانيتي، فانصرني واغفر لي حوبتي، واستر لي زلتي، عزَّ جَارُكَ ولا إله غيرك، أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى وإيماني بك وصفاتك وملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر والقدر خيره وشره ومتابعتي عبدك ورسولك محمد ﷺ وحبي السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة هذا الدين ودفاعي عنهم؛ أن تحفظني من كل شر، وأن تكرمني بكل نفع وخير، وأن يرفع ذكر هذا الكتاب في الأمصار، ويسيره في الأعصار، ويحصل له الحواريين والأنصار، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحانك اللهم وبحمدك نستغفرك ونتوب إليك.

خطة الكتاب

يشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة؛ فقد مضت.

* والباب الأول: **في بيان عقائد الكوثري الشركية والرد عليه.**
وفيه تمهيد وفصول ثلاثة.

أما التمهيد: ففي أهمية توحيد الألوهية، وعرض عقيدة الكوثري.

والفصل الأول: في مناقشة عقيدة الكوثري في إثباته علم الغيب لغير الله تعالى، والتصرف لأرواح الأولياء، وتجويزه نداء الأموات وقت المصيبة، وزيارة القبور لهذا الغرض.

الفصل الثاني: في بيان خطورة زيارة القبور للاستغاثة والاستعانة، وبيان الفرق بين الزيارة السُّنية والشركية والبدعية.

الفصل الثالث: في مناقشة الكوثري في إثباته لسماع الموتى وحياتهم حياة دنيوية، ليتدرج بذلك إلى الاستغاثة بهم.

* الباب الثاني: **في مناقشة الكوثري في تجويزه بناء القباب والمساجد على القبور، والصلاة إليها تبركًا وحصولًا للفيض منهم.**
وفيه تمهيد وفصول ثلاثة.

التمهيد: في عرض عقيدة الكوثري في هذا الباب.

الفصل الأول: في تحريم بناء القبب والمساجد على القبور.

الفصل الثاني: في تحريم الصلاة إلى القبور، وخطر الزيارة الشركية وخطورة البناء على القبور.

الفصل الثالث: في الجواب عن شبهات الكوثري.

* الباب الثالث: **في التوسل.** وفيه تمهيد وثلاثة فصول.

أما التمهيد: ففي عرض عقيدة الكوثري الشركية تحت ستار التوسل.

الفصل الأول: في مفهوم التوسل لغة وشرعًا.

الفصل الثاني: في الجواب عن تشبُّث الكوثري بالكتاب والسنة في إثبات التوسُّل الخرافي.

الفصل الثالث: في الجواب عن شبهات الكوثري وتشبُّثه بالعمل المتواتر والتحاكم إلى المتكلمين واللجوء إلى المنامات.

وأما الخاتمة: في أنواع جنونه الثلاثة، والأمثلة على خروجه عن المذهب الحنفي.

الباب الأول

في بيان عقائد الكوثري الشركية والرد عليه

وفيه تمهيد، وفصول ثلاثة:

التمهيد: **في عرض عقيدة الكوثري في توحيد الألوهية، وأهمية توحيد الألوهية، وخطورة ما يضاده كله أو بعضه.**

الفصل الأول: **في مناقشة الكوثري في زعمه أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب؛ بل يعلم ما في اللوح والقلم، وإثباته التصرف لأرواح الأولياء، وأنها مدبرات العالم، وتجويزه نداء الأموات في المصائب والملمَّات، وزيارة القبور لهذا الغرض.**

الفصل الثاني: **في خطورة زيارة قبور الأولياء للاستعانة منهم والاستغاثة بهم، وبيان الفرق بين الزيارة السنية وبين الزيارة البدعية الشركية.**

الفصل الثالث: **في مناقشة محاولة الكوثري لإثبات سماع الموتى، وإثبات الحياة الدنيوية لهم، حتى يتدرج بهاتين المقدمتين إلى جواز ندائهم، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم، والتوسل بهم توسلًا شركيًا بدعيًا.**

التمهيد

في عرض عقيدة الكوثري في توحيد الألوهية
وأهمية توحيد الألوهية،
وخطورة ما يضاده كله أو بعضه

قد ثبت بالاضطرار من دين الإسلام أن توحيد الألوهية هو غاية خلق الجن والإنس[1]، ولأجله أرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وهو دعوة الأنبياء والمرسلين أجمعين[2].

وهو أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول واجب، وآخر واجب، وأول ما يُدْخَلُ به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا[3].

---

(١) تدبر في قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) تفكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال عن كثير من الرسل: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤].

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ٧٤ ـ ٧٥ باختصار، وانظر أيضًا: شرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ١٥ ـ ١٧، ولا تخفى مكانتهما عند الحنفية؛ بل الكوثري ذكر القاري في قائمة كبار أئمة الحنفية. انظر: فقه أهل العراق، بتحقيق أبي غدة.

كيف دخل الشرك في الناس؟

إن أول فساد في الأرض في تاريخ البشر إنما كان بالإخلال في هذه الغاية، انظر تاريخ قوم نوح[1]، فإنهم غلوا في عباد الله الصالحين والأولياء المتقين، فأطروهم إطراءً، ورفعوهم عن مقام العبودية إلى الألوهية تدريجًا، وهكذا تطور، وانظر في تاريخ آلهة المشركين ولا سيما العرب، فإنهم كانوا في الأصل عبادًا صالحين[2]؛ بل كان فيها من هو من الأنبياء والمرسلين[3]، فصار

---

(١) تدبر أيها المسلم في تفسير حبر الأمة، وترجمان القرآن، وعالم التأويل، ذلك الصحابي الجليل، عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقول الله تعالى عن قوم نوح رسول الله ﷺ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا، فلم تعبد حتى هلك أولئك، وتنسخ العلم؛ عبدت» رواه البخاري ٤/ ١٨٧٣.

(٢) وقال حبر الأمة: (كان اللات رجلًا يلت سويق الحاج). رواه البخاري ٤/ ١٨٤١، وقال الشاه ولي الله الدهلوي إمام الحنفية: «وكفر الله مشركي مكة بقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحاج، أنه نصب منصب الألوهية، يستعينون به عند الشدائد». البدور البازغة ١٢٦، وقال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: «فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه». انظر تفسير ابن جرير ٢٧/ ٥٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٤، وقال أنور شاه الكشميري الديوبندي الذي يثني عليه الكوثري: «هبل اتخذوه على اسم هابيل المقتول». فيض الباري ٤/ ٩٦.

(٣) فقد كانوا يعبدون العزير والمسيح بنص القرآن، كما أنهم يعبدون إبراهيم وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام، وقد أخرج يوم الفتح صورة إبراهيم وإسماعيل وفي أيديهما الأزلام من الكعبة. انظر: صحيح البخاري ٢/ ٥٨٠، ٣/ ١٢٢٣، ٤/ ١٥٦١، بل وصورة مريم أيضًا. انظر: صحيح البخاري ٣/ ١٢٢٣.

الغلو في الصالحين مبدأ الشرك العظيم بالله، والانحراف عن توحيد الأنبياء والمرسلين الغاية العظمى.

وأما الصور والتماثيل فلم تكن مقصودة عندهم؛ بل كانت قبلة التوجه إلى هؤلاء الأولياء وأرواحهم وتذكرة لهم، كما أن الأولياء لم يكونوا غاية لدى المشركين؛ بل ليتشفعوا بهم عند الله، ويتوسلوا بهم إلى الله، كما صرح به كتاب الله[1].

فتدريجًا جعل هؤلاء يعتقدون فيهم علم المغيبات، وسماع النداء، والقدرة على النفع والضر، فكانوا يستغيثون بهم، ويتوسلون بهم، وينذرون لهم، ويبنون على قبورهم قببًا ومساجد، فعكفوا على قبورهم، وصلوا إليها.

فلما بعث الله نبي الرحمة ﷺ دعا الناس إلى خالص توحيده والإفراد بالعبادة له تعالى، وسد جميع تلك الذرائع والوسائل التي

---

(١) قال الشاه ولي الله الدهلوي إمام الحنفية رحمه الله: «والمشركون وافقوا المسلمين في تدبير الأمور العظام، وفيما أبرم وجزم ولم يترك بغيره خيرة، ولم يوافقوهم في سائر الأمور، ذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه فأعطاهم الله الألوهية، فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله، كما أن ملك الملوك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوض إليه تدبير بلد من بلاده، فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد، وقالوا: لا تقبل عبادة الله إلا مضمومة بعبادتهم؛ بل الحق في غاية التعالي فلا تفيد عبادته تقربًا منه؛ بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقربوا إلى الله زلفى، وقالوا: هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم، ويدبرون أمورهم، وينصرونهم، فنحتوا على أسمائهم أحجارًا، وجعلوها قبلة توجههم إلى هؤلاء...». حجة الله البالغة ١/٥٩، وارجع أيضًا إلى قول الرازي إمام الكوثري الذي يوجب التحاكم إليه، التفسير الكبير، المجلد التاسع ١٧/٦٣.

فيها أدنى شائبة الوصول إلى الشرك، أو فيها أدنى رائحة الإخلال بتوحيد الألوهية[1]، فأشرقت الأرض بنور ربها بعدما كانت ظلماء، واستقامت الطريق بعدما كانت عوجاء، فجاء بالملة الغراء، والمحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، أو ضال متهالك حالك.

عرض عقيدة الكوثري الشركية، في باب توحيد الألوهية

ولكن الأستاذ الكوثري ـ ذلك الإمام المحقق الأصولي المتقن البحاثة النقادة. . . الذي يفتخر به السادة الديوبندية؛ بل الحنفية جمعاء في العالم أجمع ـ جمع الطامات، ووقع في الظلمات، وحاول أن يحيي دولة مشركي العرب، الوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء، كما حاول أن يقيم دولة الجهمية وابن أبي دؤاد، فليس الكوثري في باب توحيد الألوهية إلا بريلويًّا محضًا، خرافيًّا بحتًا، قبوريًّا صرفًا، وإليك نماذج من خرافاته، وأمثلة من خزعبلاته:

١ ـ يجوز البناء والقبب والمساجد على القبور[2].

٢ ـ يجوز الصلاة إلى القبور لقصد الاستظهار بوجه، أو وصول أثر من آثار عبادة الولي إليه[3].

---

(١) فلا يخفى على أهل العلم منع النبي ﷺ أول الأمر عن زيارة القبور، وقصة ذات أنواط، ومسألة ما شاء الله وشئت أو ثم شئت، ومسألة النهي عن القيام إلى الغير تعظيمًا، ومسألة ملك الأملاك، وغيرها، فكيف تجصيص القبور والبناء عليها والصلاة إليها.

(٢) انظر: مقالات الكوثري ١٥٦.

(٣) المصدر السابق ١٥٧.

٣ - يجوز إيقاد السرج والشموع على القبور، تعظيمًا لروح الولي المشرقة على تراب جسده، كإشراق الشمس على الأرض، إعلامًا للناس أنه ولي ليتبركوا به، ويدعوا الله عنده فيستجاب[١].

٤ - يعتقد أن النبي ﷺ يشفع في البرزخ، ويعلم بسؤال السائل[٢].

٥ - كما يعتقد أن النبي ﷺ يعلم علم اللوح والقلم[٣]، وفي ذلك يدخل الكون كله وما فيه من حوادث وحركة وسكون.

٦ - كما يرى جواز التوسل بذاته ﷺ، وندائه بعد موته ﷺ لتفريج الكربات[٤].

٧ - كما يعتقد زيارة القبور للبركة بها والدعاء عندها فيستجاب لهم[٥].

٨ - كما يؤمن بزيارة القبور للاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع الملمَّات[٦].

٩ - يستيقن أن زيارة مراقد الأولياء معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهده أهل البصائر[٧].

١٠ - كما يؤمن بأن الأرواح يظهر منها آثار في أحوال هذا

---

(١) المصدر السابق ١٥٨

(٢) المصدر السابق ٣٨٩.

(٣) المصدر السابق ٣٧٣.

(٤) المصدر السابق ٣٩١، ٣٨٩.

(٥) المصدر السابق ١٥٨.

(٦) المصدر السابق ٣٨٥، وظلام الكوثري ١٦٢.

(٧) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٦، وظلامه المخيم ١٦٢.

العالم، فهي المدبِّرات أمرًا(١).

١١ ـ ويرى أن تلك النفوس لمَّا فارقت أبدانها فقد زال الغطاء وانكشف لها عالم الغيب(٢). وقصده بذلك إثبات التصرف للأرواح.

١٢ ـ ويذعن أن التوسل لغة وشرعًا توسل بذات الولي وشخصه في حضوره وغيبته وبعد موته، كما أنه بعمل صالح(٣).

١٣ ـ وأن التوسل بدعاء الحي وطلب الدعاء من المتوسَّل به ليس من التوسل لا لغة ولا شرعًا(٤).

١٤ ـ وأن الفرق في التوسل بين التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبين التوسل به بعد مماته مأخوذ من اليهود(٥).

١٥ ـ كما أنه يعتقد أن الأموات يسمعون، وأما آيات نفي السماع ففي حق المشركين(٦).

١٦ ـ وأن عدول عمر إلى العباس لم يكن من جهة أن الرسول ميت لا يسمع النداء(٧).

١٧ ـ وأن الأنبياء أحياء في قبورهم(٨). كلمة حق أريد بها الباطل.

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢، وظلامه المخيم ١٦١.
(٢) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٣.
(٣) المصدر السابق ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٦.
(٤) المصدر السابق ٣٨٧.
(٥) انظر: تكملة الرد على ابن القيم، وهي تعليقات على السيف الصقيل المنسوب إلى السبكي ١٥٥ ـ ١٥٦، وأسَمِّي هذا الكتاب باسم: ظلام الكوثري.
(٦) مقالات الكوثري ٣٩٦ ـ ٣٩٧.
(٧) المصدر السابق ٣٨٠.
(٨) المصدر السابق ٣٨٧.

١٨ - ثم يعتقد أن عقائده تلك هي العقائد الإسلامية الثابتة بالكتاب والسنة، واللغة والشرع، والمعقول، وإجماع الأمة وتعاملها، والعمل المتوارث طبقة بعد طبقة من لدن الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا[(١)].

١٩ - وأن من لا يقول بما قاله الكوثري فهو متقوِّل أفَّاك، لا يصدر ذلك إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح المؤدي إلى إنكار البعث، ومحجوج بالكتاب والسنة والعمل المتوارث والمنقول[(٢)]. ومقصر عن الهوى، ومحرِّف للنص، ومؤوِّل بدون دليل، ومحاول للمحال، ومبطل للسنة الصحيحة بالرأي[(٣)]، ويقول: «وتعسًا لرأس يتخيل ذلك»[(٤)]، «ومن عاند بعد ذلك فهو زائغ عن السبيل»[(٥)]، «ولكن الهوى يعمي ويصم»[(٦)]، «وقد أحسن المالكي صديقنا فألف عدة كتب في دفع شبه يصطنعها التيميون حول التوسل، فأزاح ظلماتهم»[(٧)]، «رمي المسلمين بالإشراك بسبب التوسل ما هو إلا تهور. . .»[(٨)]، كما ينوه غاية التنويه بدلائل الخيرات للجزولي، وبردة البوصيري، ويجلهما غاية الإجلال[(٩)]. وكل من لا يرى

---

(١) مقالات الكوثري ١٥٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق ٣٨٠.

(٤) المصدر السابق ٣٨٥.

(٥) المصدر السابق ٣٨٦.

(٦) المصدر السابق ٣٨٧.

(٧) المصدر السابق ٣٩٦.

(٨) المصدر السابق ٣٩٧.

(٩) انظر المصدر السابق ٣٧٢.

خرافات الكوثري وتوسله البدعي فهو عنده منحرف عن رسول الله ﷺ ومتضايق من سماع مناقبه ﷺ[1]، وأن إنكار التوسل المزعوم المبتدع الشركي مأخوذ من اليهود[2].

٢٠ ـ كما يطعن ذلك الإمام. . ـ الذي يفتخر به السادة الديوبندية ويطرونه، وقد كتب زعيم الديوبندية الشيخ البنوري مقدمة مطرية لكتاب الكوثري المقالات ـ في حديث أبي الهياج الأسدي في هدم البناء على القبور، وحديث جابر في النهي عن تجصيص القبور والصلاة إليها والكتابة عليها[3]، وهما من أحاديث صحيح مسلم، كما يطعن في حديث ابن عباس: (إذا استعنت فاستعن بالله) ويحرفه[4]، وكما يحرف معنى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[5].

٢١ ـ كما يتشبَّث بالموضوعات والمنامات، حتى بمنام الفردوسي، ذلك الشاعر الفارسي[6]، وروح رستم، ذلك الكافر المجوسي، ملك الفرس، المقتول يوم القادسية.

٢٢ ـ كما يتحاكم ويفزع إلى المتكلّمين حتى في باب توحيد الألوهية، فيقول: «وأما من جهة المعقول؛ فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي، والعلامة سعد الدين التفتازاني، والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين، الذين يُفزع

(١) انظر المصدر السابق ٣٧٢، ٣٩٢.
(٢) انظر ظلام الكوثري تعليقاته على السيف الصقيل ١٥٦.
(٣) مقالات الكوثري ١٥٩.
(٤) المصدر السابق ٣٩٦.
(٥) المصدر السابق ٣٩٦.
(٦) المصدر السابق ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة؛ قد صرحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتًا، وأي صفيق يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور، والدعوة إلى الإشراك بالله، وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر والتوحيد والإشراك...»[1].

قلت: مع أنهم أفنوا أعمارهم في توحيد الربوبية[2]، وجعلوه غاية[3]، فلم يعرفوا توحيد الأنبياء والمرسلين[4].

---

(١) المصدر السابق ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٢) والمشركون مقرون بهذا التوحيد، انظر كلام الإمام ابن أبي العز الحنفي، ذاك الثقة الثبت عندهم، في شرح العقيدة الطحاوية ٧٦ ـ ٨٥، وحجة الله البالغة ١/٥٩، ١٢٥، والفوز الكبير ٥، كلاهما للشاه ولي الله الحنفي.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) راجع المصدر السابق ٧٩، كلام طيب مفيد.

الفصل الأول

في مناقشة الكوثري
في زعمه أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب؛ بل يعلم ما في اللوح والقلم، وإثباته التصرف لأرواح الأولياء، وأنها مدبرات العالم، وتجويزه نداء الأموات في المصائب والملمات،
وزيارة القبور لهذا الغرض.

عقيدة الكوثري في هذا الباب بعينها عقيدة البريلوية القبورية الوثنية بلا شك، المأخوذة من عقيدة مشركي العرب في الجاهلية الأولى، فهو يثبت علم الغيب للرسول ﷺ وللأولياء بعد موتهم.

كما يثبت لهم جميعًا تصرفًا في تدبير الكون.

ولهذا يجوِّز نداءهم، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم في البليات ونزول الشدائد والملمات، وزيارة قبورهم لهذا الغرض، فهذه أربع مسائل هامة في هذا الباب، نناقشه في كل مسألة.

المسألة الأولى

عقيدة علم الغيب لغير الله تعالى

يعتقد الكوثري أن النبي ﷺ في برزخ يعلم سؤال السائل[(١)].

بل يثبت له ﷺ علم اللوح والقلم، ويدافع في ذلك عن البوصيري[(٢)]، صاحب البردة، ويؤيده في أن النبي ﷺ يعلم جميع أحداث هذا الكون، مما سجله القلم في اللوح المحفوظ[(٣)].

بل يقول الكوثري: «وليس الغيب كله ولا العلم كله ما في اللوح فقط، حتى يلزم من نفى العلم بالغيب نفي علم ما في اللوح،... على أن العلم بإعلام الله لا يكون من الغيب في شيء»[(٤)].

وهذا هو عين الكفر الصريح، والضلال القبيح، وهذه عين

---

(١) مقالات الكوثري ٣٨٩. وقد علق المصنف رحمه الله على هذه المسألة بقوله: «فيه أنه يثبت ذلك العلم بشرط حضور السائل عند القبر، كما يدل عليه سياقه لأثر مالك الدار، وهذه من مسائل سماع الأموات، وليست من مسائل علم الغيب، فليتأمَّل».

(٢) هو محمد بن سعيد البوصيري الصبنهاجي، المتوفى سنة ٦٩٥. انظر: الوافي بالوفيات ٣/ ١٠٥ ـ ١١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٢.

(٣) انظر: مقالات الكوثري ٣٧٣.

(٤) مقالات الكوثري ٣٧٣.

مقالة البريلوية، الذين يكفرون جميع علماء مدرسة الديوبند، كما أن الديوبندية يكفرون البريلوية بمثل هذه العقائد[1].

فإذا عَلِمَ النبيُّ ﷺ عِلْمَ ما في اللوح والقلم؛ فقد عَلِمَ ما كان وما يكون إلى الأبد، كما أنه عَلِمَ الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، وما في غدٍ، وأين تموت النفوس، ومتى تموت؛ بل لم يخرج عن هذه الكلية إلا شيء غير مكتوب في اللوح! وليس هذا إلا تكذيب الأنبياء والمرسلين وكتب رب العالمين، ومنابذة أحاديث من أُرسل رحمةً للعالمين ﷺ، وترك عقيدة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين، بما فيهم الحنفية وغيرهم من المجتهدين، فهل يبجل السادة الحنفية الديوبندية هذا الكوثري بعد هذا؟ وعقيدته عين عقيدة البريلوية حذو القذة بالقذة، أم أن النزاع بين الديوبندية والبريلوية نزاع لفظي، أو نزاع وطني عنصري عصبي فقط؟ فهل يبقى للكوثري عند الديوبندية «الإمام المحقق المدقق البحاثة النقادة عالم بأقدار الرجال...»؟ أم يكون خرافيًا محضًا بريلويًا بحتًا؟

فإذا كان النبي ﷺ يعلم جميع ما في اللوح والقلم وما كان وما يكون، وأن هذا بإعلام الله وليس من علم الغيب في شيء، ومعلوم

(١) راجع كتاب: إزالة الريب عن عقيدة علم الغيب، للعلامة محمد سرفرازصفدر الحنفي الديوبندي، وهو من أهم الكتب على الإطلاق في هذا الباب وأحسنها. وكتاب: البريلوية، للعلامة إحسان إلهي ظهير السلفي، ذلك الخطيب المصقع، والكاتب الإسلامي الغيور، وهو أحسن الكتب وأسلمها في الكشف عن البريلوية. وكتاب: الزلزلة، لأرشد القادري البريلوي الخرافي، الذي كشف الستار عن أسرار الديوبندية بغاية إنصاف وعدل وإلزام، وهذه الكتب كلها مطبوعة معروفة.

بالضرورة أن كل صغير وكبير في اللوح مستطر بنص الكتاب.

فما معنى قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[10]، وقوله

---

(١) الأنعام: ٥٠.
(٢) الأعراف: ١٨٨.
(٣) هود: ٤٩.
(٤) ص: ٦٧ ـ ٧٠.
(٥) الأحقاف: ٩.
(٦) التوبة: ١٠١.
(٧) النمل: ٦٥.
(٨) هود: ١٢٣، النحل ٧٧.
(٩) الكهف: ٢٦.
(١٠) الأنعام: ٥٩.

تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾[5]، ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾[6]، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[7]، وهذه الخمس من المفاتح بلا شك، والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

وما معنى قوله ﷺ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)[8].

وقوله ﷺ: (لو استقبلت ما استدبرت ما أهديت..)[9].

وأضعاف أضعاف ذلك؛ بل مئات وألوف من الوقائع والحوادث التي دل الكتاب والسنة على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم عنها شيئًا.

---

(١) البقرة: ٣٣.

(٢) فاطر: ٣٨.

(٣) الحُجُرات: ١٨.

(٤) يونس: ٢٠.

(٥) الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤، ١٠٥، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، السجدة: ٦، الزمر: ٤٦، الحشر: ٢٣، الجمعة: ٨، التغابن: ١٨.

(٦) المائدة: ١٠٩، ١١٦، التوبة: ٧٨، سبأ: ٤٨.

(٧) لقمان: ٣٤.

(٨) رواه البخاري ١/ ٢٧، ٤/ ١٧٩٣، ومسلم ١/ ٣٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث جبريل المعروف.

(٩) رواه البخاري ٢/ ٥٩٥، ٦٣٣، ٨٨٦، ٢٦٤٢، ٢٦٨١، ومسلم ٢/ ٨٨٨، من حديث جابر رضي الله عنه، وهو حديث حجة الوداع المعروف.

سبحان قاسم العقول!! فمن يحاول المحال والضلال؟ كقصة غزوة بدر، وغزوة أحد، وتبوك، والأحزاب، وحديث الإفك، وحديث ضياع عقد عائشة ﷺ، وقصة مسجد الضرار، وقصة السم، وقصة السحر، وقصة ذي اليدين، كما أنه ﷺ لا يعلم الشعر؛ بل صرح الماتريدية أئمة الكوثري أنه ﷺ لا يعلم اللغات الأعجمية، والفنون الدنيوية، من علوم الزراعة وغيرها من الحِرَفِ، ولا بعض شرائع من تقدَّمه من الأنبياء، ولا بعض المسائل التي يفرِّعها الفقهاء والمتكلِّمون، لعدم خطورها بباله[(١)]، فهل هذه الحوادث خارجة عما في اللوح والقلم؟ أم أن النبي ﷺ يعلمها كلها؟ وأن الرجل بريلوي محض؟

وإليك بعض نصوص أئمة الحنفية، حتى تعلم أن الرجل يضحي بالمذهب الحنفي لخرافاته القبورية والكلامية:

١ ـ قال ابن الهمام، محدث الحنفية وفقيههم ومتكلمهم: «وكذا علم المغيبات، إلا ما علمه الله به أحيانًا، وذكر الحنفية تصريحًا بالتكفير باعتقاد أن النبي ﷺ يعلم الغيب، لمعارضة قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(٢)]»[(٣)].

---

(١) انظر: المسايرة، للإمام ابن الهمام، مع شرحيه لقاسم بن قطلوبغا، والمسامرة، لابن أبي شريف ٢٣٥.
تنبيه: ليعلم القاري أولًا: أن الكوثري قد خالف المتكلمين الماتريدية، كما خالف الفقهاء الحنفيين، وليعلم ثانيًا: أن الكوثري كما يضحي بالمذهب الحنفي للخرافات القبورية؛ كذلك قد يضحي بالمذهب الماتريدي لها.

(٢) النمل: ٦٥.

(٣) المسايرة، للإمام ابن الهمام مع شرحه المسامرة، لابن أبي شريف تلميذه ٢٣٥، وقد ذكره الكوثري في قائمة كبار أئمة الحنفية، انظر مقدمته لنصب الراية ٤٧.

٢ ـ ومثله قال **الملا علي القاري (١٠١٤هـ)**، محدث الحنفية وفقيههم ومتكلمهم[١].

وتدبر كلمة: «أحيانًا» في أقوال الحنفية، وقارنها بقول الكوثري: «إنه ﷺ يعلم ما في اللوح والقلم».

٣ ـ **وقال فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي**، المعروف بقاضي خان (**٥٩٢هـ**): «رجل تزوج امرأة بغير شهود، فقال الرجل: [خداى را وپيغامبر را گواهكردم][٢]، قالوا: يكون كفرًا لأنه اعتقد أن رسول الله ﷺ يعلم الغيب، وهو ما كان يعلم الغيب حين كان في الأحياء فكيف بعد الموت»[٣].

فالحمد لله، الآن قد قضي على الكوثري وكلامه الثرثري.

وقول قاضي خان هذا يبطل أيضًا ما يقرره الكوثري من أن «الأرواح لما فارقت الأبدان فقد زال الغطاء وانكشف لها الغيب...»[٤].

٤ ـ **وقال ابن نجيم**، ذلك الفقيه الذي يلقبونه أبا حنيفة الثاني، يقول: «وفي الخانية والخلاصة: لو تزوج بشهادة الله ورسوله؛ لا ينعقد، ويكفر، لاعتقاده أن النبي ﷺ يعلم الغيب»[٥].

---

(١) انظر: شرح الفقه الأكبر ٢٢٥، وشرح الشفاء ٢/٤٦٩، وقد ذكره الكوثري في قائمة كبار أئمة الحنفية، انظر مقدمته لنصب الراية ٤٧.

(٢) ما بين قوسين جملة فارسية معناها: (أشهدت الله والرسول).

(٣) فتوى قاضي خان المعروفية بالخانية ٣/٥٧٦، المطبوعة على هامش الفتوى الهندية.

(٤) مقالات الكوثري ٣٨٣. نعم هذا صحيح بالنسبة إلى ما ينكشف لها من نعيم أو عذاب، لا بالنسبة إلى الدنيا، فهنيئًا لهذا البريلوي.

(٥) بحر الرائق شرح كنز الدقائق ٣/٨٨.

٥ ـ **وقال ابن البزاز الكردري الإمام (٨٢٧هـ)**: «تزوج بلا شهود وقال: [رسول خدائ او فرشتكان را گواهكردم]، يكفر لأنه اعتقد أن الرسول والملك يعلمان الغيب»[١].

بل يعتقد الكوثري في جميع الأرواح ـ ولا سيما أرواح الأولياء ـ الإدراك والتعلق بين الحي وبينها، فيقول عن التفتازاني: «للنفس اطلاع على بعض جزئيات أحوال الحياة سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور، والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات واستدفاع المُلِمَّات..». ثم قال الكوثري: «هذا هو تحقيق هذا الإمام الجليل، أفهذا أيضًا ممن لا يميز بين التوحيد والإشراك؟ فتعسًا لرأس يتخيل ذلك»[٢].

قلت: قد عرف القارئ الكريم سوء حالة هذا الإمام الجليل، المتكلم الكبير، التفتازاني، الذي يعتقد أن الكتب السماوية والأحاديث النبوية جاءت على خلاف الدين الحق، وهو الذي ادعى رؤية النبي ﷺ يقظة[٣]، وادعى أنه تفل في فيه[٤]، أمثل هذا يكون إمامًا جليلًا، أو يميِّز بين التوحيد والشرك؟ فتعسًا لرأسٍ يتخيَّل ذلك.

كما أن الكوثري يزعم: «أن الأرواح إذا فارقت الأبدان؛ زال

(١) الفتوى البزازية ٦/ ٣٢٥، ومثله في الفتوى الهندية ٢/ ٢٦٦.
(٢) مقالات الكوثري ٣٨٥.
(٣) انظر ص: ٨١، ٤٥٥، من هذه الرسالة.
(٤) انظر ص: ٨١، ٤٥٥، من هذه الرسالة.

عنها الغطاء، وانكشف لها الغيب...»[1]، كما نقله عن الرازي، مع أن هذا بالنسبة للبرزخ لا لأحوال الدنيا.

فاسمع يا أستاذ قول أئمتك الحنفية: «قال علماؤنا: من قال أرواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر»[2].

(١) مقالات الكوثري ٣٨٥.

(٢) الفتوى البزازية ٦/ ٣٢٦، البحر الرائق ٥/ ١٢٤.

المسألة الثانية

تصرف أرواح الأولياء بعد موتهم في هذا الكون

يثبت الكوثري التصرف في العالم للأرواح؛ بل يعتقد أن الأرواح هي المدبِّرات أمرًا في أحوال هذا العالم!

هذا هو الكوثري الحنفي، والآن استمع لأقوال أئمة الحنفية في الرد عليه:

١ ـ «إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاده ذلك كفر»[(١)]. وهذا عين شرك مشركي مكة وغيرهم.

٢ ـ **قال الشاه ولي الله الدهلوي**، زعيم الحنفية: «وكفَّر الله مشركي مكة بقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحاج: أنه نصب منصب الألوهية؛ فجعلوا يستعينون به عند الشدائد»[(٢)].

وقال: «وأصل ضلالهم: أن آباءهم لحقوا ببعض المعربين ورأوا منهم التأثير، وعلموا أنهم أحياء، فلهذا عظموهم، وطلبوا منهم الحوائج»[(٣)].

وقال: «ومنها: أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم؛ من

(١) البحر الرائق ٢/٢٩٨، رد المحتار على الدر المختار ٢/٤٣٩.

(٢) البدور البازغة ١٢٦.

(٣) الخير الكثير ١١٨، الخزانة العاشرة.

شفاء المريض، وغناء الفقير، وينذرون لهم يتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور، ويتلون أسماءهم رجاء بركتها، فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝﴾[1]، وليس المراد من الدعاء: العبادة، كما قاله بعض المفسرين؛ بل هو: الاستعانة...»[2].

ثم الكوثري يحرف معنى قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝﴾[3] وينقل عن الرازي: «إن الأرواح البشرية... يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم فهي المدبِّرات أمرًا، أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها؟». وجعل هذا تفسيرًا لكتاب الله وأقرّه[4].

وإليك نص كلام الرازي، لتعرف ضلال هؤلاء وبُعدهم عن معرفة حقيقة توحيد الألوهية سلفًا وخلفًا.

يقول الرازي: «الوجه الثالث في تفسير الكلمات الخمسة[5]: أنها هي الأرواح، .... ثم إن هذه الأرواح الشريفة العالية لا يبعد أن يكون لقوتها وشرفها يظهر منها آثار في هذا العالم، فهي ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝﴾[6]، أليس أن الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن

---

(١) الجن: ١٨.

(٢) حجة الله البالغة ١/ ٦٢.

(٣) النازعات: ٥.

(٤) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢.

(٥) يريد: (النازعات، والناشطات، والسابحات، والسابقات، والمدبرات)، في بداية سورة النازعات، الآيات ١ ـ ٥.

(٦) النازعات: ٥.

مشكلة فيرشده إليها؟ أليس أن الابن قد يرى أباه في المنام فيهديه إلى كنز مدفون؟ أليس أن جالينوس[1] قال: كنت مريضًا فعجزت عن علاج نفسي، فرأيت في المنام واحدًا أرشدني إلى كيفية العلاج! أليس أن الغزالي قال: إن الأرواح الشريفة إذا فارقت أبدانها، ثم اتفق إنسان مشابه للإنسان الأول في الروح والبدن؛ فإنه لا يبعد أن يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن، حتى تصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على أعمال الخير، فتسمى تلك المعاونة إلهامًا، ونظيره في جانب النفوس الشريرة وسوسة؟ وهذه المعاني وإن لم تكن منقولة عن المفسرين؛ إلا أن اللفظ محتمل لها جدًا»[2].

نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي! وهذه الهواجس والوساوس باطلة عاطلة من وجوه:

١ ـ لا يتفق هذا مع عقيدة أئمة الأحناف في باب توحيد الألوهية.

٢ ـ الكوثري يشن الغارات على من يستدل بالمنامات والرؤيا، كما تقدم.

---

(١) هو من الكفار المتمردين الأطباء الغريقيين والرومانيين والفلاسفة الملحدين، توفي سنة ٢٠٠م، وقيل ٢١٨م، انظر ترجمته في: تاريخ الأطباء والفلاسفة، لإسحاق بن حنين (٢٩٨هـ) ١٥٢ ـ ١٥٣، وطبقات الأطباء والحكماء، لابن جلجل (٣٧٧هـ) ٤١ ـ ٤٤، وطبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ١٠٩ ـ ١٩٤، ومختصر الدول، لابن العبري (٦٨٥هـ) ذلك النصراني ٧٢، ونزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة ١/ ٣٤٠ ـ ٣٥٩، لمحمد بن محمود الشهرزوري (٦٨٧هـ).

(٢) التفسير الكبير، المجلد السادس عشر ٣١/ ٣١ ـ ٣٢.

٣ ـ انظر يا رعاك الله إلى حال هؤلاء، حتى تشبثوا بمنام جالينوس، ذلك الكافر الفيلسوف الروماني.

٤ ـ قياس ما في المنام على ما في اليقظة باطل، لأنه قياس مع الفارق، لأنه لو سُلِّمَ أن التلميذ يرى أستاذه في المنام فيرشده لا يلزم من ذلك أن يذهب إلى قبره يقظة ويسأل عنه شيئًا فيرشده.

٥ ـ إن الإلهام إلقاء الخير من الله تعالى في قلب المؤمن[١]، لا من روح أخرى مشابهة لها، كما يزعم الغزالي والرازي.

٦ ـ في كلام الغزالي ما يؤيد عقيدة الهندوس المشركين في تناسخ الأرواح.

٧ ـ أن هذا تفسير مبتدع، وقول مخترع، حتى بإقرار الرازي قائل تلك الوساوس، وأنه منفرد بها، فلا يجوز لمسلم أن يتفوه بمثلها، ولا سيما في تفسير كتاب الله، ولا شك أن هذا شهادة على الله زورًا، **قال الآلوسي**، مفتي الحنفية: «ولا يخفى أن أكثر هذه الأقوال لا يليق بشأن جزالة التنزيل، . . . مما ليس في كلام السلف»[٢].

٨ ـ أن هذا مخالف لما أجمع عليه المحققون من أهل التفسير أن المراد: الملائكة، وهو تفسير صحيح، **قال العلامة الآلوسي**: «والأكثرون تفسيرها بالملائكة مطلقًا؛ بل قال ابن عطية: لا أحفظ خلافًا في أنها الملائكة»، ثم قال: «وهو المرجح عندي نظرًا

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٨٢، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٢٩.

(٢) روح المعاني ٣٠/ ٢٤ ـ ٢٥.

للمقام»[1].

قال القرطبي في تفسير المدبرات: «قال القشيري: أجمعوا على أن المراد الملائكة»[2]، وقال ابن كثير: «ولم يختلفوا في هذا»[3].

وقال الماوردي: «هي الملائكة، قاله الجمهور»[4].

وقال الشوكاني: «وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم»[5].

وهو قول علي، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع، والسدي وغيرهم[6].

وقال الماوردي: «الثاني: هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل»[7].

ولكن **قال الألوسي**: «وفي حمل المدبرات على النجوم إيهام صحة ما يزعمه أهل الأحكام، وجهلة المنجمين، وهو باطل عقلًا ونقلًا، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم...»[8].

---

(١) روح المعاني ٣٠/٢٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٧.

(٤) النكت والعيون، للماوردي ٤/ ٣٩٠.

(٥) فتح القدير ٥/ ٣٧٢.

(٦) راجع: تفسير ابن جرير ١٥/ ٣١، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٤٢، وزاد المسير ٩/ ١٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٦٧، والدر المنثور ٨/ ٤٠٥، وغيرهم؛ بل لم يذكروا في تفسير المدبرات إلا الملائكة.

(٧) النكت والعيون ٤/ ٣٩٢.

(٨) روح المعاني ٣٠/ ٢٥.

٩ ـ أن تفسير المدبرات بالأرواح تفسير خرافي، **قال العلامة الآلوسي** مفتي الحنفية: «وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة؛ إيهام صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم، بنحو شفاء المريض، وإنقاذ الغريق، والنصر على الأعداء وغير ذلك مما يكون في عالم الكون...»[١].

١٠ ـ أن ما ذكره الرازي عن الغزالي ما يفيد نوعًا من تناسخ الأرواح مع مخالفته صريح الحق معارض بقول الرازي نفسه، **قال الآلوسي**: «ونقل الإمام [يعني: الرازي] في هذا المقام عن الغزالي أنه قال: «إن الأرواح الشريفة...» انتهى. ولم أر ما يشهد على صحته في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وقد ذكر الإمام نفسه في المباحث المشرقية استحالة تعلق أكثر من نفس ببدن واحد، وكذا استحالة تعلق نفس واحدة بأكثر من بدن...»[٢].

١١ ـ أن هذا التفسير للآية هو تفسير الفلاسفة الكفار، لا تفسير أهل الإسلام، وذلك بإقرار الرازي نفسه، فالرازي أخذ هذا منهم[٣].

---

(١) المصدر السابق ٣٠/ ٢٥.

(٢) المصدر السابق ٣٠/ ٢٥.

(٣) انظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، للرازي ٣٢٤.

المسألة الثالثة

جواز نداء غير الله والاستغاثة بالموتى

يجوّز الكوثري نداء الأموات ودعاءهم وقت الكربات، والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات وقت نزول النوازل والاستعانة منهم[1]!!

وهذا أولًا مخالف لصريح القرآن الكريم؛ بل كان هذا عين شرك المشركين الذي نهى الله عنه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩١.

(٢) يونس: ١٠٦.

(٣) الشعراء: ٢١٣.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) الأعراف: ١٩٤.

تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾[6]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[7].

---

(١) الأعراف: ١٩٧.
(٢) الحج: ٧٣.
(٣) فاطر: ١٣ ـ ١٤.
(٤) الرعد: ١٤.
(٥) النحل: ٢٠ ـ ٢١.
(٦) الأحقاف: ٥ ـ ٦.
(٧) الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧.

* تنبيه: وليتدبر كل مسلم طالب حق أن هذه الآيات ليست في الأوثان والأصنام؛ بل هي في العقلاء، والذين كان هؤلاء المشركين يدعونهم من دون الله، وينادونهم في الكربات، وفيهم الأنبياء والمرسلين والصالحين، فسياق هذه الآيات وسباقها، وصيغ العقلاء وضمائرهم، وكونهم عباد أمثالهم، وكونهم لا يسمعون نداءهم، وأنهم لا يشعرون أيان يبعثون، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، وأنهم يكونون كافرين بعبادتهم، وأنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه = فكل هذه الحجج تدل على أنهم كانوا يدعون العقلاء.

فلا تغتر أيها المسلم بما يتفوه به هؤلاء الخرافيون: أن هذه الآيات في الأوثان والأصنام، وإنما ندعوا الأولياء الصالحين، ونناديهم، ونتوسل بهم، ونتبرَّك بهم.

وقد فسر فقيه الصحابة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[1]، قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»[2].

* تنبيه آخر: يعتذر هؤلاء الخرافيون أن المراد من الدعاء في

---

(١) الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤/١٧٤٧، ١٧٤٨، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣٢١، وأقره العيني، انظر: عمدة القاري ١٩/ ٢٩.

هذه الآيات العبادة من السجود وغيره، وليس المراد نداؤهم ودعاؤهم لكشف الكربات ودفع الملمّات.

والجواب: أن المراد في هذه الآيات من الدعاء إنما هو النداء، وهذا أمر واقعي، فكان المشركون من إشراكهم أنهم كانوا يدعون آلهتهم من دون الله، بما فيها هؤلاء الصالحون، ويستغيثون بهم في الشدائد، وإن كان هذا النداء داخل في العبادة؛ بل هو مخ العبادة، فمن دعا غير الله وناداه واستغاث به في غير ما أذن الله فقد عبده، واتخذه إلهًا، وارتكب إشراكًا بالله تعالى.

يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في صدد بيان أنواع شرك المشركين:

«ومنها: أنهم كانوا يستعينون بغير الله في حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير، وينذرون لهم؛ يتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور، ويتلون أسماءهم رجاء بركتها، فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝﴾[1]، وليس المراد من الدعاء: العبادة، كما قاله بعض المفسرين؛ بل هو: الاستعانة، لقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ﴾[2]»[3].

تدبر أيها المسلم كلام هذا الإمام، زعيم الحنفية، وقارن بينه وبين ما يقوله هؤلاء المغرضون.

---

(١) الجن: ١٨.

(٢) الأنعام: ٤١، وتمام الآية ﴿إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝﴾، ففي الآية تصريح بأن الاستغاثة بغير الله في مثل هذا شرك.

(٣) حجة الله البالغة ١/ ٦٢.

وثانيًا: هذا مخالف لما عليه أئمة الحنفية.

قال الإمام ولي الله الدهلوي: «واعلم أن طلب الحوائج من الموتى عالمًا بأنه سبب لإنجاحها كفر يجب الاحتراز عنه، تحرمه هذه الكلمة [يعني: كلمة التوحيد] والناس اليوم فيها منهمكون»[١].

وهذا الإمام الفتني الحنفي ـ الذي يقول في حقه الكوثري وأقره أبو غدة الكوثري: «ملك المحدثين، له مجمع البحار، وتذكرة الموضوعات، والمغني، وغيرها من المؤلفات الممتعة في الحديث وغريبه»[٢] ـ يقول: «فإن منهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصلحاء أن يصلي عند قبورهم، ويدعو عندها، ويسألهم الحوائج، وهذا لا يجوز عند أحد من علماء المسلمين، فإن العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق لله وحده»[٣].

---

(١) الخير الكثير ١٠٥.

(٢) مقدمة الكوثري لكتاب نصب الراية ٤٧، فقه أهل العراق، بتحقيق أبي غدة وإقراره ٧٤.

(٣) مجمع أنوار البحار، لملك المحدثين عند الكوثري ٢/ ٤٤٤، ومؤلف هذا ممتع في الحديث وغريبه بإقراره وشهادته. أقول أولًا: ماذا قيمة كلام أمثال الكوثري من كلام الإمام الفتني ملك المحدثين بشهادة الكوثري نفسه؟ وماذا مكانة الشرطة من الملك؟ وأين الثرى من الثريا؟
وأقول ثانيًا: فهل هذا الإمام ملك المحدثين أيضًا من المحرفين؟ أو من الذين يكفرون الناس؟ ومن الذين يخالفون الكتاب والسنة والمعقول والتعامل؟ ومن الذين يطلقون الآيات في حق المشركين على المسلمين؟

وأما المسألة الرابعة

وهي زيارة القبور للاستغاثة بأصحابها

فنفردها بفصل مستقل لخطورتها، وتجد فيه نصوصًا تتعلق بهذا الفصل أيضًا، فإن هذه الموضوعات متشابهة، والنصوص متشابكة[1].

(١) انظر نصوص العلماء الحنفية في الفصل الثاني بعد هذا الفصل.

الفصل الثاني

في خطورة زيارة قبور الأولياء للاستعانة منهم والاستغاثة بهم، وبيان الفرق بين الزيارة السنية وبين الزيارة البدعية الشركية

الفصل الثاني

في خطورة زيارة قبور الأولياء للاستعانة منهم والاستغاثة بهم، وبيان الفرق بين الزيارة السنية وبين الزيارة البدعية الشركية

يجوّز الكوثري زيارة القبور للاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات، في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمّات[1].

كما أنه يجوّز زيارة القبور للتبرُّك بها والدعاء عندها فيستجاب[2].

أقول: فهل هذا الجنون جنون للمذهب الحنفي؟ أم جنون للخرافات والخزعبلات القبورية، وسعي لإقامة دولة مشركي الجاهلية الجهلاء، والوثنية الخرقاء؟ فالكوثري يقضي على المذهب الحنفي ويضحي به لدعم خرافاته القبورية، وهذا دليل على أنه مجنون الخرافات القبورية جنونًا أوليًا، كما أنه مجنون أبي حنيفة جنونًا ثانويًا.

وإليك بعض نصوص الأئمة الحنفية في زيارة القبور لأجل

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٥، ٣٨٦، وظلامه المخيم ١٦٢.

(٢) انظر: مقالات الكوثري ٢٥٨.

التبرك والدعاء والصلاة عندها واستنزال الخيرات واستدفاع الملمات والاستغاثة بأصحابها والاستعانة بهم.

١ ـ نص ذلك الإمام الفتني الحنفي (٩٨٧هـ)، ـ الذي يلقبه الكوثري «بملك المحدثين، صاحب المؤلفات الممتعة في الحديث وعلومه، مجمع البحار، وتذكرة الموضوعات والمغني»، وأقره أبو غدة الكوثري أيضًا[(١)] ـ يقول ذلك الإمام ملك المحدثين: «كره مالك أن يقول: «زرنا قبره ﷺ»، وعللوه بأن لفظ الزيارة صار مشتركًا بين ما شرع وبين ما لم يشرع، فإن منهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصلحاء أن يصلي عند قبورهم، ويدعو عندها، يسألهم الحوائج، وهذا لا يجوز عند أحد من علماء المسلمين، فإن العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق لله وحده»[(٢)].

قارن أيها المسلم بين كلام ملك المحدثين، وبين عقيدة هذا الشرطي الكوثري، كيف عارض هذا الشرطي ملكه وخرج عليه؟ ولنعم ما قيل: فيا ويلتى ماذا يكون جزاكم، وأين الحضيض من الذرى، والثريا من الثرى!

٢ ـ وهذا الإمام بدر الدين العيني (٨٥٥هـ)، ـ الذي يرجحه الكوثري على الحافظ ابن حجر، كما يرجح عمدته على فتح الحافظ[(٣)]، كما أن الكوثري ذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية، وأقره

(١) انظر مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧، فقه أهل العراق، للكوثري، بتحقيق أبي غدة وإقراره ٧٤.

(٢) مجمع بحار الأنوار ٢/ ٤٤٤، مادة: (زور).

(٣) راجع مختصر التاج اللجيني في ترجمة البدر العيني، للكوثري، المطبوع في أول عمدة القاري.

أبو غدة[1] ـ **يقول البدر العيني**: «ومعنى النهي عن زيارة القبور إنما كان في أول الإسلام عند قربهم بعبادة الأوثان، واتخاذ القبور مساجد، فلما استحكم الإسلام وقوي في قلوب الناس، وأمنت عبادة القبور والصلاة إليها؛ نسخ النهي عن زيارتها، لأنها تذكر الآخرة، وتزهد في الدنيا»[2].

تدبر أيها المسلم كلام الإمام البدر العيني الحنفي، محدِّث الأحناف وفقيههم، كيف صرَّح أن علة النهي عن زيارة القبور إنما كان عند قرب الصحابة ﷺ بعبادة الأوثان واتخاذ القبور مساجد في الجاهلية، فلما علم النبي ﷺ استقرار الإيمان في قلوبهم، وعلم أن الصحابة عرفوا حقيقة توحيد الألوهية وما يضاده وأمنوا عبادة القبور والصلاة إليها؛ أذن لهم، وأن الإذن فقط لتذكر الآخرة والزهد في الدنيا، لا غير.

أيها المسلم: أليس الكوثري يخالف صريح الإسلام، كما يخالف صريح الكتاب والسنة، كما ينابذ المذهب الحنفي ونصوص أئمة الحنفية بجواز اتخاذ القبور مساجد، والصلاة إليها، وزيارتها للتبرك بها، واستنزال الخيرات واستدفاع الملمات؟ أليس هذا محاولة إقامة دولة المشركين، والوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء، وما لُعن به اليهود والنصارى؟ ومع ذلك يرمي بالوثنية واليهودية والنصرانية أصحاب العقيدة السلفية[3]!!

---

(١) انظر مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق، للكوثري، بتحقيق: أبي غدة وإقراره ٧٣.

(٢) عمدة القاري ٨/ ٧٠.

(٣) انظر: مقالات الكوثري ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٧٥، وغيرها.

٣ ـ وهذا الإمام ابن الهمام (٨٦١هـ)، ـ عمدة الحنفية، وعليه اعتمادهم في عالم الحنفية أجمع، والكوثري هو الذي ذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية، وأقره أبو غدة[١] ـ يقول هذا الإمام ابن الهمام: «ويكره النوم عند القبر، وقضاء الحاجة بل أولى، وكل ما لم يعهد في السنة، والمعهود منها ليس إلا زيارتها والدعاء عندها قائمًا، كما كان يفعل ﷺ في الخروج إلى البقيع، ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لي ولكم العافية»[٢].

تفكر أيها المسلم المنصف طالب الحق في قول هذا الإمام ابن الهمام، حيث حكم بعدم جواز كل ما لم يعهد في السنة النبوية، وليس زيارة القبور إلا لتذكر الآخرة، والتزهد في الدنيا، والدعاء لأهل القبور قائمًا بالدعاء المأثور فقط.

٤ ـ وقد نقل الإمام ابن نجيم المصري، الملقب بأبي حنيفة الثاني قول الإمام ابن الهمام هذا، وأقره[٣].

فهنيئًا للكوثري؛ فقد خالف أبا حنيفة الأول وأبا حنيفة الثاني، كما خالف ملك المحدثين ذلك الفتني، وملك الفقهاء ابن الهمام الحنفي، والذي جمع بن الملكين ذلك البدر العيني.

٥ ـ وقد نقلت لجنة الفتاوى الهندية هذا القول عن ابن نجيم

(١) انظر مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق، للكوثري، بتحقيق: أبي غدة وإقراره ٧٣.

(٢) فتح القدير شرح الهداية، لابن الهمام ٢/ ١٤٢.

(٣) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٢/ ١٩٦.

وأقروه، فجعلوه قانونًا رسميًّا[1].

٦ ـ **وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي**[2]: «إنه قد ظهر الآن بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، . . . وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، . . . ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفة لعقائد الأئمة، وما أجمعت عليه الأمة، . . . إن هذا لقول وخيم، وشرك عظيم، وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، . . . فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: الأرواح مطلقة متصرفة، . . . وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة، . . . وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد؛ فهو أقبح مما قبله وأبدع. .»[3].

---

(١) انظر: الفتاوى الهندية، المعروفة بالفتاوى العالم كيرية ١/١٦٦، وهي فتوى اشتركت في تأليفها لجنة من العلماء الحنفية خمسمائة، وجعلت قانونًا لدولة الملك عالم كير.

(٢) هو الإمام صنع الله الحلبي المكي، أحد كبار علماء الحنفية، له جهود طيبة في الرد على القبورية في كتابه: سيف الله على من كذب على أولياء الله، غير أنه ماتريدي، حيث شحن النصف الأخير من كتابه هذا بالعقيدة الماتريدية الحنفية الكلامية الجهمية، وكأنه ذكر خلاصة العقائد النسفية، سامحه الله وإيانا. انظر ترجمته في: إيضاح المكنون ١/١١٥، ٢/٣٥، وهدية العارفين ١/٤٢٨، ومعجم المؤلفين ٥/٢٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٣٢ ـ ٢٣٥، فتح المجيد ١٨٣ ـ ١٨٦، عن كتابه الذي ألفه في الرد على القبورية، وانظر: البصائر، لشيخنا العلامة محمد طاهر الفنجفيري الديوبندي ٩٦ ـ ٩٧.

٧ ـ **وقال الشيخ أحمد الرومي الحنفي** ـ بعد ذكر حديث النهي عن زيارة القبور ـ: «فيه تصريح بوقوع النهي في أوائل الإسلام عن زيارة القبور، لكونها مبدأ عبادة الأصنام، كما في قوم نوح، فلما كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور نهى النبي ﷺ أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سدًّا لذريعة الشرك، لكونهم حديثي العهد بالكفر، ثم لمَّا تمكن التوحيد في قلوبهم، أُذن لهم في زيارتها، وعلَّمهم كيفيتها، تارة بفعله، وتارة بقوله»[(١)].

وقال: «وأما [زيارة القبور] البدعية؛ فهي لأجل الصلاة عندها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر والرزق والعافية والولد، وقضاء الدَّين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان وغير ذلك من الحاجات، التي كان عبَّاد الأصنام يتساءلون من أصنامهم، فإن أصل هذه الزيارة البدعية الشركية مأخوذ منهم، وليس مشروعًا بالاتفاق، إذ لم يفعله النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعون وأئمة الدين؛ بل أنكروا ما هو دون ذلك بكثير»[(٢)].

هل تبين للقارئ الكريم أن الكوثري يخالف إجماع الأمة، ويسعى في إقامة دولة المشركين، وما لأجله لُعن اليهود والنصارى من المغضوب عليهم والضالين؟

---

(١) مجالس الأبرار ٣٥٥، مجلس رقم ٥٧، ولا تخفى مكانة هذا الكتاب ولا سيما في بلادنا.

(٢) مجالس الأبرار ٣٥٦، مجلس رقم ٥٧.

٨ ـ **وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ)**، زعيم الحنفية، ولا سيما الديوبندية: «كل من ذهب إلى بلدة أجمير وإلى قبر سالار مسعود أو ما ضاهاها، لأجل حاجة يطلبها فإنه آثم إثمًا أكبر من القتل والزنا، ليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى»[1].

وقال: «وإن كنت متوقفًا في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم؛ فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان، خصوصًا من سكن بأطراف دار الإسلام كيف يظنون الولاية، وماذا يخيل إليهم منها،... ويذهبون إلى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعًا من الشرك، وكيف تطرق إليهم التشبيه والتحريف، ففي الحديث الصحيح: (لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل)[2]، وما من آفة من هذه الآفات إلا وقوم أهل الزمان واقعون في ارتكابها، معتقدون مثلها»[3].

(١) التفهيمات الإلهية ٢/ ٤٥.

(٢) كأنه ذكر الحديث بالمعنى فصدره: (لتتبعن...)، متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، انظر: صحيح البخاري ٣/ ١٢٧٤، ٦/ ٢٦٦٩، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٤، وآخره: (حذو النعل...)، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٦، وغيره.

(٣) الفوز الكبير ٦.

(الحكمة في النهي عن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة)

وقال في بيان حكمة النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة: «أقول: كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم، يزورونها، ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فسدَّ النبي ﷺ الفساد لئلا يلحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله، والحق عندي أن القبر، ومحل عبادة ولي من أولياء الله، والطور، كل ذلك سواء في النهي، والله أعلم»[1].

سبحان الله! الآن تبين لكل مسلم منصف طالب حق من هو رافع علم الفساد، والتشبيه، والتحريف، والوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء.

٩ ـ وقد نقل الشيخ محمد أمين بن عابدين الشامي الحنفي قول الإمام ابن الهمام المذكور، وأقره[2].

١٠ ـ والمحدث الفقيه العلامة شبير أحمد العثماني الديوبندي الحنفي، الذي لقبته جماعته الديوبندية شيخ الإسلام، والذي قال فيه

(١) حجة الله البالغة ١/١٩٢، ولا تخفى مكانة هذا الإمام وقيمة هذه الكتب عند الحنفية.

(٢) انظر: رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ٢/٢٤٢.

الكوثري ويطري كتابه فتح الملهم: «فتح الملهم شرح صحيح مسلم لمولانا المحدث العثماني، هو شبير أحمد، وهو الآن أعلم علماء الهند»[1]. وقال بعد ذكر شروح صحيح مسلم: «ولكن والحق يقال: إنه لم يكن شرح من تلك الشروح يفي صحيح مسلم حقه،... كنا في غاية الشوق إلى ظهور شرح لصحيح مسلم في عالم المطبوعات، يملأ هذا الفراغ، وها نحن قد ظفرنا بضالتنا المنشودة، ببروز فتح الملهم في شرح صحيح مسلم،... وقد اغتبطنا جد الاغتباط بهذا الشرح الضخم الفخم صورة ومعنى، حيث وجدناه قد شفى وكفى من كل ناحية، وقد ملأ بالمعنى الصحيح ذلك الفراغ الذي كنا أشرنا إليه،... حيث لم يدع الشارح الجهبذ موضع إشكال منها أصلًا؛ بل أبان ما لها وما عليها بكل إنصاف،... غير مستسيغ اتخاذ قول من قال: (كل من أخرج له الشيخان فقد قفز القنطرة) ذريعة للتقليد الأعمى، وكم رد في شرحه هذا على صنوف أهل الزيغ... ولا عجب... ومؤلفه ذلك الجهبذ الحجة الجامع لأشتات العلوم محقق العصر المفسر المحدث الفقيه البارع النقاد الغواص...»[2].

وقال الكوثري في رسالة كتبها إلى مؤلف فتح الملهم: «فتح الملهم من مؤلفاتكم الزاخرة، فعظم سروري وابتهاجي بذلك جدًا، وكلما درسته ازددت إعجابًا بالكتاب، فأنتم يا مولانا فخر الحنفية في هذا العصر حقًّا، أبديتم بشرح صحيح مسلم هذا عن علم غزير وفضل فياض،... ونظرة عجل في الكتاب أظهرت لي عن كنز

(١) تأنيب الكوثري ٢٢٣.
(٢) مقالات الكوثري ٨٢ ـ ٨٤، وآخر فتح الملهم ٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠.

ثمين، وكم كان سروري عظيمًا من تلك المقدمة النفيسة في مصطلح الحديث وفي شرح مقدمة صحيح مسلم، فإنها مما لم أره مسطرًا في موضع أحد بهذا الجمع وهذا التحقيق، وطريقتكم البديعة في شرح الكتاب مما يخضع لبالغ استقامته كبار أهل العلم سلفًا وخلفًا، فماذا يكون قول مثلي من المتطفلين على العلم سوى الإكبار والإجلال...»[1].

استمعتم أيها المسلمون إلى غلوّ الكوثري في العلامة شبير أحمد مؤلف فتح الملهم وإطرائه إياهما، والآن استمعوا إلى ما يقول ذلك العلامة في كتابه فتح الملهم: «قال الشيخ ولي الله الدهلوي ـ قدس الله روحه ـ: كان نهى عن زيارة القبور أولًا، لأنها تفتح باب العبادة لها، فلما استقرت الأصول الإسلامية واطمأنت نفوسهم على تحريم العبادة لغير الله أذن فيها، وعلل التجويز بأن فائدته عظيمة، وهي أنها تذكّر الموت، وأنها سبب صالح للاعتبار بتقليب الدنيا»[2].

فلا يرى هذا العلامة زيارة القبور إلا لتذكُّر الموت والاعتبار، كما يرى أن زيارة القبور تفتح باب العبادة لغير الله في حق من لم يستقر توحيد الألوهية في قلبه، ولم يعرف ما يضاده، فضلًا عمن وقع في ذلك واعتاده، كما يرى هذا العلامة تحريم بناء القبب والمشاهد والمساجد على القبور[3]، كما لا يرى

(١) انظر نص الكوثري في آخر فتح الملهم ٣/ ٥١٩.

(٢) فتح الملهم ٢/ ٥١١، وانظر نص الشاه ولي الله في: حجة الله البالغة ٢/ ٣٨.

(٣) فتح الملهم ٢/ ٥٠٦.

تجصيصها[1]؛ بل يرى وجوب هدمها[2]، كما لا يرى جواز الصلاة إلى القبر[3].

فهل هناك منصف في الحنفية يسأل الكوثري: لم خرجتَ على مذهب شيخ الإسلام أعلم علماء الهند الجهبذ، فخر الحنفية، محقق العصر، المفسر، المحدث، الفقيه، البارع، النقاد، الغواص، كما خرجتَ على فتح الملهم، الذي تفضله على جميع شروح صحيح مسلم وتطريه؟!

وهناك نصوص أخرى مهمة لكبار أهل العلم من الحنفية تتعلق بهذا الموضوع، منها نصوص الإمام الألوسي المفسِّر، نذكرها في الفصل الثالث من الباب الثاني فراجعها، فإنها مفيدة جدًّا، وحرية أن تكتب بمداد المرجان، على ألواح الجنان، بأقلام العقيان.

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) فتح الملهم ٢/ ١٢١.

الفصل الثالث

في مناقشة محاولة الكوثري لإثبات سماع الموتى، وإثبات الحياة الدنيوية لهم، حتى يتدرج بهاتين المقدمتين إلى جواز ندائهم، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم، والتوسل بهم توسلاً شركيًا بدعيًا

وفي هذا الفصل تمهيد، ومبحثان:

التمهيد: **في حقيقة الحياة البرزخية عند أهل السنة.**

المبحث الأول: **في مسألة سماع الموتى.**

المبحث الثاني: **في حياتهم.**

التمهيد

اتفقت هذه الأمة المحمدية من أهل السنة على أن للأموات جميعًا حياة برزخية، يعلم السعيد بها السعادة والنعيم، والشقي الشقاوة وعذاب الجحيم، وخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء بمزيد من الإكرام والإحسان والإنعام، ولكن لم يقل أهل السنة إن هذه الحياة حياة دنيوية عنصرية، يعلمون بها الأحداث في هذا الكون، ويتصرفون فيه، أو يعلمون المغيبات، أو يسمعون الأصوات ونداء السائل وكلام المتكلم كل وقت بلا قيد مكان وزمان.

ولكن الكوثري خالف هذا كله واختار مسلك البريلوية القبورية تمامًا، فخرج على الحنفية أولًا، ثم على أهل السنة ثانيًا، وابتدع ما لا يقره عقل ولا نقل ولا فطرة؛ ليتدرج بذلك إلى القول بجواز نداء الموتى والاستغاثة بهم تحت ستار التوسل.

المبحث الأول

في سماع الموتى

يعتقد الكوثري سماع الأموات بلا تقييد وقت دون وقت، وبلا تخصيص ميت دون ميت، ثم يبني عليه التوسل الخرافي، ونداء الأموات، والاستغاثة بهم، وأن الميت يشفع في البرزخ، حيث يسمع سؤال السائل؛ وهذا هو قصده من سماع الأموات، كما يرى أن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾[1]، في حق المشركين عند التحقيق، قائلًا: «فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين»[2].

قلت: أيها المسلم؛ انتبه فقد جاء دور خروج الكوثري على المذهب الحنفي دورًا لا محمل له إلا البغي والعدوان على الحنفية وإمامهم أبي حنيفة ـ رحمهم الله تعالى ـ.

فاستمع أيها القارئ الكريم إلى تصريحاتهم في هذا الباب؛ بل كثير من أبواب الفقه الحنفي مبنيَّة على عدم السماع:

١ ـ **قال الإمام ابن الهمام**[3]: «وعندي أن ارتكاب هذا المجاز

(١) فاطر: ٢٢.

(٢) مقالات الكوثري ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(٣) لا تخفى مكانة هذا الإمام عند الحنفية؛ قال اللكنوي: «عدَّه ابن نجيم في =

[يعني المراد من الميت: المحتضر] هنا عند أكثر مشائخنا هو أن الميت لا يسمع عندهم، على ما صرحوا به في كتاب الأيمان، في باب اليمين بالضرب: لو حلف لا يكلمه فكلمه ميتًا لا يحنث، لأنها تنعقد على ما بحيث يفهم، والميت ليس كذلك لعدم السماع»[١].

وقال في صدد الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[٣]

«فإنهما يفيدان تحقيق عدم سماعهم، فإنه تعالى شبَّه الكفار بالموتى، لإفادة تعذر سماعهم، وهو فرع عدم سماع الموتى»[٤].

فهل ابن الهمام من المغالطين عند الكوثري؟

٢ ـ **وقال شيخ الإسلام الإمام المرغيناني (٥٩٣هـ)**، صاحب الهداية: «وكذا الكلام والدخول، لأن المقصود من الكلام الإفهام، والموت ينافيه»[٥].

= البحر الرائق من أهل الترجيح، وعده بعضهم من أهل الاجتهاد، وهو رأي نجيح تشهد بذلك تصانيفه». التعليقات السنية ١٨٠، وابن همام واللكنوي قد ذكرهما الكوثري في قائمة كبار أئمة الحنفية، انظر: مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧ ـ ٤٩، وفقه أهل العراق، تحقيق: أبي غدة ٧٣، ٧٧.

(١) فتح القدير ٢/ ١٠٤.

(٢) النمل: ٨٠، وفي سورة الروم ٥٢: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

(٣) فاطر: ٢٢.

(٤) فتح القدير ٢/ ١٠٤.

(٥) الهداية بشرح فتح القدير ٥/ ١٩٥، وبشرح البناية ٥/ ٣٢٨، ولا تخفى مكانة الهداية وإمامة المرغيناني عند الحنفية، فهو أوثق الكتب الحنفية على الإطلاق، وعليه مبنى المذهب، وهو ظاهر الرواية، وهو الذي قالت الحنفية فيه: =

٣ ـ وقال ابن الهمام في شرح قول الإمام المرغيناني هذا: «يعني: إذا حلف لا يكلِّمه اقتصر على الحياة، ولو كلَّمه بعد موته لا يحنث، لأن المقصود منه الإفهام، والموت ينافيه، لأنه لا يسمع، فلا يفهم». ثم ذكر الاستدلال بهاتين الآيتين المذكورتين[١].

٤ ـ **وقال الإمام بدر الدين العيني** ـ الذي يرجِّحه الكوثري على الحافظ ابن حجر ويطريه ـ في صدد شرح قول المرغيناني هذا: «لأن المراد من الكلام الإسماع، والميت ليس بأهل الإسماع، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[٢]، وإلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[٣]»[٤]. فهل العيني أيضًا من المغالطين عند الكوثري؟

وقد وفَّق العينيُّ بين حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قليب بدر: (**ما أنتم بأسمع منهم**)[٥]، وبين إنكار عائشة رضي الله عنها سماع الموتى[٦]، واستدلالها بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[٧]: بأن الحديث محمول وقت المسألة، ووقتها وقت إعادة الروح إلى الجسد، وإنكار عائشة رضي الله عنها سماع الموتى واستدلالها بالآية محمول على

= «إن الهداية كالقرآن قد نسخت ... ما صنفوا قبلها في الشرع من كتب
فاحفظ قواعدها واسلك مسالكها ... يسلم مقالك من زيغ ومن كذب»

(١) فتح القدير ٥/ ١٩٥.
(٢) النمل: ٨٠، الروم: ٥٢.
(٣) فاطر: ٢٢.
(٤) البناية في شرح الهداية ٥/ ٣٢٨.
(٥) رواه البخاري ١/ ٤٦٢.
(٦) رواه البخاري ١/ ٤٦٢، ومسلم ٢/ ٦٢٨.
(٧) النمل: ٨٠، الروم: ٥٢.

غير وقت المسألة[1].

٥ ـ **وقال ابن نجيم المصري الحنفي (٩٧٠هـ)**، الملقب بأبي حنيفة الثاني، فيمن حلف لا يكلم فلانًا، فلا يحنث لو كلمه بعد موته: «لأن المقصود من الكلام الإفهام، والموت ينافيه»[2].

٦ ـ ومثله **قال الطحاوي**[3] **(١٢٣١هـ)**، وزاد: «لأن الميت لا يسمع ولا يفهم». كما أنه استدل في نفي السماع بالآيتين المذكورتين، وأجاب عن الأحاديث التي تشعر بالسماع[4].

فهل هؤلاء الحنفية الأئمة من المغالطين عند هذا الجهمي؟

٧ ـ وهكذا قاله **ابن عابدين الشامي (١٢٥٢هـ)**، وقرر نفي السماع، واستدل بالآيتين، وأجاب عن الأحاديث المشعرة بالسماع، كما ذكر خلاصة قول ابن الهمام، وأقرّه[5].

٨ ـ **وقال العلامة رشيد أحمد الجنجوهي (١٣٢٣هـ)**، الإمام الثاني للحنفية الماتريدية الديوبندية: «واستدل المنكرون [يعني:

---

(١) عمدة القاري ٨/ ٢٠٢.

(٢) البحر الرائق ٤/ ٣٦٣.

(٣) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري الحنفي، ويقال له: الطحطاوي، توفي سنة ١٢٣١هـ، ترجمته في فهرس الفهارس ١/ ٤٦٧، هدية العارفين ١/ ١٨٤، معجم المؤلفين ٢/ ٨١.

(٤) حاشية الطحطاوي على الدر المختار ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ على ما في الآيات البينات ٥٤.

(٥) رد المحتار على الدر المختار ٣/ ٨٣٦، ولا تخفى مكانة هذا الشامي عند الحنفية، ولا سيما عند الكوثري، فإنه ذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية. انظر: مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٨، وفقه أهل العراق، بتحقيق: أبي غدة ٧٦.

منكري سماع الموتى] ومنهم عائشة وابن عباس ومنهم الإمام [يعني: أبا حنيفة] بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1]، فإنه لما شبَّه الكفار بالأموات في عدم السماع؛ عُلم أن الأموات لا يسمعون، وإلا لم يصح التشبيه»، ثم قال بعد بحث طويل: «فالظاهر إنكار السماع، وهو الأصح عندنا»[2].

وهكذا قرر عدم سماع الموتى، وأنه مذهب الحنفية في عدة من كتبه[3].

قلت: لم تنفرد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالاستدلال بالآية على نفي سماع الموتى؛ بل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضًا استدل بهذه الآية، فقال عمر: (يا رسول الله؛ أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل يسمعون؟ يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[4])، الحديث[5]، وقد أقره النبي ﷺ على هذا الاستدلال، إلا أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ خصص من عموم الموتى أهل قليب بدر.

---

(١) النمل: ٨٠، الروم: ٥٢.

(٢) الكوكب الدري على جامع الترمذي ٢/ ١٩٧ ـ ١٩٨، ولا تخفى إمامة هذا الإمام عند الديوبندية، كما لا تخفى مكانة هذا الكتاب، فإنه أمالي هذا الشيخ، جمعها الشيخ محمد يحيى الديوبندي (١٣٣٤هـ)، وحققها، وعلق عليها ابن الشيخ محمد زكريا الديوبندي، زعيم جماعة التبليغ (١٤٠٢هـ).

(٣) منها: لامع الدراري على جامع البخاري ٤/ ٤٦٨، وهذا الكتاب أيضًا أماليه، جمعها تلميذه الشيخ يحيى الديوبندي، وحققها، وعلق عليها ابن الشيخ محمد زكريا المذكورين.

(٤) النمل: ٨٠، الروم: ٥٢.

(٥) رواه أحمد ٣/ ٢٨٧، من حديث أنس رضي الله عنه، قال شيخنا الألباني: «وسنده صحيح على شرط مسلم»، مقدمة تحقيقه للآيات البينات، لنعمان الألوسي ٣١.

٩ ـ وقال أبو الليث السمرقندي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾[(١)]: «هذا مثل ضربه للكفار، فكما أنك لا تسمع الموتى؛ فكذلك لا تفقه كفار مكة»[(٢)].

وقال مفسِّرا الحنفية ومتكلِّما الماتريدية: حافظ الدين النسفي الحنفي (٧١٠هـ): «لما كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينفعون؛ شُبِّهُوا بالموتى، وهم أحياء صحاح الحواس...»[(٣)].

وأبو السعود العمادي الحنفي: «ترشيح لتمثيل المصرِّين على الكفر بالأموات...»[(٤)].

قلت: لا شك أن وجه التشبيه هو عدم السماع، وإلا لم يصح التشبيه، ومن المعلوم أن وجه الشبه في المشبه به أقوى وأشهر، إلا أن عدم السماع في الموتى والصم ولا سيما إذا ولوا مدبرين على الحقيقة، وعدم السماع في الكفار بمعنى عدم القبول، لأنهم يسمعون بالآذان، ولكنهم لا يقبلون، كما أن الله تعالى شبَّه الكفار بالعمى، فوجه التشبيه هو العمى، إلا أن العمى في العمي على الحقيقة، وفي الكفار بمعنى عدم الاهتداء.

---

(١) النمل: ٨٠، الروم: ٥٢.

(٢) عمدة القاري، للبدر العيني عنه ٨/ ٢٠٢، وأقره، وهذا مأخوذ من قول قتادة: «هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء؛ كذلك لا يسمع الكافر». رواه ابن جرير ٢١/ ٥٦ وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، دون ابن جرير. الدر المنثور ٦/ ٣٧٦. وصحح شيخنا إسناده، انظر مقدمة تحقيقه لكتاب: الآيات البينات ٢٣.

(٣) مدارك التنزيل المعروف بتفسير النسفي، سورة النمل الآية ٨٠.

(٤) إرشاد العقل السليم، المعروف بتفسير أبي السعود، سورة فاطر الآية ٢٢، ٧/ ١٥٠.

وهناك كلمات قاطعة للرازي، أنقلها إتمامًا للحجة على الكوثري، لأنه قد شغفه حبًا.

فإن الكوثري ـ كما تقدم ـ يوجب على الأمة التحاكم والفزع إلى المتكلمين، ولا سيما الرازي في أصول الدين[1].

يقول الرازي: «بين له أنهم كالموتى وكالصم وكالعمي، فلا يفهمون، ولا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يلتفتون على شيء من الدلائل».

ثم ذكر فائدة قوله تعالى: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾[2]: «هو تأكيد لحال الأصم، لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن تولى عنه مدبرًا كان أبعد عن إدراك صوته»[3].

وقال: «المسألة الثانية: قال في الصم ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ليكون أدخل في الامتناع، لأن الأصم إن كان يفهم فإنما يفهم بالإشارة، فإذا ولى ولا يكون نظره إلى المشير فإنه لا يسمع[4] ولا يفهم. المسألة الثالثة: قال في الأصم: ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ ولم يقل في الموتى ذلك، لأن الأصم قد يسمع الصوت الهائل كصوت الرعد القوي، ولكن صوت الداعي لا يبلغ ذلك الحد»[5].

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٨١ ـ ٣٨٢، وقد قدمنا ضلال من يتحاكم إليهم، انظر ص: ١٧٥، من هذه الرسالة.

(٢) النمل: ٨٠.

(٣) مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، المجلد الثاني عشر ٢١٦/٢٤، سورة النمل الآية ٨٠.

(٤) في نسختي من مفاتيح الغيب: «يسمع»، وهو غلط محض، وخطأ مطبعي.

(٥) مفاتيح الغيب، المجلد الثالث عشر ١٣٦/٢٥، سورة الروم الآية ٥٢.

تدبَّر أيها القارئ الكريم في كلام الرازي هذا، كيف قرر أن الله تعالى شبَّه الكفار بالموتى والصم والعمي، فوجه الشبه في الموتى والصم والعمي عدم السماع وعدم البصر على الحقيقة، ولكن في الكفار بمعنى عدم القبول، كما أفادنا الرازي نكتة أخرى، وهي أن الله تعالى لم يقيِّد الموتى بشيء من القيود.

ولكن قيَّد الصم بالدعاء وبالتولي مدبرين، فإن الموتى لا يحتاجون إلى هذه القيود، فمن قال إن الموتى يسمعون وهذه الآيات في حق الكفار لا في حق الموتى؛ فهو كمن يقول إن الصم إذا ولّوا مدبرين يسمعون، والعمي يبصرون، والآيات في حق الكفار! ولا يقول هذا إلا منحل من العقل والنقل؛ بل مكابر للمحسوس والنصوص، وليس هذا إلا خروج على العقل، والنقل، والحس، والنص، وهو أولى بقوله: «فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين».

وبعد نصوص هؤلاء العلماء والفقهاء والمحدِّثين والمفسرين والمتكلمين من الحنفية؛ تبين للقراء مذهب الحنفية في نفي سماع الموتى، وأنهم قد استدلوا بهذه الآيات الكريمات، وأن الصحابة ـ بما فيهم عائشة وعمر بن الخطاب ـ، والحنفية كلهم ـ محدِّثوهم وفقهاؤهم ومتكلموهم ـ بما فيهم البدر العيني وابن الهمام وعلماء ديوبند وغيرهم كالرازي ـ الذين يوجب الكوثري التحاكم إليهم، والذين استدلوا بهذه الآيات على نفي سماع الأموات ـ كلهم من المغالطين عند الكوثري، بشهادة لسانه وبنانه.

وأن الكوثري قد خرج على مذهب الإمام أبي حنيفة وأتباعه، وأنه يسبُّهم من حيث لا يشعر، فتبًّا لمن يخربون بيوتهم بأيديهم.

وأُتحف القارئ الكريم بكلمة أخرى ولعلها مفيدة، وهي:

أن الأحاديث التي تُشعر بسماع الموتى لم يستطع أي حنفي أن يستدل بها، ولا يهدم بنيان مذهبه ويهدَّ أساسه بها، وذلك لوجوه:

١ ـ أن تلك الأحاديث عندهم من أخبار الآحاد، وهي ظَنِّيَّة، ولا عبرة بالظن في العقائد عندهم[(١)].

٢ ـ أن كبير علماء الديوبند ـ الشيخ محمد طاهر ـ قد ألف كتابًا مستقلًا في نفي سماع الموتى والتوسل بهم، بعنوان: **البصائر للمتوسلين بأهل المقابر**، وقال: «الفصل الأول: في أن هذه المسألة [يعني: سماع الموتى] هل هي من الاعتقاديات أو الفرعيات؟ فإن كانت من الاعتقاديات؛ فلا بد لمثبتيها من الأدلة القطعية،... وإن كانت من الفرعيات؛ فعلى كل مقلد أن يستدل بما عليه إمامه، ويورد عليها أقواله، ولا يصح أن يستدل بأقوال الأئمة الأخر، يخرج من مذهبه لمسألة، فإن هذا يؤدي إلى تلفيق العمل كما في الشامي[(٢)] ١/ ٦٩»[(٣)].

٣ ـ أن الحنفية ـ بما فيهم الكوثري ـ قرروا أن أخبار الآحاد تعرض على الكتاب، فإن خالفته تترك، عملًا بأقوى الدليلين[(٤)].

---

(١) انظر: شرح المقاصد، للتفتازاني ١/ ٦، وشرح العقائد النسفية له ١٠١، ومقدمة الكوثري لكتاب: العالم والمتعلم، للإمام أبي حنيفة ٧.

(٢) المراد بالشامي: حاشية ابن عابدين المسمى: رد المحتار على الدر المختار.

(٣) البصائر للمتوسلين بأهل المقابر، للعلامة الشيخ محمد طاهر الحنفي الماتريدي الديوبندي الفنجفيري ١ ـ ٢.

(٤) انظر: تأنيب الكوثري ٢٢٣.

٤ ـ أن من شروط قبول أخبار الآحاد عند أبي حنيفة عدم سبق طعن أحد من السلف فيها[١]، وقد صح عن عائشة ﵂ الطعن في حديث قليب بدر[٢].

٥ ـ أنه لا يجوز تقييد الكتاب بخبر الواحد، والكتاب مطلق في عدم سماع الأموات.

٦ ـ لا يجوز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، والكتاب عام في عدم سماع الأموات.

وأما نحن؛ فلا نحتاج إلى تلك القواعد الفاسدة، والأصول الكاسدة الكلامية الاعتزالية الماتريدية، بحمد الله تعالى وتوفيقه.

بل نؤمن بكلام الله تعالى، كما نؤمن بما أخبر به رسول الله ﷺ، الصادق الصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فنقول: إن الأصل في الموتى عدم السماع، كما قرره القرآن، وعلى ذلك عقيدة الصحابة، وعلى رأسهم عمر وعائشة ﵄، وقد أقرهم النبي ﷺ على ذلك الاعتقاد[٣]، فهذه هي عقيدة الإسلام القرآنية والسنية، وعليها تعامل الصحابة[٤].

---

(١) المرجع السابق ٢٢٤.

(٢) انظر: صحيح البخاري ١/ ٤٦٢، ومسلم ٢/ ٦٤٣.

(٣) ارجع لتفصيل ذلك إلى تحقيق شيخنا الألباني في مقدمة تحقيقه لكتاب: الآيات البينات في عدم سماع الأموات، للعلامة نعمان بن محمود الألوسي ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) وما أكثر الكوثري استدلالاً بالتعامل والتوارث، انظر: مقالات الكوثري ١٥٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٧.

وأما الأحاديث المشعرة بسماع الموتى، فالصحيح منها حديثان:

• الأول: **حديث أنس**: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له...)[1].

وللحديث محامل:

الأول: أنه مخصوص بوقت وضعه في القبر ومجيء الملكين، وعلى ذلك حمله ابن الهمام[2]، ذلك الإمام الحنفي، ذو المكانة الرفيعة عند الحنفية عامة، وعند الكوثري خاصة، وأقره ابن عابدين الشامي الحنفي[3].

ويؤيده ما قاله البدر العيني ذلك الإمام الحنفي، الذي يرجحه الكوثري على الحافظ و«عمدته» على «فتحه»، من أنه يعاد الروح إلى الجسد وقت المسألة، والعلامة الألوسي مشى على هذا[4].

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٤٩، ومسلم ٤/ ٢٢٠٠، ٢٢٠١.

(٢) انظر: فتح القدير ٢/ ١٠٤.

(٣) انظر: رد المحتار ٣/ ٨٣٦.

(٤) انظر: عمدة القاري ٨/ ٢٠٢، وروح المعاني ٢١/ ٥٧، قلت: وقد ورد في ذلك حديث براء بن عازب: **(وتعاد روحه في جسده)**. رواه أبو داود ٥/ ١١٥، وسكت عنه أبو داود، ويظهر من صنيع المنذري أنه يصححه، انظر: مختصر السنن ٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣، و[رواه] أحمد ٤/ ٢٨٨، وأبو داود الطيالسي ١٠٢، وهناد بن السري في كتاب الزهد ١/ ٢٠٧، والآجري في الشريعة ٣٦٩، وابن أبي شيبة ٣/ ٣٨٢، والحاكم ١/ ٣٧ وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في عذاب القبر ٣٧، وصحح إسناده، قال شيخنا الألباني: «صححه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٨١»، مقدمة تحقيقه =

الثاني: ما أجاب العلامة رشيد أحمد الجنجوهي، الإمام الثاني للحنفية الديوبندية بقوله: «والجواب: أن ذلك كناية عن سرعة إتيانهما بعد الدفن، لا حقيقة»[1].

قلت: كلا؛ بل الحديث على الحقيقة، ولا يجوز حمل كلام الشارع على الكنايات بدون برهان.

والثالث: ما خطر ببالي أن الحديث غاية ما فيه إثبات سماع الميت في تلك الحالة قرع النعال، وهو لا يستلزم سماع كلام الأحياء، فالدليل خاص والمدَّعى عام، وهذا خلاف أصول المناظرة.

وذلك أن من في داخل الغرفة قد يسمع قرع نعال من فوق السقف، ولا يسمع كلامهم.

• والثاني: حديث ابن عمر ﷺ في قصة القتلى المشركين يوم بدر وإلقاؤهم في القليب: (إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم)[2]، وفي

لكتاب: الآيات البينات ٨٤، وقال القرطبي: «حديث صحيح، له طرق كثيرة»، التذكرة ١/ ١٥٠، وحسنه شيخ الإسلام، انظر: مجموع الفتاوى ٤/ ٢٩٠، وصححه الإمام ابن القيم، وأجاب عن تضعيف أبي حاتم وابن حزم له، كما ذكر تصحيح أبي نعيم والحاكم وغيرهما له، انظر: تهذيب السنن ٧/ ١٣٩ ـ ١٤١، وصححه السيوطي في شرح الصدور ٧٤، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ١٥٩، ولذلك قال الآلوسي: «والجمهور على عود الروح إلى الجسد وقت السؤال»، روح لمعاني ٢١/ ٥٧.

(١) الكوكب الدري على جامع الترمذي ٢/ ١٩٧، وأقر الشيخان محمد يحيى ومحمد زكريا الوالد والمولود الديوبنديان.

(٢) رواه البخاري ٤/ ١٤٦٢، ومسلم ٢/ ٦٤٣.

رواية: قال ناس من أصحابه: يا رسول الله؛ تنادي ناسًا أمواتًا؟ قال رسول الله ﷺ: (ما أنت بأسمع لما قلت لهم)(١).

وفي حديث أنس في تلك القصة: (فقال عمر: يا رسول الله؛ ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟! فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)(٢)، قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا».

وفي رواية من قول عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله؛ كيف يسمعوا؟ وأنّى يجيبوا وقد جيفوا؟)(٣).

وللحديث محامل:

الأول: أنه محمول على وقت سؤال الملكين، ووقت إعادة الروح إلى الجسد، وعلى ذلك مشى البدر العيني ـ الذي يرجّحه الكوثري على الحافظ و«عمدته» على «فتحه» ـ وبهذا وفّق بين هذا الحديث وبين إنكار عائشة رضي الله عنها لسماع الموتى(٤).

والثاني: أن هذا كان على خرق العادة، معجزة لرسول الله ﷺ، وعلى هذا مشى جمع من الحنفية وغيرهم(٥)، ويدل على ذلك أدلة قاطعة:

---

(١) رواها البخاري ٤/١٤٧٦.

(٢) رواه البخاري ٤/١٤٦١، ومسلم ٤/٢٢٠٣، ولم يذكر قول قتادة.

(٣) رواها مسلم ٤/٢٢٠٣.

(٤) انظر: عمدة القاري ٨/٢٠٢.

(٥) منهم ابن الهمام، ذلك الإمام العظيم من الحنفية، فتح القدير ٢/١٠٤، وابن عابدين الشامي الحنفي، رد المحتار ٣/٨٣٦، والعلامة رشيد أحمد =

أ - قول قتادة المذكور: «أحياهم الله...»، وعلى هذا مشى القاضي عياض والباجي[1].

ب - أن في متن الحديث ما يقيِّده ويخصِّصه، وهو كلمتي: (الآن) و: (ما أقول لهم)، نبَّه على ذلك الآلوسي[2].

ت - أن هذه القصة عدَّها كثير من المحدِّثين من المعجزات[3].

وما أحسن كلمة قالها الإمام ابن التين، وأقرها البدر العيني، إمام الكوثري: «لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية، لأن الموتى لا يسمعون لا شك، لكن إذا أراد الله إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع...»[4].

وعلى كل حال؛ فهي واقعة حال لا عموم لها، وهذه قاعدة مسلَّمة عند الحنفية، وعليها بناء كثير من المسائل[5].

وبعد هذا كله؛ لا يقول بسماع الموتى إلا كل من يريد فتح

= الجنجوهي، الإمام الثاني للحنفية الديوبندية، الكوكب الدري ٢/ ١٩٧، والعلامة الآلوسي، مفتي الحنفية، روح المعاني ٢١، ٥٦، وعمر بن إبراهيم الحنفي، صاحب النهر الفائق، أخو ابن نجيم الحنفي، والطحطاوي، انظر: الآيات البينات، لنعمان الآلوسي ٥٥، وأقره.

(١) انظر: شرح الموطأ، للزرقاني ١/ ٦٣، والآيات البينات ٩٧، ولم أجده في المنتقى، للباجي، ولا يخفى إجلال الكوثري وتبجيله للباجي، انظر: تأنيب الكوثري ١٣، ١٠١.

(٢) انظر: روح المعاني ٢١/ ٥٦.

(٣) انظر: دلائل النبوة، لأبي نعيم ٢/ ٤٧٨ - ٤٨٩، ودلائل النبوة، للبيهقي ٣/ ٩٢ - ٩٣، ومشكاة المصابيح ٣/ ١٦٧١.

(٤) عمدة القاري ٨/ ٢٠٢.

(٥) انظر: شرح مسند الإمام أبي حنيفة ٨٣.

باب الوثنية القبورية بمصراعيه أمثال البريلوية والكوثرية، فإن القبورية لا تنادي الأموات ولا تستغيث بهم إلا ويعتقدون أنهم يسمعون.

المبحث الثاني

في حياة الموتى في البرزخ

• التمهيد •

قد تقدم بالبراهين والحجج أن الأموات لا يعلمون الغيب، ولا يعلمون سؤال السائل، ولا يسمعون مما يجري على وجه الأرض من أصوات إلا ما كان من خرق العادة في بعض الأحيان.

فحياتهم في البرزخ حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى، وليس من جنس الحياة الدنيوية العنصرية العادية، بحيث يعلمون بأحوال الدنيا ويسمعون الأصوات كل حين وآن، ويعلمون بسؤال السائل ويدعون له ويشفعون، لا أبدًا، وليس هذا الزعم إلا حديث خرافة، ونتيجة السخافة.

بل يجب أن نقف عند نصوص الشرع وإخبارها عن هذا الأمر الغيبي، ولا نتدخل في دائرة الغيب بأهوائنا وآرائنا.

فنثبت حياة برزخية للأموات كلهم، بحيث يكون السعيد منعَّمًا في نعم الله تعالى، على تفاوت منهم في تلك الحياة بين عامة السعداء، وبين الأنبياء والشهداء، ويكون الشقي معذَّبًا بعذاب الله تعالى، على تفاوت منهم بين العصاة والكفار.

وتدل نصوص القرآن على التفرقة بين الحياة الدنيوية والبرزخية.

فقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[3]، أي: غير أحياء حياة دنيوية، لأن الحياة البرزخية ثابتة لهم قطعًا.

وقال تعالى: ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[5].

وهذه الآيات في ذوي العقول، بدليل صيغها، وسياقها وسباقها، ونصوص المفسِّرين، فتشمل كل من يدعى من دون الله، سواء كان ملكًا مقرَّبًا، أو نبيًّا مرسلًا، أو وليًّا صالحًا.

وإليك بعض نصوص المفسِّرين من الحنفية:

١ ـ **قال أبو الليث السمرقندي (٣٧٥هـ)**: «﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾: يعني: هم في الحكم كالأحياء، لأنه يجري ثوابهم إلى يوم القيامة...»[6]

٢ ـ **قال النسفي (٧٠١هـ)**: «لا تعلمون ذلك، لأن حياة الشهيد

---

(١) البقرة: ١٥٤.

(٢) آل عمران: ١٦٩.

(٣) النحل: ٢١.

(٤) فاطر: ١٤.

(٥) الأحقاف: ٥.

(٦) بحر العلوم ١/ ٥١١.

لا تعلم حسًّا...»[١].

٣ ـ **وقال أبو السعود (٩٥١هـ)**: «﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾ بحياتهم، وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية، وإنما هي أمر روحاني لا يُدرك بالعقل؛ بل بالوحي...»[٢].

٤ ـ **وقال الآلوسي** ـ مفتي الحنفية ببغداد ـ: «أي لا تحسون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر، لأنها من أحوال البرزخ التي لا يطلع عليها، ولا طريق للعلم بها إلا الوحي...»[٣].

٥ ـ وذكر حياة الشهداء؛ لمزيد العناية والإكرام، تشريفًا لهم وبشارة[٤]، وإلا فحياة الموتى جميعًا برزخية.

ثم سُنَّة الله تعالى في آدم وبنيه خيارهم وأشرارهم أن يميتهم اثنتين ويحييهم اثنين.

قال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[٦].

---

(١) مدارك التنزيل ١/١٠٢.

(٢) إرشاد العقل السليم ١/١٧٩.

(٣) روح المعاني ٢/٢٠ ـ ٢٢.

(٤) راجع في ذلك كلام إمام الحنفية الجصاص، في أحكام القرآن ١/١١٥، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، و١/٩٣، طبعة دار الخلافة العلمية، سنة ١٣٣٥هـ.

(٥) البقرة: ٢٨.

(٦) غافر: ١١.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾(٢).

والمراد من الموتة الأولى: موتة قبل نفخ الروح في الجنين، والموتة الثانية في الدنيا، التي بعدها عالم البرزخ، وأما الحياة الأولى فمنذ نفخ الروح في الجنين إلى أن يأتيه الموتة الثانية في هذه الحياة الدنيا، والحياة الثانية بعد البرزخ يوم القيامة(٣).

ولذلك لما مات رسول الله ﷺ دخل عليه أبو بكر رضي الله عنه، وكشف عن وجهه، فقبَّله ثم بكى، فقال: (بأبي أنت يا نبي الله؛ لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متَّها). وفي رواية: (بأبي أنت وأمي؛ طبتَ حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده؛ لا يذيقنك الله الموتتين أبدًا)(٤).

ثم خطب أبو بكر رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (أما بعد؛ ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾(٥)، وقال:

---

(١) المؤمنون: ١٥ ـ ١٦.

(٢) عبس: ٢١ ـ ٢٢.

(٣) راجع تفسير هذه الآيات في التفاسير السابقة وغيرها، وارجع أيضًا إلى عمدة القاري ٨/ ١٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت، ١/ ٤١٩، وفضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذًا خليلًا)، ٣/ ١٣٤١، والمغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ٤/ ١٦١٨.

(٥) الزُّمَر: ٣٠.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾[1]»[2].

وهذه القصة موضع تدبُّر وتفكُّر، وينبغي لكل مسلم أن يتدبَّر في خطبة أبي بكر رضي الله عنه هذه، وإجماع الصحابة على قوله.

فهل كانوا يريدون أن النبي ﷺ حي مع الموت حياة دنيوية؟! فتعسًا لرأس يتخيل ذلك، ومن ظن ذلك فقد افترى على هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم أبي بكر رضي الله عنه، الخليفة الراشد الأول، أفضل هذه الأمة.

ومن زعم ذلك؛ فقد راوغ، وقال الباطل، وأبعد النجعة، وحاول المحال.

ولا غرو أن الكوثري وأمثاله والبريلوية القبورية الوثنية الذين فقدوا العقل والدين أن يزعموا ذلك، ولكن العجب من كبار علماء الديوبندية الذين لهم مكانتهم وكعبهم في العلوم!

فقد قالوا مثل مقالة البريلوية الوثنية؛ حيث يقول فخر المحدثين عندهم، الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، مؤلف: بذل المجهود شرح سنن أبي داود: «الجواب عندنا وعند مشائخنا: حضرة الرسالة ﷺ حي في قبره الشريف، وحياته ﷺ دنيوية من غير تكليف، وهي مختصة به ﷺ، وبجميع الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ والشهداء، لا برزخية كما هي حاصلة لسائر المؤمنين...»[3].

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري، انظر: التخريج السابق.

(٣) المهند على المفند ٣٨ ـ ٣٩.

ولم يكتفِ مشائخ ديوبند بهذا؛ بل قرروا أن النبي ﷺ يصلي في قبره بأذان وإقامة[1]!

بل صرحوا أن النبي ﷺ حي في قبره، فمفارقته عن الدنيا مثل مفارقة المنعزلين عن الناس أو المعتكفين أربعين يومًا، ولذلك لا تورث تركة النبي ﷺ، كما لا تورث تركة هؤلاء الذين انعزلوا عن الناس واعتكفوا[2].

وقالوا أيضًا: إن الرجل الحي لا يجوز النكاح مع زوجته، ولا تورث تركته، فكذلك النبي ﷺ حي في قبره، فلا يجوز النكاح مع أزواجه ﷺ، ولا تورث تركته[3].

هذه هي العقيدة الديوبندية والكوثرية، إلا أن البريلوية قد زادوا عليها: أن النبي ﷺ يجامع زوجاته في القبر أيضًا!!

وهؤلاء البريلوية قد وصلوا في الغلو حتى فقدوا العقل والحياء، ولكن قياس قول الديوبندية يقتضي ذلك، فليقولوا أيضًا بذلك.

والحاصل: أن الحياة البرزخية ثابتة لجميع الناس، المسلم منهم والكافر، فالكافر في عذاب أليم، والمسلم العاصي في

---

(١) فيض الباري، للعلامة المجد أنور شاه الكاشميري ١/ ١٨٣، وفتح الملهم شرح صحيح مسلم، لشيخ الإسلام شبير أحمد العثماني ٣/ ٤١٩.

(٢) عقائد أهل السنة والجماعة (الجماعة الديوبندية)، المطبوعة مع: المهند على المفند ١٦٢، نقلًا عن: آب حيات، لإمام الديوبندية، ومؤسس مدرسة ديوبند، حجة الإسلام محمد قاسم النانودي ٢، والكوكب الدري، لقطب الإرشاد رشيد أحمد الجنجوهي ١/ ٤٤٣.

(٣) عقائد أهل السنة والجماعة، المطبوعة مع المهند على المفند ١٦٣، نقلًا عن (الطهور)، لحكيم الأمة أشرف علي التهانوي ٤٩.

مشيئة الله تعالى، والصالحون في نعيم مقيم، وتمتاز حياة الشهداء مزيدًا من الفضل والإكرام، والنعيم والعناية من الله تعالى، وأعلى منهم حياة الأنبياء، فحياتهم كحياة الملوك بالنسبة إلى عوام الناس؛ لأن الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لهم مكانتهم ومنزلتهم عند الله لا توجد لغيرهم.

ومع ذلك؛ فحياة الناس جميعًا حياة برزخية لا دنيوية، إذًا فترهات البريلوية والكوثرية وخزعبلاتهم في هذا الباب مناقضة تمامًا لنصوص الكتاب والسنة، ولموقف الصحابة، وعلى رأسهم أبي بكر أفضل هذه الأمة، والخليفة الراشد الأول، رضي الله عنهم جميعًا، وسلكنا مسلكهم، وحشرنا في زمرتهم، آمين.

واعجبًا لهؤلاء! ما معنى: ﴿مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[1]، و﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[3]، و(أما الموتة التي كتبت عليك فقد مت)، و(من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات...)؟

هل معنى ذلك أن النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية عنصرية، وأن انقطاعه عن الناس كانقطاع راهب أو صوفي في صومعته أو معتكفه، وانعزاله عن الناس فقط، فكما لا يجوز نكاح زوج الراهب أو الصوفي المنعزل المنقطع عن الناس بالاعتكاف، ولا تجوز توريث تركته، فهكذا النبي ﷺ؟

---

(١) آل عمران: ١٤٤.
(٢) الزُّمَر: ٣٠.
(٣) الأنبياء: ٣٤.

فإذا كان هذه الخزعبلات دين؛ فيكون دين النصارى والرهبان والصوفية، وليس هذه الأساطير من الإسلام في شيء.

ثم العجب من هؤلاء أنهم لا يرون إثبات العقيدة بالنصوص الشرعية، لا بأخبار الآحاد ولا غيرها، لأن الأدلة النقلية ظنيَّة عند هؤلاء الماتريدية والأشعرية، كشيوخهم المعتزلة(١)، ثم تراهم يستدلون ببيت لا يُعرف قائله، اللهم إلا أن يكون الأخطل النصراني، كما تراهم يستندون في خرافاتهم في هذا الباب وغيره إلى الموضوعات والضعاف والمناكير والشواذ(٢)! وهذا تناقض واضح فاضح.

أما ما استندوا إليه من عدم جواز النكاح مع أزواج النبي ﷺ، وعدم توريث تركته؛ فلا حجة لهم في ذلك.

لأن الأمر الأول لأجل أن النبي ﷺ أبٌ لأمته، وأزواجه أمهاتهم، بنص القرآن، لا لأجل أنه حيٌّ في قبره حياة دنيوية، كراهب في صومعته، أو صوفي في معتكفه.

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾(٣)، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس ومصحف أُبَيٍّ رضي الله عنهم: (وَهُوَ أَبٌ لَهُم)(٤).

---

(١) انظر تفصيل هذا في ص: ٢٣٣، من هذه الرسالة.

(٢) ولقد قام أحد كبار الجماعة الديوبندية بتأليف كتاب بعنوان: البصائر للمتوسلين بأهل المقابر، فأجاد وأفاد، وتكلم على تلك الروايات الواهية: ألا وهو شيخنا العلامة محمد طاهر الحنفي الديوبندي، وفيه عبرة للديوبندية والكوثرية.

(٣) الأحزاب: ٦.

(٤) مدارك التنزيل، للنسفي ٣/ ٥١، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود =

وأما الأمر الثاني؛ فلأجل قول النبي ﷺ: (وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم)[1]. وقوله ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء لا نورَّث، ما تركتُ بعد مؤنة عامل ونفقة نسائي صدقة)[2].

وبهذا احتج أبو بكر رضي الله عنه على فاطمة وعلي والعباس رضي الله عنهم، في مطالبتهم أرضه ﷺ من فدك، وسهمه ﷺ من خيبر[3]، ولم يقل لهم: إن النبي ﷺ حي في قبره حياة دنيوية، واعتزل عن الناس اعتزال الراهب في صومعته، والصوفي في معتكفه، فكيف تطلبون ميراثه؟

فلو كان أبو بكر رضي الله عنه يعتقد ما يعتقد الكوثرية، لقال ذلك في معرض الاحتجاج لقطع ذلك اللجاج.

وبهذا يندفع ما يذكر كبيرهم الملقب حكيم الأمة العلامة أشرف علي التهانوي: أن هذه هي عقيدة جميع أهل الحق اتفاقًا وعقيدة الصحابة رضي الله عنهم[4].

الحمد لله؛ لم يكن في الصحابة أحد جهميًا، ولا أشعريًا، ولا

= العمادي ٧/ ٩١، وروح المعاني، للألوسي ٢٢/ ١٥٢.

(١) رواه أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود، باب الحث على طلب العلم ٣/ ٣٥٤، والترمذي، باب فضل الفقه على العبادة، ٥/ ٤٨، **قال شيخنا الألباني**: «إسناده حسن». تخريج المشكاة ١/ ٧٤، وصحيح الترغيب والترهيب ١/ ٣٣، **وصححه** في صحيح الجامع الصغير ٥/ ٣٠٢.

(٢) انظر: مسند أحمد ٢/ ٤٦٣.

(٣) انظر: مسند أحمد ١/ ١٠، ١٣، وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح». انظر شرح المسند ١/ ١٦٧، ١٧٧، ١٧٩، ١٧٨.

(٤) انظر: عقائد أهل السنة والجماعة (الديوبندية)، المطبوعة مع المهند على المفند ١٦٣، نقلًا عن الظهور ١٤٩.

ماتريديًا، ولا كوثريًا، ولا ديوبنديًا، وإلا لقالوا مثل ما قالوا، ولكنهم كانوا حنفاء مسلمين، على هدي الكتاب والسنة، سلكنا الله مسلكهم، وأماتنا على حبهم وسيرتهم، وحشرنا في زمرتهم.

وفي الحقيقة: عقيدة الكوثرية والديوبندية هذه مبنية على أصل المتكلمين: أن العرض لا يبقى زمانين، فبناء على أصلهم؛ لا يكون النبي نبيًا بعد موته، فقالوا بحياة الأنبياء في القبور، ثم فرَّع متأخروهم ـ الذين اعتنقوا أفكارًا قبورية ـ على ذلك التوسل البدعي بالأموات[1]، والاستغاثة بالنبي ﷺ[2]؛ بل زيارة قبور الأولياء لأجل وصول الفيوض من قبورهم[3].

وأريد أن أختم هذا المبحث بأبيات من القصيدة النونية، ليكون على الدرب نور على نور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ:

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ... ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما ... قد كان فوق الأرض والرجمان[4]
لو كان حيًا في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض؛ بل من فوقها، ... والله هذه سنة الرحمٰن
أتراه تحت الأرض حيًا ثم لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان

---

(١) انظر: المهند على المفند ٣٧.

(٢) كما ذكر عن الكوثري في معرض عقيدته.

(٣) انظر: المهند على المفند ٤٥.

(٤) الرَّجْمة والرُّجْمة والرَّجَم: القبر، والجمع رِجام، وكذا الرَّجَم والجمع أرجام. انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٢٧، ولم أجد (الرجمان).

ويريح أمته من الأداء والـ[1] ... خلف العظيم وسائر البهتان؟
أم كان حيًّا عاجزًا عن نطقه؟ ... وعن الجواب لسائلٍ لهفان
وعن الحراك؟ فما الحياة اللات ... قد أثبتموها؟ أوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه ... يشكون بأس الفاجر الفتان؟
يا قومنا؛ استحيوا من العقلاء ... والمبعوث بالفرقان والرحمٰن
والله ما قَدْرَ الرسول عرفتم ... كلا؛ ولا للنفس والإنسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه ... فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله أن رسوله ... ميت، كما قد جاء في القرآن
أثلاث موتات تكون لرسله ... ولغيرهم من خلقه موتان؟
أفهل يموت الرسل أم يبقوا ... إذا مات الورى أم هل لكم قولان؟
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ[2] ... ـبوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أولم يقل من قبلكم للرافعي الـ ... ـأصوات[3] حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الأصوات حرمة ... عبده ميتًا كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا[4] إنه ... حي فغضوا الصوت بالإحسان
لكنهم بالله أعلم منكم ... ورسولِه وحقائقِ الإيمان
ولقد أتوا يومًا إلى العباس يسـ[5] ... ـتسقون من قحط وجدب زمان
هذا؛ وبينهم وبين نبيهم ... عرض الجدار وحجرة النسوان

---

(١) (والخلف العظيم) قطعناه في الشطرين.
(٢) أصله: (أجيبوا)، صيغة الأمر لجمع الحاضرين، فحذفت الهمزة القطعية لضرورة الشعر.
(٣) للرافعي الأصوات.
(٤) أصله: (أن يقولوا)، حذفت: (أن) المصدرية لضرورة الوزن.
(٥) يستسقون.

فنبيهم حي ويستسقون غيـ[1] ر نبيهم حاشا أولي الإيمان

ثم ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ شبهات هؤلاء، ثم فنَّدها[2]، هذا هو حقيقة أمر هؤلاء؛ يتركون النصوص، ويتشبثون ببيوت العنكبوت، وشبهات ما لها ثبوت.

---

(١) غير نبيهم.

(٢) القصيدة النونية ١٣٠ ـ ١٣٥، وشرحها: توضيح المقاصد، للعلامة أحمد بن عيسى الشرقي ٢/ ١٥٤ ـ ١٨٠، وشرحها: توضيح الكافية الشافية، لعلامة القصيم عبد الرحمٰن السعدي ١٠٣ ـ ١٠٨، وشرحها: للدكتور خليل هراس ٢/٦ ـ ٢٣.

الباب الثاني

في تجويز الكوثري بناء القبب والمساجد على القبور، والصلاة إليها تبرُّكًا، والرد عليه

وفيه فصول ثلاثة، وتمهيد:

أما التمهيد: **ففي عرض عقيدة الكوثري في هذا الباب.**

الفصل الأول: **في تحريم بناء القبب والمساجد على القبور ووجوب هدمها، في ضوء الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة، وأقوال أرباب المذاهب الأربعة، ولا سيما الحنفية.**

الفصل الثاني: **في تحريم الصلاة إلى القبور، وبيان خطر زيارة القبور الشركية، وخطورة بناء القبب على القبور، وأن ذلك سبب وحيد لإعادة سلطان الوثنية الخرقاء والجاهلية الجهلاء.**

الفصل الثالث: **في الجواب عن شبهات الكوثري في تجويزه بناء القبب والمساجد على القبور والصلاة إليها.**

أما التمهيد

ففي عرض عقيدة الكوثري في هذا الباب

يرى الكوثري جواز بناء المساجد والقبب على القبور، وجواز الصلاة إلى قبور الأولياء، لاستنزال الخيرات والبركات، وحصول الفيوض من القبور، ويستدل على ذلك بشبهات واهية، وعادات الملوك والسلاطين، ويجعلها من التوارث العملي من الأمة، كأنه إجماع الأمة، ويقدح فيمن خالف ذلك ويسبُّه ويشتمه، ويجعل ما يعتقده عقيدة الإسلام والمسلمين التي يجب الرجوع إليها.

وفيما يلي نصوص الكوثري:

١ ـ **يقول الكوثري**: «فعلى هذا الرأي من صاحب التوقيع، يجب على أولياء الأمور في بلاد الإسلام أن يمسكوا بمعاول الهدم ليعملوها في هدم قباب الصحابة وأئمة الدين وصالحي الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، والمساجد المضافة إليهم، وقباب ملوك الإسلام وأمراء الإسلام وغيرهم في كل قطر، مع ما توارثت الأمة من خلاف ذلك خالفًا عن سالف»[١].

قلت: ماذا يقصد هذا الرجل؟ أليس هذه دعوة إلى عبادة القبور؟

(١) مقالات الكوثري ١٥٦ ـ ١٥٧، يريد الكوثري أن هذا المتوارث هو عين الإسلام، فكيف يجوز هدم المتوارث، والقول بمنعه؟!

٢ ـ ثم استدل بكلام نقله الأبي[١] عن بعض الشافعية: «فأما من اتخذ مسجدًا قرب رجل صالح أو صلى في مقبرته قصدًا للتبرك بآثاره وإجابة دعائه هناك؛ فلا حرج»[٢].

كما استدل بقول عبد الغني النابلسي الحنفي الماتريدي الصوفي[٣]: «وأما من اتخذ مسجدًا في جوار صالح أو صلى في قبره وقصد به الاستظهار بوجه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا للتعظيم له والتوجه إليه؛ فلا حرج»[٤].

٣ ـ واستدل أيضًا بقوله في صدد إيقاد الشموع على القبور: «وهذا كله إذا خلا من فائدة، وأما إذا كان موضع القبور مسجدًا أو على طريق، أو كان هناك أحد جالسًا أو كان قبر ولي من أولياء الله أو عالم من المحققين تعظيمًا[٥] لروحه المشرقة على تراب جسده كإشراق الشمس على الأرض إعلامًا للناس أنه ولي ليتبركوا به ويدعوا الله عنده فيستجاب لهم؛ فهو أمر جائز لا مانع منه، والأعمال بالنيات»[٦].

---

(١) هو محمد بن خلفة بن عمر الوشتاني الأبي، مؤلف: إكمال الإكمال، شرح صحيح مسلم، توفي سنة ٨٢٧ ـ أو ـ ٨٢٨هـ، ترجمته في: الأعلام ٦/ ١١٥، وتراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ ١/ ٤٦.

(٢) مقالات الكوثري ١٥٧، وانظر: إكمال الإكمال، للأبي ٢/ ٢٣٤.

(٣) هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، صاحب الحديقة الندية، توفي سنة ١١٤٣هـ، ترجمته في الأعلام ٤/ ٣٣.

(٤) المقالات ١٥٧، نقلًا عن الحديقة الندية، للنابلسي ٢/ ٦٣١.

(٥) تدبر أيها الطالب للحق في قوله السابق: «لا للتعظيم له والتوجه إليه؛ فلا حرج»، المقالات ١٥٧، وفي هذا القول: «تعظيمًا لروحه...»، كيف وقع في المناقضة الفاضحة من حيث لا يشعر، فقد صارت قواه مألوفة بالوساوس الشيطانية، والهواجس الخرافية، التي يظنون أنها فيوض أرواح الأولياء.

(٦) مقالات الكوثري ١٥٨، عن الحديقة الندية، للنابلسي المذكور ٢/ ٦٣٠.

٤ - ثم يوهم أن الإمام أبا حنيفة يرى جواز تجصيص القبور والبناء والكتابة عليها، فيقول: «وحكى النووي في المجموع (٥/ ٢٩٨) كراهية التجصيص، وكتابة الاسم، والبناء عن الجمهور، ثم عزا إلى أبي حنيفة، أنه لا يكره ذلك»(١). ثم قال: «وأين لفظ الشافعي ومالك من كلام ابن القيم»؟(٢)

٥ - ثم استدل بجواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾(٣)، «ليصلي فيه المسلمون، ويتبركون بمكانهم»(٤)، وأحال على النيسابوري(٥) وغيره.

٦ - ثم طعن هذا الكوثري الخرافي - كعادته - في حديث أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: **(ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)**(٦). فقال: «في إسناده اختلاف، مع عنعنة

---

(١) وهذا نص النواوي: «قال الشافعي والأصحاب: يكره أن يجصص القبر، وأن يكتب عليه اسم صاحبه أو غير ذلك، وأن يبنى عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك، وأحمد، وداود، وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: لا يكره...». المجموع ٥/ ٢٩٨.

(٢) مقالات الكوثري ١٥٩.

(٣) الكهف: ٢١.

(٤) مقالات الكوثري ١٥٩، وانظر: غرائب القرآن، للنيسابوري ١٥/ ١١٠.

(٥) هو نظام الدين الحسن بن محمد الخراساني النيسابوري القمي، المعروف بالأعرج، توفي سنة ٧٢٨هـ، أو بعد سنة ٨٥٠، انظر ترجمته في: بغية الوعاة ١/ ٥٢٥، وكشف الظنون ٢/ ١١٩٥، وهدية العارفين ١/ ٢٨٣، والأعلام، للزركلي ٢/ ٢١٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٢٨١.

(٦) رواه مسلم ٢/ ٦٦٦، وأبو داود ٣/ ٥٤٨، والترمذي ٣/ ٣٥٧، والنسائي ٤/ ٨٨، وأحمد ١/ ٩٦، ١٢٩، وعبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٠٤.

حبيب بن أبي ثابت»[1]. كما طعن أيضًا في حديث جابر ﷺ قال: (**نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**)[2]. فقال: «فيه عنعنة أبي الزبير، والنهي عن الكتابة زيد في بعض الروايات»!

هذا كان طعنه في الحديثين رواية، وطعن فيهما دراية أيضًا، فقال: «ومع كون التسوية غير معمول بها مدى الدهور، . . . وترك العمل بالحديث مدى القرون علة قادحة عند كثير من أهل النقد. . .»[3].

٧ ـ ثم قال: «قال الحاكم في المستدرك ١/ ٣٧٠: وهذه الأسانيد صحيحة، وليس العمل عليها، فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم، وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف»[4].

٨ ـ ثم أيَّد جواز الصلاة إلى القبور بما في المدونة ١/ ٩٠: «قلت لابن القاسم: هل كان مالك يوسع أن يصلي الرجل وبين يديه قبر يكون سترة له؟ قال: مالك لا يرى بأسًا بالصلاة في المقابر،

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ١٥٩.

(٢) رواه مسلم ٢/ ٦٦٧، وأبو داود ٣/ ٥٥٢، والترمذي ٣/ ٣٥٩، والنسائي ٤/ ٨٦، ٨٧، ٨٨، وابن ماجه ١/ ٤٩٨، وأحمد ٣/ ٢٩٥، ٣٣٢، ٣٩٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ١/ ٥١٥، وهو الكتاب الذي يرجحه الحنفية على السنن الأربعة، وعلى رأسهم العيني والكوثري. انظر: مقدمة بعض الحنفية، لكتاب شرح معاني الآثار ٥٦، وانظر: الحاوي لسيرة الطحاوي، للكوثري ٣٣، فقد صرح «أنه لا نظير له في التفقيه، سندًا ومتنًا».

(٣) مقالات الكوثري ١٥٩.

(٤) المرجع السابق.

وهو إذا صلى في المقبرة كانت القبور بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله. . .».

هذه ثمان فقرات اختصرنا فيها مقالته الخبيثة، التي يدعو فيها إلى عبادة القبور.

وإليك أيها القارئ الكريم بعض المعاول الدامغة والحجج البالغة لقلع تلك الفقرات، وقلعها وإلقام الحجر في فيّ من قال بجمعها، ردًّا للحق إلى نصابه، وردعًا للجهل وأصحابه، لئلا يتشبَّث كل كوثري بوساوسه، ولا يحتج كل ثرثري بهواجسه. والله المستعان، وعليه التكلان.

قلت: كيف لا يجب على ولاة الأمور في بلاد الإسلام إعمال معول الهدم في الأبنية والقباب والمساجد على القبور، وكيف لا يجب هدمها كلها، مع أنها أُسِّسَتْ على معصية الله تعالى، ومعصية الرسول ﷺ؟! فبناء ما أُسِّسَ على المعصية ومخالفة شرع الله - ولو كان في صورة مسجد كمسجد الضرار[1] - فهو بناء غير محترم، فهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعًا، وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة[2]، فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى، لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهى عن البناء عليها[3]، فيجب المبادرة والمسارعة إلى هدم

(١) القصة معروفة في كتب التفسير، راجع: جامع البيان، لابن جرير ٧/ ٢٣ - ٢٦، ومعالم التنزيل ٢/ ٣٢٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) تقدم تخريجه، أخرجه مسلم وغيره.

(٣) رواه مسلم، وأهل السنن، وتقدم تخريجه.

ما لعن الله تعالى ورسوله ﷺ فاعليه، ونهيا عنه، كما تجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر[1].

❁ أعجوبة غريبة، وأضحوكة:

ذلك كان الكوثري وخرافاته، والآن استمعوا إلى خرافات فرخه أبي غدة الكوثري:

لقد زار أبو غدة الكوثري قبر الإمام العلامة محدث الهند وفقيه الحنفية؛ محمد عبد الحي اللكنوي، فرآه مخالفًا للشريعة الغراء، والسنة البيضاء، على طريقة عوام المسلمين في البلاد الشرقية، من البناء على القبور، وتشييدها، وجعلها مشرفة، منحوتة من مرمر الرخام، كعادة الملوك والسلاطين الجهلة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، على طريقة الجاهلية الجهلاء.

ومع ذلك ترى أبا غدة المذكور؛ يذكر قصة تلك الزيارة ويفتخر بها، بدون أن يتمعَّر وجهه وجبينه لهذا المنكر العظيم، ولا يغير لا باليد ولا بالقول ولا بالقلب؛ بل ينوه بذلك، ويقرر تلك البدع والمنكرات، ولا سيما على قبر إمام مثل اللكنوي، فيقول أبو غدة: «ورأيت قبر الشيخ عبد الحي مشرفًا، منيرًا، منحوتًا من المرمر الرخام الأبيض، ومكتوبًا عليه قول تلميذه: عبد العلي المدراسي، من قصيدة له في رثائه بعد قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ﴾[2]:

(١) مأخوذ من كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في الإغاثة ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩، والآلوسي في روح المعاني ١٥/٢٣٨.

(٢) النمل: ٥٩.

أيها الزُّوارُ قف واقرأ على هذا المزار
سورة الإخلاص والسبع المثاني والقنوت»[1].

قلت: أين في الإسلام تشييد القبور، وجعلها مشرفة منحوتة من المرمر الرخام الأبيض أو الأسود أو الأحمر، وأين الكتابة على القبور في الإسلام؛ بل في مذهب الحنفية؟ وأين قراءة سورة الإخلاص والفاتحة على القبر في سنة محمد رسول الله ﷺ؟ بل ليس في الإسلام وقت زيارة القبور إلا الأدعية المأثورة، والتذكير، والدعاء للميت، اعتبروا يا أهل السنة.

(١) مقدمة تحقيقه لكتاب: الرفع والتنكيل ٨.

الفصل الأول

في تحريم بناء القبب والمساجد على القبور ووجوب هدمها، في ضوء الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة، وأقوال أرباب المذاهب الأربعة، ولا سيما الحنفية

كلمة تمهيدية

لمَّا كان تعظيم القبور تعظيمًا لم يأذن به الشرع الحكيم من أسباب الإشرك بالله تعالى، فقد نهى الشارع أشد النهي عن تشييد القبور ورفعها، وبناء القبب والمساجد عليها، واعتبر الشرع ذلك من سيما اليهود والنصارى، لأنهم غلوا في الدين، وأطروا أحبارهم ورهبانهم، أحياء وأمواتًا، وبنوا على قبورهم مساجد تقرُّبًا.

فأكد الشرع الحكيم في النهي عن مشابهتهم عامة، وعن تشييد القبور والبناء عليها خاصة.

وإليك بعض ما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ:

١ - عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: (لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، يحذر مما صنعوا[1].

٢ - وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها مثله، وقالت: **(ولولا ذلك**

---

(١) رواه البخاري في المساجد ١/ ١٦٨، وفي الأنبياء ٣/ ١٢٧٣، المغازي ٤/ ١٦١٥، اللباس ٥/ ٢١٩٠، ومسلم، المساجد ١/ ٣٧٧.

لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا)[1].

٣ ـ حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها في قصة كنيسة الحبشة، فقال رسول الله ﷺ: (إن أولئك قوم إذا كان فيهم الرجل الصالح؛ فمات، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[2].

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (قاتل الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[3].

٥ ـ وفي رواية عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[4].

٦ ـ حديث جندب رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس...: (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)[5].

٧ ـ وحديث جابر رضي الله عنه.

٨ ـ وحديث أبي الهياج، اللَّذَين طعن فيهما الكوثري، ظلمًا

---

(١) رواه البخاري الجنائز، ١/٤٤٧، ٤٦٨، المغازي ٤/١٦١٧، ومسلم، المساجد ١/٣٧٦.

(٢) رواه البخاري، المساجد ١/١٦٥، ١٦٧، والجنائز ١/٤٥٠، فضائل الصحابة ٣/١٤٠٦، ومسلم، المساجد ١/٣٧٦.

(٣) رواه البخاري، المساجد ١/١٦٨، ومسلم، المساجد ١/٣٧٦.

(٤) رواها مسلم، المساجد ١/٣٧٧.

(٥) رواه مسلم، المساجد ١/٣٧٨.

وعدوًا، وقد تقدم تخريجهما مع نصهما[1].

٩ ـ حديث فضالة بن عبيد ﷺ، في قصة رجل توفي، فأمر فضالة بقبره، فسوي، ثم قال: (**سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها**)[2].

وفي هذه الدرر الغرر كفاية، لمن أراد اتباع الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم خاتم النبيين ـ صلى الله عليهم وسلم أجمعين ـ، دون اتباع اليهود المغضوب عليهم، والتشبُّه بالنصارى الضالين.

ولا يخفى على كل أديب أريب؛ أن هذه الكلمات الطيبات، والوصايا المهمات، صدرت منه ﷺ في مرض موته، مع ما فيها من أساليب التوكيد الشتى، فهي أحاديث صحيحة محكمة صريحة، لا يمكن لأي ثرثري خرافي أن يقدح فيها بالعنعنة واختلاف الأسانيد، ظلمًا وعدوًا وعلوًّا، وهي تنادي بأعلى نداء على تحريم بناء المساجد والأبنية والقباب على القبور، وأنها من فعل اليهود والنصارى، وأن فاعل ذلك ملعون بلسان رسول الثقلين ﷺ، وهي أحاديث عامة لا مُخَصِّصَ لها، كما هي مطلقة لا مُقَيِّدَ لها، وهي من الأحاديث المتواترة، كما صرح به جمع من أهل هذا الشأن[3]، مروية عن جمع من الصحابة، منهم: علي، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وعائشة، وأسامة، وأبي سعيد،

(١) انظر ص: ٢٦٣.
(٢) رواه مسلم ٢/٦٦٦، وأبو داود ٣/٥٤٩، والنسائي ٤/٨٨ بترقيم أبي غدة.
(٣) راجع نظم المتناثر، للكتاني ١٠٣ ـ ١٠٤.

وجندب، وزيد، وأبي عبيدة، وكعب رضي الله عنهم[1].

وهذه الأحاديث كما تدل بعبارة نصها على تحريم ذلك الفعل الشنيع، ولعن فاعليه، وأنها من أعمال اليهود والنصارى القبيحة؛ كذلك تدل بدلالة نصها على هدم تلك المساجد والأبنية والقباب بالطريق الأولى والأحرى، مع حديث أبي الهياج الأسدي الذي طعن فيه هذا الطعان اللعان، بالبغي والعدوان، فهو يدل على ذلك بعبارة نصه.

فاجتمع الدلالتان؛ العبارة والدلالة على تحريم تلك المساجد والقباب، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

كيف لا وقد أمر عمر رضي الله عنه ذلك الخليفة الراشد، صاحب النظرة الثاقبة العميقة، بقطع شجرة الرضوان، فما بالك بهذه المساجد والأبنية المبتدعة، المبنية على معصية الله ورسوله ﷺ.

كما أجمع على ذلك العلماء خلفًا عن سلف، كابرًا عن كابر، من لدن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الفقهاء والمحدثين، فلم يختلف في ذلك منهم اثنان، إلا من شذ منهم، ممن نزعته نزعات صوفية، أو خرافات قبورية، أو ترهات كلامية.

وهذه أقوال علماء المذاهب الأربعة:

أما المالكية:

فقد قال مالك: «أكره تجصيص القبور، والبناء عليها»[2].

(١) المرجع السابق ١٠٣، ١٢١.
(٢) المدونة ١/ ١٧٠.

وقال ابن رشد، عن ابن القاسم: «إنما يكره من ذلك هذه المساجد التي تُبنى عليها»، وأقره، ثم ذكر عدة أحاديث في ذلك[1].

وقال القرطبي: «فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبناء عليها إلى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع». ثم ذكر في ذلك بعض الأحاديث، ثم قال: «قال علماؤنا: وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»، ثم ذكر أحاديث كثيرة، منها: حديث أبي الهياج الأسدي، وحديث جابر، الذي طعن فيهما الكوثري[2].

وأما مذهب الحنابلة: فاستمع إلى ما يقوله ابن قدامة: «لا يجوز اتخاذ السرج على القبور،... ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله، ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام، ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور»، ثم ذكر الأحاديث، ثم قال: «ولأن تجصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات، باتخاذ صورهم، ومسحها، والصلاة عندها»[3].

وأما الشافعية: فقد قال النواوي: «قال الشافعي والأصحاب: يكره تجصيص القبر، وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه، وهذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالك، وأحمد،

---

(١) انظر: البيان والتحصيل ٢/ ٢١٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠.
(٣) المغني ٢/ ٥٠٨.

وداود، وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: لا يكره، دليلنا الحديث السابق، قال أصحابنا رحمهم الله: ولا فرق في البناء بين أن يبنى قبة أو بيتًا أو غيرهما، ثم ينظر فإن كانت مقبرة مسبلة حرم عليه ذلك، قال أصحابنا: يهدم البناء بلا خلاف، قال الشافعي في الأم: ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها، قال: ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك...»[1].

قال ابن حجر المكي الهيتمي (٩٧٤هـ): «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها»، ثم ذكر عدة أحاديث، ثم قال: «واتخاذها مسجدًا، معناه: الصلاة عليه، أو إليه»، ثم قال: «ومن ثم قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركًا وإعظامًا»[2].

أقول الفقهاء الحنفية:

فإليك بعض نصوص العلماء الحنفية، لتكون عبرة للكوثرية الثرثرية الخلفية، وتقطع رقابهم بسيفهم، كما يجزون بحيفهم.

١ ـ **قال الإمام محمد بن الحسن** رحمه الله: «بل يسنم ولا يربع، قلت[3]: أرأيت القبر هل تكره أن يجصص؟ قال: نعم. قلت: فأي

(١) المجموع ٥/٢٩٨، مع خطأ في نقله عن أبي حنيفة، والحق أنه مع الجمهور.

(٢) الزواجر ١/١٤٨، وأقره الألوسي، روح المعاني ١٥/٢٣٧.

(٣) القائل هو: أبو سليمان الجوزجاني، توفي بعد (١٨٠هـ)، وهو راوي كتاب

شيء يجعل على لحده؟ قال: اللبن والقصب، قلت: فهل يكره الآجر؟ قال: نعم»[1].

«قلت: أرأيت اللحد؛ أتكره أن يجعل عليه رفوف خشب؟ قال: نعم، أكره ذلك»[2].

قال: «ويكره الآجر على القبر، ويستحب اللبن والقصب»[3].

وقد ذكر الإمام محمد بن الحسن حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولم يذكر أي خلاف في ذلك[4].

وقال الإمام محمد: «ونكره أن يجصص، أو يطين، أو يجعل عنده مسجدًا، أو علمًا، أو يكتب عليه، . . . وهو قول أبي حنيفة»[5].

كما روى الإمام أبو يوسف، عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، كراهية أن يجعل على القبر علامة، وأن يضع على اللحد آجر، وأن يجصص القبر[6].

٢ ـ **وقال السرخسي**[7]: «يختار للقبور ما هو أبعد من إحكام

المبسوط، عن الإمام محمد، ترجمته في: الجواهر المضية ٢/ ١٨٦.

(١) كتاب المبسوط، للإمام محمد ١/ ٤٢٢.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٤٢.

(٣) الجامع الصغير، للإمام محمد رحمه الله ٩٢.

(٤) انظر: موطأ الإمام محمد، مع شرحه التعليق الممجد ١٣٣.

(٥) كتاب الآثار ٤٩، وأقره صاحب: إعلاء السنن ٨/ ٢٦٥ ـ ٢٢٦، الذي قرظه الكوثري، وأطراه، واندهش منه، ثم أبو غدة. انظر: المقالات ٧٦.

(٦) انظر: كتاب الآثار، للإمام أبي يوسف ٨٤.

(٧) هو الإمام أبو بكر محمد بن أحمد البخاري، من كبار أئمة الحنفية بما وراء النهر، توفي سنة (٤٨٢هـ)، لقب بشمس الأئمة، أملى المبسوط وهو في سجن أوزجند، ترجمته في الجواهر المضية ٣/ ٧٨.

الأبنية،... ولا تجصيص لما روي،... ولأن التجصيص في الأبنية إما للزينة، أو لإحكام البناء»[1].

٣ ـ **وقال الكاساني**[2]: «ومقدار التسنيم أن يكون مرتفعًا من الأرض قدر شبر أو أكثر قليلًا، ويكره تجصيص القبر وتطيينه، وكره أبو حنيفة البناء على القبر، وأن يُعلَّم بعلامة، وكره أبو يوسف الكتابة عليه،... ولأن ذلك من باب الزينة، ولا حاجة بالميت إليها، ولأنه تضييع المال بلا فائدة، فكان مكروهًا، ويكره أن يزاد على تراب القبر الذي خرج منه؛ لأن الزيادة عليه بمنزلة البناء»[3].

٤ ـ **وقال البدر العيني (٨٥٥هـ)**، محدث الحنفية وفقيههم[4]: «وفي المحيط: ولا يجص القبر ولا يطين، في رواية الكرخي: وكره التجصيص: الحسن، والنخعي، والثوري، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأباح أحمد التطيين، وفي سنية المختار: أنه لا يكره، وكره أبو حنيفة أن يُبنى على القبر،... أو يُعلَّم بعلامة...»[5].

---

(١) مبسوط السرخسي ٢/ ٦٢.

(٢) هو الإمام علاء الدين أبو بكر مسعود بن أحمد، الملقب بملك العلماء، توفي سنة (٥٨٧هـ)، ترجمته في الجواهر المضية ٤/ ٢٥.

(٣) بدائع الصنائع ١/ ٣٢٠.

(٤) تقدم ترجمته، وهو الذي فضَّله الكوثري على ابن حجر، كما فضَّل «عمدته» على «فتحه»، وذكره في قائمة كبار محدِّثي الحنفية، انظر: ملخص التاج اللجيني، المطبوع في أول عمدة القاري، وقائمة الحنفية في مقدمة نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق.

(٥) البناية شرح الهداية ٢/ ١٠٤١.

وقال: «وتسنيم القبر: رفعه من الأرض مقدار شبر أو أكثر قليلًا»[1].

وقال العيني أيضًا: «وفيه [أي: في الحديث]: التحريم، كيف وقد ثبت اللعن عليه»[2].

٥ ـ **وقال ابن الهمام (٨٦١هـ)**[3]: «لأنها ـ أي الآجر والخشب ـ لإحكام البناء، والقبر موضع البلى»[4].

وقال في معنى التسنيم: «بل قدر ما يبدو من الأرض، ويتميز عنها». كما حمل حديث: (ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته)، على تعلية القبور، بالبناء الحسن العالي[5].

٦ ـ **وقال ابن نجيم (٩٧٠هـ)**[6]: «ويسنم قدر شبر، وقيل: قدر أربع أصابع، وما ورد في الصحيح من حديث علي: **(أن لا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته)**، فمحمول على ما زاد على التسنيم، وصرح في الظهيرية بوجوب التسنيم، وفي المجتبى باستحبابه[7]، قوله: ولا

---

(١) المرجع السابق ٢/ ١٠٣٩، وهكذا في فتوى القاضي خان، هامش الهندية ١/ ١٩٤، والبزازية، لابن البزاز (٨٢٧هـ)، بهامش الهندية ٤/ ٨٠، والهندية ١/ ١٦٦.

(٢) عمدة القاري ٤/ ١٧٤.

(٣) تقدم ترجمته، ومكانته أعظم، وإمامته أفخم في الحنفية، ولا سيما في الفقه، وقد عدَّه الكوثري في قائمة كبار أئمة الحديث من الحنفية، انظر: مقدمة نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق.

(٤) فتح القدير شرح الهداية ٢/ ١٣٩.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٤١، وهكذا في البحر الرائق، لابن نجيم الملقب بأبي حنيفة الثاني ٢/ ١٩٤.

(٦) تقدم ترجمته، ولقبوه بأبي حنيفة الثاني.

(٧) أي: قول صاحب كنز الدقائق، وهو حافظ الدين النسفي، صاحب تفسير =

يجصص؛ لحديث جابر،... ولا يطين، ولا يرفع عليه بناء...»[1].

٧ ـ **قال العلامة شبير أحمد**: «ولهذا لما وسع المسجد، جعلت حجرة عائشة مثلثة الشكل، محددة، حتى لا يتأتَّى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة، كذا في «الفتح»، وقال الأبي: لما كثر المسلمون أيام عثمان رضي الله عنه واحتيج إلى الزيادة في المسجد، وامتدت الزيادة حتى أُدخلت فيه بيوت أزواجه ﷺ، ومن جملتها بيت عائشة رضي الله عنها، التي دفن فيها ﷺ؛ أدير على القبر المشرف حائط مرتفع، لئلَّا يظهر القبر في المسجد، فيصلي إليه العوام فيقعوا في اتخاذ قبره مسجدًا، ثم بنوا جدارين عن ركن القبر الشماليين وحرَّفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال، حتى لا يمكن من استقبال القبر في الصلاة، ولذا قالت: (**ولولا ذلك لأبرز قبره**)»[2].

تدبَّر أيها المسلم عبارة الحافظ ابن حجر في «الفتح»، وكلام الأبي، ثم تقرير بشير أحمد لهما.

فهذا يقضي ـ أولًا ـ على كلام الأبي نفسه، الذي أجاز فيه الصلاة جوار قبر رجل صالح، للتبرك بآثاره، وإجابة دعائه.

وثانيًا: يقضي على عقيدة الكوثري، والعلامة شبير أحمد هو الذي قال فيه الكوثري: أعلم علماء الهند[3]، كما أثنى عليه وعلى كتابه ثناء غلو، وأطراهما إطراء بالغًا، وقرظه بتقريظ طويل[4].

المدارك، والمنار، المتوفى سنة ٧١٠هـ، وقد مرت ترجمته.

(١) البحر الرائق ٢/ ١٩٤.

(٢) فتح الملهم ٢/ ١٢٢.

(٣) كما في تأنيب ٢٢٣.

(٤) انظر: المقالات ٨٢ ـ ٨٤، وآخر فتح الملهم ٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠.

٨ ـ **وقال ابن عابدين الشامي**[١]: «وأما البناء عليه؛ فلم أر من اختار جوازه، . . . وعن أبي حنيفة يكره أن يُبنى عليه بناء من بيت أو قبة أو نحو ذلك، لِمَا روى جابر، . . . رواه مسلم وغيره»[٢].

٩ ـ وقال صاحب كتاب «إعلاء السنن»، الذي قرَّظه الكوثري، وأطراه إطراءً بالغًا، واندهش من جمعه واستقصائه وصناعته الحديثية، وكون الحق رائده بدون تكلف في تأييد المذهب[٣]: «يحرم البناء عليه للزينة، . . . ويكره أن يُجصَّص، . . . أو يجعل عنده مسجدًا، أو علمًا، أو يُكتب عليه، وهو قول أبي حنيفة»[٤].

هذه نصوص الحنفية وغيرهم من أهل المذاهب الثلاثة؛ تدل بصريح عبارتها على منع بناء تلك المساجد والقباب، كما تدل بدلالتها على هدمها.

وإليك بعض النصوص الصريحة الدالة بصريح عبارتها على هدم تلك المساجد والقبب، لتكون عذرًا ونذرًا، ولتكون تبصرة وعبرة وذكرى.

أما الحنفية:

فقد قال العلامة الآلوسي (١٢٧٠هـ)[٥]: «وتجب المبادرة

(١) تقدم ترجمته، وهو من كبار أئمة الحنفية المتأخرين، وكتابه: رد المحتار شرح الدر المختار، شرح لتنوير الأبصار، ويقولون: إن سنده وصل حتى إلى الله تعالى!! انظر: مقدمة رد المحتار ٤، والدر المختار ١٩.
(٢) رد المحتار شرح الدر المختار ٢/ ٢٣٧.
(٣) انظر: المقالات ٧٦، ثم أبو غدة، انظر: مقدمته لإعلاء السنن ١/ ٥.
(٤) إعلاء السنن ٨/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦، نقلًا عن كتاب الآثار.
(٥) تقدم ترجمته، ولا تخفى مكانته وإمامته في الحنفية، يلقب بخاتمة المفسرين، وكان مفتي الحنفية ببغداد.

لهدمها، وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أَضَرُّ من مسجد الضرار، لأنها أُسِّسَتْ على معصية رسول الله ﷺ، لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهى عن ذلك، وأمر بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه، ولا نذره»[(١)].

وقال العلامة بشير أحمد العثماني الديوبندي[(٢)]: «قال في «الأزهار»: النهي عن تجصيص القبور للكراهة، وهو يتناول البناء بذلك، وتجصيص وجهه، والنهي في البناء للكراهة إن كان في ملكه، وللحرمة في المقبرة المسبلة، ويجب الهدم، وإن كان مسجدًا، وقال التوربشتي: يحتمل وجهين، أحدهما: البناء على القبر بالحجارة وما يجري مجراها، والآخر: أن يضرب عليها خباء ونحوه، وكلاهما منهي، لعدم الفائدة، ولأنه من صنيع الجاهلية...»[(٣)].

❁ وأما الشافعية:

فقد قال الشافعي رحمه الله: «وقد رأيت من الولاة من يهدم ما يبنى فيها، فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك»[(٤)]. وهذا كالإجماع على هدمها، بما فيهم الحنفية.

---

(١) روح المعاني ١٥/ ٢٣٨، نقلًا عن زواجر ابن حجر الهيتمي، وأقره.

(٢) تقدم ترجمته، ولقب بشيخ الإسلام، وقال الكوثري: «أعلم علماء الهند». التأنيب ٢٢٣، وقرض الكوثري على كتابه: فتح الملهم، وأطراه بما لا مزيد عليه. انظر: مقالات الكوثري ٨٢، وتقريظ الكوثري في آخر المجلد الثالث من: فتح الملهم ٥١٩.

(٣) فتح الملهم ٢/ ٥٠٦، وبذل المجهود ١٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٤) كتاب الأم ١/ ٢٧٧.

وقال النووي: «قال أصحابنا: يهدم هذا البناء بلا خلاف»[1].

وقال ابن حجر الهيتمي عن بعض الحنابلة: «وتجب المبادرة لهدمها، وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أُسِّسَتْ على معصية رسول الله ﷺ، لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه، ولا نذره»[2].

❁ وأما المالكية:

فقد **قال القرطبي**: «وأما تعلية البناء الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله، تفخيمًا، وتعظيمًا؛ فذلك يُهدم، ويُزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّهًا بمن كان يُعظِّم القبور ويعبدها، وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي؛ ينبغي أن يقال: هو حرام»[3].

❁ وأما الحنابلة:

فحدِّث ولا حرج.

فهل يسلم الكوثري على إسلام شيخ الإسلام؟ ومن هو فارق الإجماع، الكذاب الخداع؟

هذه كانت نصوص الأئمة الحنفية، وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة رحمهم الله، في المنع والهدم، وبهذه ظهر:

(١) المجموع ٥/ ٢٩٨.
(٢) الزواجر ١/ ١٤٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٨١.

أولًا: وهم الإمام النواوي[1]، حيث نسب إلى أبي حنيفة جواز البناء على القبور.

كما وضح ثانيًا: خيانة الكوثري العلمية، وأمانته الدينية، حيث تغافل وتجاهل عن نصوص الإمام أبي حنيفة، وأصحابه، ومقلديه، في الكتب المعولة عليها في المذهب الحنفي، ووثب قفزة كبيرة إلى وهم النواوي في نسبة الجواز إلى أبي حنيفة، فهل يجوز لهؤلاء الثرثرية أن يعتمدوا في تحقيق مذهب أبي حنيفة والنقل عنه في مسألة من أهم المسائل الاعتقادية والعملية برجل شافعي بينه وبين أبي حنيفة مفاوز، وقرون متطاولة، مع أن الكوثري صرح أيضًا بقوله: «وللنووي أغلاط مكشوفة، في

(١) بل قال البنوري خلف الكوثري، وهو الذي كتب مقدمة لكتاب: مقالات الكوثري وأطراه إياها: «قال الراقم: هذا خطأ، ومذهب أبي حنيفة ـ كما تقدم في البدائع ـ الكراهة، مثل قول الجمهور قولًا واحدًا، ويحتمل أن يكون ذلك رواية عنه، ولكن لا عبرة بها إذا صح عنه خلافها، ثم أيده الحديث الصحيح، وهو حديث جابر عند مسلم في «صحيحه»، . . . وعلى الحديث مدار مذهب الجمهور. وبالجملة؛ يكره أن يُبنى على القبور، كما تعاملوا به في هذا العصر من اتخاذ القبب على القبور، ولا يجوز ذلك في المذاهب الأربعة». انتهى بنصه وفصه ولفظه وحرفه، معارف السنن ٣/٣٠٧.
الحمد لله الذي سلط أعداء العقيدة السلفية بعضهم على بعض، فهدم الكوثري بالبنوري، ولله في خلقه شؤون، ثم العجب من البنوري كيف وقع في أقبح التناقض، تراه يصحح حديث جابر رضي الله عنه، ويحرم البناء على القبور، ويصرح بإجماع المذاهب الأربعة؛ ثم يذهب يقرظ: مقالات الكوثري، ويطريه وكتابه إطراءً عجيبًا، ويؤيده في كل خرافاته وكذباته وخياناته، فهل حان للبنوري أن يسلم على إسلام الكوثري، كما يسلم الكوثري على إسلام شيخ الإسلام، بدعوى مخالفة الإجماع.

المجموع، وفي تهذيب الأسماء»[1].

فهل جهل أن هذه الغلطة من تلك الأغلاط، أم تجاهل؟ وهكذا التقليد والتعصب والخيانة والهوس والهوى يلعب بأهله.

وتبيَّن ثالثًا: كذب خلفه البنوري، لسلفه الكوثري، حيث يقول مطريًا شيخه: «هو محتاط، متثبت في النقل، متيقظ...»[2].

أهكذا يكون الاحتياط؟ وهذا هو التثبُّت والتيقُّظ يا بنوري؟!

وقال: «هو متصلِّب في المعتقد، كهمزة صماء، منتصر للماتريدية غاية الانتصار، حارس، متيقِّظ، يذبُّ عن حريم الحنفية كل حملة شنعاء، لا تجد لصارمه نبوة، ولا لجواده كبوة»[3]!

وباح رابعًا: فساد معتقد الكوثري، وإضلاله.

كما لاح خامسًا: بطلان قول الأبي، والنابلسي، في النقطة

---

(١) إحقاق الحق، للكوثري ٦١، على ما في تشنيف الأسماع ٢١٤.

(٢) مقدمة البنوري وتقريظه لكتاب: مقالات الكوثري ص: (ز)، فقد عرفت أنه افترى على أبي حنيفة.

(٣) المصدر السابق، فقد علمنا أنه متقلب في الخرافات كصخرة صماء، منتصر للجهمية غاية الانتصار، حارس متيقظ في الدفاع ولو بالإفك والبهتان، والتمويه والدجل والطغيان، كما رأينا أنه وسَّخ حريم الحنفية هاهنا، وافترى على إمامهم، وشنَّ عليهم الغارة، وحمل عليهم بدل أن يذب عن حريمهم كل حملة شنعاء، كما رأينا لصارمه نبوات، ولجواده كبوات، وكيف تقول هذا يا بنوري؟ ألست الذي صحح حديث جابر ﷺ في صحيح مسلم وغيره؟ وألست الذي خطَّأت النواوي في نسبته هذا القول إلى أبي حنيفة؟ وألست الذي ذكر إجماع مذاهب الأئمة الأربعة على تحريم البناء على القبور؟ ارجع إلى أقوالك هذه في كتابك الذي يعد مغمزة الديوبندية، معارف السنن ٣/ ٣٠٧.

الثانية والثالثة، فإن ذلك عين محادة الله ورسوله؛ بل هو الفتح لباب الإشراك بمصراعيه، فلا يجوز بناء المساجد والقباب على القبور، لا لتعظيم، ولا للتبرك، ولا لاستظهار، ولا لوصول أثر من آثارها، وهذا هو عين الشرك المضاد لهذا التوحيد.

وكم من مفاسد، وبلايا، ومحن، وفتن ما ظهر منها وما بطن، وبدع، وإشراك في بناء المساجد والقباب على القبور، ما يُشاهد في العالم.

قال الإمام ابن القيم الهمام: «فمن مفاسد اتخاذها أعيادًا: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان»[1].

وقال الشوكاني: «ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولًا أوليًا: القبب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي، وكم سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجئًا لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها،

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

واستغاثوا، **وبالجملة**؛ إنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر، الشنيع والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالمًا، ولا متعلمًا، ولا أميرًا، ولا وزيرًا، ولا ملكًا، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني؛ تلعثم، وتلكأ، وأبى، واعترف بالحق! وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة. فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين؛ أي رزءٍ للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بلاء بهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن يكن إنكار هذا الشرك البيِّن واجبًا؟

لقد أسمعتَ لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارًا نفختَ بها أضاءت ولكن أنتَ تنفخُ في رماد»[1].

وبهذه الحجة ظهرت المحجة، فهل الشوكاني لا يزال «يهوديًّا، مندسًا في المسلمين لإفساد دينهم»[2]؟ كما يزعم الكوثري.

وهل ابن القيم الإمام؛ لا يزال «من إخوان اليهود والنصارى»؟ كما يزعمه[3].

(١) نيل الأوطار ٤/ ١٣١.

(٢) كما يقرره الكوثري، انظر: مقالات الكوثري ٣٣٨.

(٣) في تعليقه على: السيف الصقيل ٣٩.

وهل شيخ الإسلام ابن تيمية، ذلك العَلَم من الأعلام، حتى الآن «لا يتحاشى أن يأخذ أسوأ ما عند اليهود»؟[1] كما يصوِّر الكوثري.

فمن يحاول تجويز بناء المساجد والقباب على القبور، والصلاة إليها، تبرُّكًا بها؟ مع أن هذا من أخص صفات اليهود والنصارى، الذين استحقوا لعائن الله على ألسنة رسله وأنبيائه، كما أن الذين يحاولون اتباعهم والتشبُّه بهم ملعونون أينما ثقفوا على لسان سيد أصفيائه، صلى الله عليهم أجمعين.

وسادسًا أقول: إن الكوثري قد قال في حق الإمام الفتني الحنفي (٩٨٧هـ)، وذكره في قائمة كبار أئمة الحنفية: «ملك المحدِّثين، الشيخ محمد بن طاهر الفتني، الكجراتي، مؤلف مجمع البحار، وتذكرة الموضوعات، والمغني، وغيرها من المؤلفات الممتعة، في الحديث وغريبه، توفي سنة ٩٨٧هـ شهيدًا»[2].

والآن استمع إلى قول هذا الإمام، ملك المحدِّثين، في كتابه الممتع في الحديث وغريبه: «مجمع البحار»، ما نصه: «فإن منهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصلحاء أن يصلي عند قبورهم، ويدعو عندها، ويسألهم الحوائج، وهذا لا يجوز عند أحد من علماء المسلمين، فإن العبادة والاستغاثة حق لله وحده»[3].

---

(١) كما ينجس به فاه في تلك المقدمة التي كتبها تقريظًا على كتاب: البراهين الساطعة ١٠.

(٢) انظر: مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق، تحقيق أبي غدة ٧٤.

(٣) مجمع بحار الأنوار في الحديث وغريبه، لملك المحدثين، ذلك الفتني

هذه كانت نبذة مما ذُكِرَ في النهي عن بناء القباب والمساجد على القبور من النصوص الشرعية، وأقوال أهل العلم في بيان الشناعة لذلك، وأن ذلك من أخص صفات اليهود وسمات النصارى، وأن ذلك من أسباب عبادة القبور، وأن ذلك من الكبائر، كما ذكره عدة من أهل العلم[1]، وعلى ذلك إجماع المذاهب الأربعة ممن يعتدُّ بقولهم.

= الحنفي ٢/ ٤٤٤، مادة (زور). أقول: أولًا: ماذا قيمة كلام الكوثري والنابلسية بين يدي كلام ملك المحدثين؟ وماذا كان مكانة الشرطة أمام الملك؟. وأقول ثانيًا: لقد صدق ملك المحدثين هذا، أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين بذلك، ولكن النابلسي والكوثري وغيرهم من القبورية والبريلوية والكوثرية يقولون بذلك، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

(١) كابن حجر الهيتمي في: الزواجر ١/ ١٤٩، وابن النحاس في: تنبيه الغافلين ١٩٦.

الفصل الثاني

في تحريم الصلاة إلى القبور، وبيان خطر زيارة القبور الشركية، وخطورة بناء القبب على القبور، وأن ذلك سبب وحيد لإعادة سلطان الوثنية الخرقاء والجاهلية الجهلاء

التمهيد

يحاول الكوثري تجويز الصلاة إلى قبور الأولياء الكرام، تبرُّكًا بهم، وجلبًا لفيضهم، وقصد الاستظهار بوجه، أو وصول أثر من آثار عبادة الولي إليه[1]! كما يُجوِّز إيقاد الشموع على القبور، تعظيمًا لروح الولي المشرفة على تراب جسده، كإشراق الشمس على الأرض، إعلامًا للناس أنه ولي، ليتبرَّكوا به، ويدعوا الله عنده، فيُستجاب[2]! ثم يدعم عقيدته الفاسدة بنقل قول الإمام مالك من «المدونة» في جواز الصلاة إلى القبر، باعتباره سترة[3]! وفي الحقيقة محاولة الكوثري تجويز الصلاة إلى قبور الأولياء تبرُّكًا بهم وجلبًا لفيضهم أمرٌ أشنع من سابقه، ولقد جاء دور الصلاة في تلك المساجد بل إلى قبورهم بعد دور بناء تلك المساجد والقباب، فقد وصل الرجل إلى ما كان يرمي إليه من بناء المساجد والقبب، وما هي إلا محاولة إقامة دولة مشركي الجاهلية، كما أنه يحاول إحياء سلطان ابن أبي دؤاد.

فأقول أولًا: بالله عليك أيها الرجل؛ حكايتك عن مدونة

(١) انظر: مقالات الكوثري ١٥٧.
(٢) المصدر السابق ١٥٨.
(٣) المصدر السابق ١٥٨.

المالكية في جواز الصلاة إلى القبور، ونبذك كتب المذهب الحنفي الذي جُننتَ لأجله، يدل على ماذا؟

أتريد أن تكون حنفيًا في بعض الفروع ومالكيًا في بعضها، كما تحب أن تكون قبوريًا خرافيًا في توحيد الألوهية، وماتريديًا جهميًا في توحيد الصفات؟

وثانيًا: هل أنت متأكد من مذهب مالك في ذلك؟ فاستمع إلى كلام البدر العيني الحنفي، البدر الذي تفضله على الشهاب، و«عمدته» على «فتحه»، وإلى شيخ الإسلام بشير أحمد، الذي تعتبره أعلم علماء الهند، تفتخر به، وبكتابه، ومقدمته، وتعده غنيمة باردة، ونعمة غير مترقبة، فهو يقول: «وحكى أبو مصعب[1]، عن مالك كراهة الصلاة في المقبرة، كقول الجمهور»[2].

وثالثًا: لِمَ تعاميتَ عن نصوص أئمتك؟ الذين لهم عقلية جبارة، وهم فقهاء الملة، وملئوا البسيطة علمًا ونورًا، وهم أهل الرواية والدراية، والغواصون على بحار الدقائق، وقد بهر مداركهم عقول الناس، وعلماء بقية المذاهب، لم يأخذوا ما أخذوا من الفقه إلا منهم، وتدربوا في التفنن والمناظرة والتفقه عليهم، من أمثال مالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري[3]، فكيف بغيرهم[4]؟!

---

(١) أحمد بن أبي بكر، فقيه أهل المدينة من غير مدافع، راوي «الموطأ» عن مالك، وقدمه الدارقطني على يحيى بن بكير (٢٤٢هـ)، صدوق، التهذيب ١/ ٢٠، والتقريب ٧٨.

(٢) فتح الملهم ٢/ ١٢١، عمدة القاري ٤/ ١٧٣، ومعارف السنن، للبنوري ـ فرخ الكوثري ـ ٣/ ٢٩٧.

(٣) ارجع لدعاوى هذا الرجل؛ إلى: التأنيب.

(٤) وأنت صادق في أقلها، وكاذب في جلها.

فِلِمَ رغبتَ عن تلك العقلية الجبارة، وهذه المدارك العليا، إلى التحاكم إلى من هم في المرتبة الثانوية؟!

وما سبب هذا العدول عن المذهب، وما السر في دجلك المذبذب؟!

وإليك بعض نصوص أئمتك، لتكون حججًا على ذمتك:

❁ نصوص الحنفية:

١ ـ قال البدر ـ ذلك العيني ـ، والعلامة بشير أحمد ـ أعلم أهل الهند ـ، والبنوري ـ فرخ الكوثري ـ: «وذهب الثوري وأبو حنيفة والأوزاعي إلى كراهة الصلاة في المقبرة». وذكروا أن الشافعي فرَّق بين المقبرة المنبوشة وغيرها، وذكروا أن أحمد ذهب إلى تحريم الصلاة فيها مطلقًا[١].

٢ ـ بل ذكروا قاعدة كلية، فقالوا: «يُكره عند القبر كل ما لم يُعهد في السُّنة، والمعهود منها ليس إلا زيارتها، والدعاء عندها قائمًا، كما كان يفعل ﷺ في الخروج إلى البقيع...»[٢].

بل شدَّد الحنفية إلى حدٍّ بعيد، «فقال أبو حنيفة: ولا ينبغي أن يُصلَّى على ميت بين القبور»[٣].

---

(١) فتح الملهم ٢/ ١٢١، عمدة القاري ٤/ ١٧٣، ومعارف السنن ٣/ ٢٩٧.

(٢) انظر: فتح القدير ٢/ ١٤٢، والبحر الرائق ٢/ ١٩٦، والفتوى الهندية ١/ ١٦٦.

(٣) حكاه ملك العلماء الكاساني في البدائع والصنائع ١/ ٣٢٠، وعنه ابن نجيم في البحر الرائق ٢/ ١٩٥، وأقره.

٣ ـ **وقال ابن الملك الحنفي**[١]: «وإنما حرم اتخاذ المساجد عليها، لأن في الصلاة فيها استنانًا بسنة اليهود»[٢]، وأشار إلى هذه العلة العلامة زعيم السادة الديوبندية رشيد أحمد الجنجوهي[٣][٤].

٤ ـ **وقال القاري**: «سبب لعنهم: إما لأنهم كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيمًا؛ وذلك هو الشرك الجلي، وإما لأنهم كانوا يتخذون الصلاة لله تعالى في مدافن الأنبياء، والسجود على قبورهم، والتوجه إلى قبورهم حالة الصلاة، نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله، والمبالغة في تعظيم الأنبياء؛ وذلك هو الشرك الخفي، لتضمنه ما يرجع إلى تعظيم مخلوق فيما لم يؤذن له، فنهى النبي ﷺ أمته عن ذلك، إما لمشابهة ذلك الفعل سنة اليهود، أو لتضمّنه الشرك الخفي، كذا قاله بعض الشراح من أئمتنا، ويؤيده ما جاء في رواية: (**يحذر ما صنعوا**)»[٥].

وقال القاري أيضًا: «قال ابن الملك: فإن الصلاة تكره فيهما[٦]، وقال شارح المنية: وفي الفتاوى: لا بأس بالصلاة في

---

(١) هو عبد اللطيف بن عبد العزيز، اشتهر بابن الملك، صاحب المؤلفات الكثيرة، والمكانة المرموقة لدى الحنفية، وهو معروف بابن فرشته أيضًا، و(فرشته) لفظ فارسي، معناه: (المَلَك) بفتح الميم واللام، انظر ترجمته في: الفوائد البهية ١٠٧، توفي تقريبًا سنة (٨٨٥هـ).

(٢) نقل عنه الملا علي القاري، الذي يعده الكوثري في قائمة كبار الأئمة الحنفية المحدثين، راجع مرقاة المفاتيح ١/ ٢١٩، وأقره.

(٣) تقدم ترجمته.

(٤) انظر: الحل المفهم لصحيح مسلم ١/ ١٠٧.

(٥) المرقاة ١/ ٢٠٢.

(٦) أي: في المقبرة والحمام.

المقبرة، إذا كان فيها موضع أعد للصلاة، وليس فيه قبر»[1].

٥ ـ وقد قال البدر، الذي يفضلونه على الشهاب، في «عمدته» التي يفضلونها على «الفتح»، في قول البخاري: «**وما يكره من الصلاة في القبور**»: «يتناول ما إذا صلى على القبر، أو إليه، أو بينها، وفيه حديث أبي مرثد، واسمه: كناز بن الحصين، وأخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[2]، بلفظ: (لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها)»[3].

٦ ـ وقال زعيم علماء ديوبند، **العلامة رشيد أحمد الجنجوهي** رحمه الله: «إنهم لُعِنُوا لارتكابهم ذلك، لما فيه من التشبيه بعبدة الأصنام، فوجب تسوية القبر، لجواز الصلاة في هذا المكان»، وقال: «فالاستدلال بالرواية يعم الكافر والمؤمن، في أن الصلاة تُكره على القبور»[4].

وقال: «وأما اتخاذ المساجد عليها، فلما فيه من الشَّبه باليهود،... ولما فيه من تعظيم الميت، وشبه بعبدة الأصنام، لو

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢١٨، بذل المجهود ٣/ ٣٤٠، إلا أنه لم يذكر قول ابن الملك.

(٢) انظر: صحيح مسلم ٢/ ٦٦٨، وأبو داود ٣/ ٥٥٤، والترمذي ٣/ ٣٥٨، والنسائي ٢/ ٦٧، وأحمد ٤/ ١٣٥، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٥١٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٧٩، وابن خزيمة ٢/ ٨، وابن حبان برقم (٢٣١١) بتحقيق: الشيخ حسين سليم، كما في تعليقه على مسند أبي يعلى ٣/ ٨٣، وفي طبعة كامل ٤/ ٣٣، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٨٣.

(٣) عمدة القاري ٤/ ١٧٢.

(٤) لامع الدراري على جامع البخاري ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ضبط الشيخ محمد يحيى الكاندلوي، وتعليق الشيخ محمد زكريا رحمه الله.

كان القبر في جانب القبلة، وكراهة كونه في جانب القبلة أكثر من كراهة كونه يمينًا أو يسارًا، وإن كان خلف المصلي فهو أخف من كل ذلك، لكن لا يخلو عن كراهة»[1].

٧ ـ **وقال العلامة أنور**: «كما أن الصلاة عند القبر مكروهة في الفقه، فلا تجعلوا بيوتكم كذلك»[2].

٨ ـ وقد ذكر **العلامة الألوسي**، مفتي الحنفية بالعراق، عن ابن حجر المكي الهيتمي، أن اتخاذ القبور مساجد، والصلاة إليها، واستلامها، والطواف بها، ونحوها؛ من الكبائر، والتصريح بتحريم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء، تبركًا وإعظامًا، وأن ذلك كبيرة، وأن القول بالكراهة يحمل على ما إذا لم يقصد به تعظيمًا وتبركًا بذي قبر، إلى آخر ما ذكره وأقره[3].

٩ ـ وذكر **الشيخ محمد إدريس الكاندلوي**: «أن علة النهي عن الصلاة في المقابر لمشابهة سنة اليهود، ولتضمنه الشرك الخفي، وليست العلة النجاسة، والصلاة في المواضع المتبركة بها من مقابر الصالحين داخلة في جملة هذا النهي، لا سيما إذا كان الباعث تعظيم هؤلاء، وتخصيص تلك المواضع لما أشرنا إليه من الشرك الخفي»[4].

---

(١) الكوكب الدري على جامع الترمذي ١/٣١٦، ضبط الشيخ محمد الكاندلوي، وتحقيق الشيخ محمد زكريا رحمه الله.

(٢) فيض الباري ١/٤٦.

(٣) انظر: روح المعاني ١٥/٢٣٧، نقلًا عن زواجر ابن حجر المكي ١/١٤٨، ١٤٩.

(٤) التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح ١/٣١٣ ـ ٣١٤، باختصار يسير.

١٠ ـ **وقال العلامة الفتني**، الذي هو مَلِك المحدثين عند الكوثري وأبي غدة[(١)]: «فإن منهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصلحاء أن يصلي عند قبورهم، ويدعو عندها، ويسألهم الحوائج، وهذا لا يجوز عند أحد من علماء المسلمين، فإن العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق لله وحده»[(٢)].

قلت: لقد صدق مَلِك المحدثين هذا، فلم يقل بهذا أحد من علماء المسلمين، ولكن أمثال الكوثري يقولون به، وأين فيه كلامهم من كلام ملك المحدثين؟ وماذا مكانة الشرطة أمام الملِك؟ وأين الثَّرَى من الثريا؟

١١ ـ **وقال الشاه ولي الله** ـ في بيان الحكمة في النهي عن الصلاة في المقبرة ـ: «وفي المقبرة الاحتراز عن أن تتخذ قبور الأحبار والرهبان مساجد، بأن يُسجد لها، كالأوثان، وهو الشرك الجلي، أو يُتقرب إلى الله بالصلاة في تلك المقابر، وهو الشرك، وهذا مفهوم قوله ﷺ: **(لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**»[(٣)].

وقال الشاه ولي الله: «ونهى أن يُجصص القبر، وأن يُبنى عليها، وأن يُقعد عليها، وقال: (لا تصلوا إليها)، لأن ذلك ذريعة أن يتخذها الناس معبودة، وأن يفرطوا في تعظيمها بما ليس بحق،

---

(١) انظر مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧٢، فقه أهل العراق، بتحقيق: أبي غدة وإقراره ٧٤.

(٢) مجمع بحار الأنوار ٢/٤٤٤، مادة: (زور).

(٣) حجة الله البالغة ١٩٣ ـ ١٩٤.

فيحرفوا دينهم، كما فعل أهل الكتاب، وهو قوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1].

هذه كانت نصوص الحنفية رحمهم الله في النهي عن الصلاة إلى القبر؛ بل في المقبرة، وبهذا يتبيَّن أمانة الرجل وديانته.

ورابعًا: هل يدل فعل الإمام مالك في إحدى الروايتين من جواز الصلاة في المقبرة ـ لو فرضنا صحة النقل عنه ـ على جواز الصلاة بنية التبرُّك والتعظيم في المساجد المبنية على القبور، بأيدي الخرافيين، لغرض الخرافة، واستجلاب الفيض من روح الميت؟ وهل محمل فعل مالك ـ وهو إمام دار الهجرة ـ هو الذي يفعله العوام اليوم، عند قبور الأنبياء والأولياء، من أنواع البدع، وشتى الشركيات، كما هو مشاهد، والواقع عليه شاهد، وهو أمر محسوس، وشيء ملموس في العالم جله، إن لم أقل كله؟! وهذا شيء قد أحسه أهل العلم من قرون، وإن لم يحسه هؤلاء المتكلمون أهل الظنون.

(١) حجة الله البالغة ٢/ ٣٧.

ذكر بعض نصوص العلماء في بيان مظاهر الشرك، ومفاسد بناء القباب على القبور، فلعلهم يستيقظون من غفوتهم، ويرجعون من غفلتهم وهفوتهم

١ ـ **قال الإمام ولي الله الدهلوي**[١]، بعد بيان عقائد مشركي العرب: «وإن كنتَ متوقفًا في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم، فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان، خصوصًا من سكن منهم بأطراف دار الإسلام، كيف يظنون الولاية، وماذا يُخيل إليهم منها، . . . ويذهبون إلى القبور والآثار، ويرتكبون أنواعًا من الشرك، وكيف تطرق إليهم التشبيه والتحريف، ففي الحديث الصحيح: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو النعل بالنعل**)، وما من آفة من هذه الآفات إلا وقوم أهل الزمان واقعون في ارتكابها، معتقدون مثلها»[٢].

٢ ـ وقال: «كل من ذهب إلى بلدة أجمير، أو إلى قبر سالار

---

(١) لا تخفى إمامة وعلو مكانته عند الحنفية جمعاء، ولا سيما عند السادات الديوبندية، على رغم أنفِ ذلك الثرثري.

(٢) الفوز الكبير ٦، وقد تقدم النص وتخريج ما فيه من الحديث، انظر: ٢١٤، ولا يخفى مكانة الكتاب في البلاد الشرقية، حتى قرر في الجامعات الحكومية، في الهند وباكستان في درجة: (مولوي فاضل).

مسعود، أو ما ضاهاها، لأجل حاجة يطلبها؛ فإنه آثم إثمًا أكبر من القتل والزنا، ليس مثله إلا مثل من كان يعبد المصنوعات، أو مثل من كان يدعو اللات والعزى»[1].

٣ ـ وقال بعد ما ذكر أسباب الشرك، مبادئه، ومصادره، وأصل شرك مشركي الجاهلية، وضلالهم، ووسيلتهم الشركية: «وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين، وبعض الغلاة من منافقي دين محمد ﷺ يومنا هذا»[2].

٤ ـ **وقال الآلوسي**[3] ـ مفتي الحنفية ـ: «وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير، وخطب جسيم، في بر، أو بحر، دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة، ولا ترى فيهم أحدًا يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال، فبالله عليك قل لي: أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلًا؟ وأي الداعيين أقوم قيلًا؟ وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة، وخرقت سفينة الشريعة، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة، وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف، وحالت

(١) التفهيمات الإلهية ٢/ ٤٥.

(٢) حجة الله البالغة، ومكانة هذا الكتاب عند المسلمين في بلادنا غنية عن البيان، فقد قرر في درجة: (مولوي فاضل)، والجامعات.

(٣) ولا تخفى مكانة هذا السيد في السادات الحنفية، على رغم أنف هذا الرجل.

دون النهي عن المنكر صنوف الحتوف»[1].

٥ ـ وقال: «ومن أولئك[2]: عبدة القبور، الناذرون لها، المعتقدون للنفع والضر، ممَّن الله تعالى أعلم بحاله فيها، وهم اليوم أكثر من الدود»[3].

٦ ـ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[4]: «إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله تعالى، حيث يستغيثون بهم في الشدة، غافلين عن الله، وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون: إنهم وسائلنا إلى الله ﷻ، ونجعل ثوابه للولي! ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام، القائلين: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى. ودعواهم الثانية لا بأس بها، لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم، أو رد غائبهم، أو نحو ذلك، والظاهر من حالهم الطلب، ويرشد إلى ذلك أنه لو قيل: انذروا لله واجعلوا ثوابه لوالديكم، فإنهم أحوج من أولئك الأولياء. لم يفعلوا، ورأيتُ كثيرًا منهم يسجد على أعتاب حجر قبور الأنبياء، ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعًا في قبورهم[5]، لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت

---

(١) روح المعاني ١١/٩٨.

(٢) أي: من جنس مشركي الجاهلية، ومن نماذجهم.

(٣) المرجع السابق ١٣/٦٧.

(٤) الحج: ٧٣.

(٥) ومنهم أمثال الكوثري، وسلفه، وخلفه، فإنه قد أثبت التصرف لجميع الأرواح، ـ انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢ ـ أن الأرواح بعد خروجها من ظلمة الأجساد يظهر منها آثار في أحوال هذا العالم، فهي المدبرات أمرًا، =

مراتبهم، والعلماء منهم يحصرون التعرف في أربعة، أو خمسة، وإذا طولبوا بالدليل، قالوا: ثبت ذلك بالكشف! قاتلهم الله تعالى، ما أجهلهم، وأكثر افترائهم! ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور، ويتشكلون بأشكال مختلفة، وعلماؤهم يقولون: إنما تظهر أرواحهم متشكلة، وتطوف حيث شاءت، وربما تشكلت بصورة أسد، أو غزال أو نحوه! وكل ذلك باطل لا أصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة، من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية، نسأل الله تعالى العفو والعافية»[1].

٧ ـ وقال في صدد تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾[2]: «وقد رأينا كثيرًا من الناس على نحو هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين، يهشُّون لذكر أموات يستغيثون بهم، ويطلبون منهم، ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم، توافق هواهم واعتقادهم فيهم، ويعظِّمون من يحكي لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده، ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه ﷻ، وسرد ما يدل على مزيد عظمته وجلاله، وينفِّرون

= وفي ص: (٣٨٣) ذكر: «أنها بعدما فارقت الأبدان؛ زال الغطاء وانكشف لها عالم الغيب، لأنها في الأبدان كانت في عناء وغطاء، ولما زال البدن أشرقت وتلألأت». وارجع إلى هذه المقالة: بعنوان: محق التقول في مسألة التوسل، من مقالات الكوثري ٣٧٨ ـ ٣٩٧، فإنها خبيثة، وثنية، وتقوُّل.

(١) روح المعاني ١٧/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) الزُّمَر: ٤٥.

ممن يفعل ذلك كل النفرة، وينسبونه إلى ما يكره، وقد قلتُ يومًا لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات، وينادي: يا فلان أغثني! فقلت له: قل: يا الله، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1]، فغضب، وبلغني أنه قال: فلان منكر على الأولياء. وسمعت عن بعضهم، أنه قال: الولي أسرع إجابة من الله ﷻ!! وهذا من الكفر بمكان، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان»[2].

هذا هو الآلوسي، مفتي الحنفية، وإيش الكوثري المتشبث بالهواجس الخرافية والوساوس الخلفية من هؤلاء الحنفية، فأين الثرى من الثريا؟ والحمد لله الذي أذهب ذلك النباح أدراج الرياح.

٨ ـ والآن إليك قول إمام من أئمة الكوثري، الذي يتحاكم إليهم، ويفزع إليهم في أصول الدين والديانة[3]، ألا وهو الرازي، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[4]، بعد ما ذكر عقائد مشركي الجاهلية: «ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى انشغلوا بعبادة هذه التماثيل؛ فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) روح المعاني ١١/٢٤.

(٣) يقول الكوثري: «وأما من جهة المعقول؛ فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي، والعلامة سعد الدين التفتازاني، والعلامة السيد الشريف الجرجاني، وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين، يُفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة...»، مقالات الكوثري ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٤) يونس: ١٨.

عند الله، ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم؛ فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»[1].

فنقول للأستاذ الكوثري: إن هؤلاء الأعلام يتكلمون عن واقع المسلمين، وبيان كونهم واقعين في أنواع من الشرك الجلي الأكبر، ومشابهة المشركين، ومضارعة اليهود، ومضاهات النصارى، ولا سيما هذا الرازي رحمه الله، الذي يتحاكم إليه الكوثري، ويفزع إليه في أصول الدين والديانة، قد يتكلم عن واقع هؤلاء في القرن السادس، فكيف بالقرن الرابع عشر، والخامس عشر.

وقد وصل الأمر بالقبورية على وجه البسيطة جمعاء، كادت الجاهلية الأولى أن تقوم بقوائمها الأربع، فلا ترى بلدًا من البلدان؛ بل قرية من القرى إلا وفيها آلهة تُعبد من دون الله، إلا ما شاء الله، فيُنذر لغير الله؛ بل يُسجد لغير الله، ويُدعى غير الله في الكربات والبليّات، ويُحلف بغير الله، وهذا حال أكثر المسلمين في العالم، إلا ما شاء الله، مع ما أنفقوا على تلك القبب والأبنية والمساجد على القبور من الأموال الهائلة، التي لا يعلم مداها إلا علام الغيوب، كما يهتم هؤلاء بزيارة تلك القبب والمشاهد والمساجد والقبور، لا لغرضٍ رمى إليه النصوص

---

(١) مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير، المجلد ٩/ الجزء ١٧/ ص٦٣، والحمد لله الذي أنطق هذا المتكلم الكبير الفلسفي بالحق، فقضى كلامه هذا على كثير من أقواله الفاسدة في تفسيره، كما قضى على خطة مدبَّرة للكوثري وسلفه وخلفه، وهكذا يسلط الله تعالى بعضهم على بعض، وما ذلك على الله بعزيز.

الشرعية؛ من الزهد في الدنيا، وذكر الآخرة، والدعاء للميت؛ بل لأجل جلب نفع، أو دفع ضر، وحصول بركة، والتوصل بهم إلى الله تعالى، والتقرب إليهم.

مع ما يفعلون سنويًا من قيام الحفلات والأعراس على القبور، باهتمام لا يُتصور؛ بل قد لا يكون أقل من الاهتمام بالحج، وفي تلك الحفلات السنوية يجتمع هؤلاء من أكناف وأطراف من كل فج عميق، باهتمام وازدحام، حتى يموت ناس منهم لأجل الازدحام.

وهذا ذكّرني ما كان الناس يزورون الأضرحة في القرون السابقة، فكانوا يقصدون المشهد الكاظمي، ويزدحمون فيه، حتى مات من شدة الزحام سنة ٦٠١هـ سبعة عشر رجلًا وامرأتان، وقيل أكثر من ذلك، وطارت عمائم الناس، وذهبت مداساتهم[(١)]، وهذا هو المتوارث مدى القرون والدهور، فنعمت الحجة هذه لأمثال الكوثري! حتى يردون بها الأحاديث الصحيحة، تحقيقًا للبدع والفتن؛ بل الجاهلية الأولى.

بل يُرتكب في مثل تلك المحافل من المفاسد والإجرام بما لا يعلمه إلا الله ﷻ، **وإليك نبذة من أحوال بعض البلاد:**

أما الهند: فقد سمعتَ حالها في كلام الإمام الشاه ولي الله الدهلوي.

وأما الباكستان: فيكفي تلك الشناعات البشعة، والاحتفال السنوي على قبر علي الهجويري، المعروف عند هؤلاء الخرافيين

(١) انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ص: ١٤٦، دراسات تاريخية ٢٥٨.

بـ [داتا كنج بخش][1]، بلاهور.

وأما أفغانستان: فيكفي في المثال، الاحتفال السنوي على قبر (سخي صاحب)[2]، بمزار شريف.

فقد كان يرأس هذا الحفل الملوك، آخرهم: محمد ظاهر، ويجتمع في ذلك الحفل جموع مخيفة، كموسم الحج، من جميع أكناف أفغانستان، وإيران، وباكستان، والقصة طويلة في بيان ارتكاب أنواع الخرافات والشركيات والمفاسد؛ بل جُعِلَ لكل مرض مخصوص وليًّا خاصًّا يدفع به ذلك المرض، وكل أفغاني يعلم ذلك، وهذا هو السبب الأهم لاحتلال أفغانستان، مع أسباب أخر.

وأما بلاد الأتراك: فحدث ولا حرج، والشيخ الكوثري سلفه وخلفه أعلم بذلك، فهم مسؤولون أمام الله.

وأما العراق: فقد سمعتَ كلام الآلوسي، وأهل مكة أدرى بشعابها.

وأما جزيرة العرب: فكانت في عهد الأتراك ومشيخة الكوثري أشبه شيء بالجاهلية الأولى، والفرق بين الدولتين: السعودية السلفية، والتركية الخرافية؛ كما بين السماء والأرض، **فانظروا أيها المسلمون بعين الاعتبار، كيف قامت هذه الدولة بالإصلاح، واعرفوا**

---

(١) لفظ مركب من الأردية والفارسية، معناه: (الجواد الذي يَهَب الخزائن)، ويريدون: علي بن عثمان الهجويري، الغزنوي، الصوفي، المعروف، مؤلف كتاب: كشف المحجوب، توفي سنة (٤٦٥هـ).

(٢) لفظ فارسي معناه: السيد الجواد، ويريدون: علي بن أبي طالب ﷺ. وليس هذا إلا من تلبيسات الروافض.

لها ما قدمت للجزيرة؛ بل للعرب؛ بل لأهل الإسلام على وجه البسيطة من خير وعمل، وكيف أحيت التوحيد والسُّنن، وأماتت البدع والإشراك والفتن.

هذه هي السلفية التي يُصوِّرها أعداؤها وثنية، وأصحابها وثنيين، ومع ذلك يأكلون من ثمار الوهابية، التي يعتبرها هؤلاء منافقو البادية، وزعيمهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب زعيم البادية!

وأما البلاد المصرية: فأمرها أظهر وأشهر، حتى لم يخف على المستشرقين الكفار[1]، فاستمع إلى ما سطره المستشرق الإنكليزي اللئيم، أدوار دلين[2] من كلامه العجيب، في تسجيل خرافات المسلمين وشركياتهم حول القبور، وبخاصة المصريين ما عدا الوهابيين، ومن كلامه: «وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون، كما كان يفعل اليهود...»[3].

بل صارت تلك القبب والمشاهد وسيلة وحيدة للاستعمار في آسيا، كما ذكر الشيخ أحمد حسن الباقوري عن بعض كبار المستشرقين، حيث حدثه أنهم لم يجدوا أية وسيلة للاستعمار،

---

(١) وإن خفي وجود هذا الشرك البواح، والكفر الصراح، على أمثال الكوثري وسلفه وخلفه، إما جهلًا أو تجاهلًا.

(٢) توفي سنة (١٢٩٣هـ)، وسماه الزركلي: إدورد وليم لين، انظر ترجمته في: الأعلام ١/ ٢٨٤، ذكر أنه من كبار المستشرقين.

(٣) المصريون المحدثون ص: ١٦٧ ـ ١٨١، وعنه: دعوة الحق، للأستاذ عبد الرحمٰن الوكيل ص: ٧٦ ـ ٧٧، وعنه: شيخنا الألباني في تحذير الساجد ١٦٠ ـ ١٦١.

فاختاروا إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة، وما هو إلا أن اهتزت الإشاعات بمن فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطرق مأهولة مقصودة عامرة[1].

وقد سجل الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل ـ الوكيل الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية، بمصر، القاهرة ـ شهادات عدة، من كبار المستشرقين، منهم رونلدس، في كتابه: عقيدة الشيعة، **٢٦٦**، وجوتيه، في كتابه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، **١٥٧ ـ ١٥٨**، وجولد زيهر، في كتابه: العقيدة والشريعة في الإسلام، **٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٤**: أن الشرك بسبب عبادة القبور قد انتشر في البلاد الإسلامية، وكان علماء المسلمين لا يزالون حتى القرن الثامن الهجري يعدُّونه مخالفًا للسنة، ونهت عنه غالبيتهم، على أنه بدعة في الإسلام[2].

وأما البلاد المغربية: فاستمع إلى ذلك الخرافي الذي كتب في تأييد تلك الخرافات كتابًا بعنوان: إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور، ألا وهو أبو الفيض أحمد الصديق الغماري، ومع ذلك أنطقه الله تعالى ببعض الحق، فيقول: «ونراهم [يعني: بعض العامة] يحلفون بالأولياء، وينطقون في حقهم بما ظاهره الكفر الصراح؛ بل هو الكفر حقيقة بلا ريب وشك،... فكثير من جهلة العوام بالمغرب ينطق بما هو كفر صراح، في حق مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه،... فإن عندنا بالمغرب من يقول

(١) عنه، ليس من الإسلام، للأستاذ محمد الغزالي ١٧٤، وعنه الألباني، تحذير الساجد ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) انظر مقدمته لكتاب: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/ ١٥ ـ ١٦.

في القطب الأكبر، مولانا عبد السلام ابن مشيش ﷺ[1]، أنه الذي خلق الدين والدنيا، ومنهم من قال ـ والمطر نازل بشدة ـ: يامولانا عبد السلام، الطف بعبادك!! فهذا كفر...»[2].

وقد علق شيخنا الألباني على كلامه هذا، فقال: «قلت: فهذا الكفر أشد من كفر المشركين؛ لأن فيه التصريح بالشرك في توحيد الربوبية أيضًا،... فإذا كان هذا حال المسلمين اليوم وقبل اليوم، فكيف يقول هذا الرجل[3]: وقد انتفت العلة برسوخ الإيمان في نفوس المؤمنين...»[4].

فالحاصل: أنه لا يجوز لأحد أن يحمل فعل الإمام مالك على مثل هذه الخرافات، أو أن يستدل به بمثل هذه المفاسد والشركيات، فالدعوة إلى بناء القبب على القبور وتجويز الصلاة إليها دعوة إلى الوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، والله المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) هو ناسك مغربي، صاحب رسالة: (الصلاة المشيشية)، شرحها كثير، قتله جماعة الساحر المتنبي، يدعى ابن أبي الطواجين الكتامي، سنة (٦٢٢هـ)، مولده ومدفنه في جبل العلم، انظر ترجمته في: الأعلام ٤/ ٩.

(٢) إحياء المقبور ٢١ ـ ٢٢، وعنه شيخنا الألباني، تحذير الساجد ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) يعني: ذلك الغماري الخرافي، مؤلف ذلك الكتاب: إحياء المقبور..

(٤) تحذير الساجد ١٢٦، وقوله هذا في ٢٠ ـ ٢١ من كتابه إحياء المقبور، انظر: تحذير الساجد ١٢٢، يريد هذا الخرافي زميل الكوثري: أن العلة لمَّا زالت جاز بناء القبب، مع أنه شهد على عوام قومه خاصة وعلى المسلمين عامة بالشرك والكفر! وهذا من أقبح التناقض الفاضح الواضح، وهكذا يفضح الله تعالى أعداء التوحيد.

الفصل الثالث

في الجواب عن شبهات الكوثري
في تجويزه بناء القبب والمساجد
على القبور والصلاة إليها

التمهيد

حاصل محاولات الكوثري في جواز بناء القبب والمساجد على القبور، والصلاة إليها تبركًا، ما يلي:

١ ـ يطعن في حديث أبي الهياج الأسدي، سندًا ومتنًا، ويردُّه بعنعنة حبيب بن أبي ثابت، كما يردُّه دراية، بحجة: أن التعامل على خلافه!

٢ ـ يطعن في حديث جابر رواية، بحجة: عنعنة أبي الزبير، إدراج أو زيادة فيه، ودراية: أن الحديث مخالف لتعامل الأمة[١].

٣ ـ يحتج بما في سورة الكهف، أن هؤلاء بنوا مسجدًا على أصحاب الكهف، يصلون فيه تبركًا[٢].

٤ ـ يستدل بكلام الحاكم، كما يستدل بتعامل الأمة؛ على بناء القباب والمساجد على القبور.

٥ ـ وأن ترك العمل بحديث على مدى القرون علة قادحة عند كثير من أهل النقد[٣].

هذا كان غاية مرام الكوثري، ونهاية إقدامه، ومبلغ علمه.

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ١٥٩.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر السابق ١٩٧ ـ ١٥٩.

والجواب بحمد الله

١ ـ أما طعن الكوثري في حديث جابر، بعنعنة أبي الزبير؛ فمحاولة فاشلة، فاضحة، واضحة، تدل على كمين الرجل في صدره من أحاديث الصحيحين، ولعل الله قد طمس بصره وبصيرته، فكشف للأمة جريرته وسريرته، ليفضحه في الأولين والآخرين، وأن الرجل قد اندس في الحنفية، وهو من دعاة القبورية.

والجواب أولًا: أن مكانة الصحيحين معروفة عند نقاد الأمة، وقرروا بعد النقد مرات وكرات: أن أحاديث الصحيحين قد جاوزت القنطرة، وعلى هذا نص المقدسي، والقشيري، وابن المفضل، وابن دقيق العيد، وغيرهم[1].

وهذه النتيجة الناضجة، ثمرة بحث طويل، وسعي جليل، وتحقيق أنيق دقيق عميق، من هؤلاء الجهابذة والنحارير، على بصيرة ونقد تام شامل، وإتقان كامل، بحجج واضحة دامغة قاطعة بالغة، لا لأجل تقليد أعمى جامد، كما يصوره ذلك المتعصب الهالك، والمقلد الحالك[2].

---

(١) انظر: الهدي الساري ٣٨٤، وفتح الباري ١٣/٤٥٧، وارجع للاطلاع على مكانة الصحيحين إلى: مكانة الصحيحين، للدكتور ملا خاطر، ولا سيما الفصل الرابع ٣٠١ ـ ٣٧٩، والسابع ٤٧٠ ـ ٤٩٩.

(٢) ارجع لكلام الكوثري إلى مقالاته ٨٤.

ثانيًا: أن ما ظاهره الانقطاع بشبهة تدليس وغيره من أحاديث ذينكم الكتابين الصحيحين الجليلين؛ محمول على السماع، عند أئمة هذا الشأن[1]، لم يتناطح فيه كبشان، ولم يتنازع في مسلمان اثنان[2].

وإليك قول العلامة بشير أحمد الديوبندي رحمه الله[3]، الذي أطراه ذلك الجركسي[4]، من تلك المقدمة التي يفتخر بها الكوثري[5]، ـ مع ما فيها من الحق والباطل، فكاد أن يرقص فرحًا أو يطير مرحًا ـ التي

(١) ارجع في ذلك إلى كلام النووي، في مقدمة المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٣، والتقريب مع التدريب ١/ ١٩١، وفتح المغيث ١/ ١٨٧، وإرشاد الساري ١/ ١٠، والتبصرة والتذكرة، مع فتح الباقي على ألفية العراقي ١/ ١٨٦، والتبيين لأسماء المدلسين ٥٤.

(٢) وقد ذكر العلامة محمد سرفراز الحنفي ـ كبير علماء الديوبند ـ الإجماع على ذلك. انظر: أحسن الكلام ٢٠٠.

(٣) تقدم ترجمته، ولقبوه: شيخ الإسلام.

(٤) فيقول في تقريظه الطويل: «ومؤلفه ذلك الجهبذ، الحجة، الجامع لأشتات العلوم، محقق العصر، المفسر، المحدث، الفقيه، البارع، النقاد، الغواص، . . . شيخ الحديث، . . . ومدير الديوبندية. . .»، مقالات الكوثري ٨٤، وآخر المجلد الثالث، من: فتح الملهم ٥٢٠، ويقول: «فخر الحنفية في هذا العصر حقًّا»، المرجع السابق ٥١٩، وقال: «أعلم علماء الهند»، التأنيب ٢٢٣، الحاشية.

(٥) يقول: «وكم كان سروري عظيمًا من تلك المقدمة النفيسة في مصطلح الحديث، وفي شرح مقدمة صحيح مسلم، فإنها مما لم أره مسطَّرًا في موضع واحد بهذا الجمع وهذا التحقيق، وطريقتكم البديعة في شرح الكتاب مما يخضع لبالغ استقامته كبار أهل العلم سلفًا وخلفًا، فماذا يكون قول مثلي من المتطفلين على العلم سوى الإكبار والإجلال». انظر تقريظ الكوثري في آخر المجلد الثالث من: فتح الملهم ٥١٩، وانظر ذلك التقريظ في مقالاته ٨٣ ـ ٨٤.

جعلها مدخلًا لكتابه: فتح الملهم، الذي لا يعلم مدى سرور الكوثري به إلا الله ﷻ[1]، **فيقول العلامة بشير أحمد** رحمه الله: «وفي الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتبرة حديث الرواة المدلسين، مما صرَّحوا فيه بالتحديث كثير؛ بل ربما يقع فيهما من معنعنهم، ولكن هو كما قال ابن الصلاح، وتبعه النواوي وغيره: محمول على ثبوت السماع...»[2].

وهناك نكتة أخرى أدق؛ وهي أن أبا الزبير ممَّن يقبل تدليسهم[3].

ثالثًا: أن الأمة المحمدية أجمعت على صحة هذين الكتابين، وتلقيهما بالقبول.

وإليك قول إمام من أئمة السادات الديوبندية، وهو المحدث **أحمد علي السهارنفوري**[4]، ليصحو الكوثري من غفوته، أو ينتبه إلى

(١) فقد قرَّضه مرتين بل ثلاث مرات، وذكره في أول قائمة كتب الأحكام، للحنفية الهنود. انظر: مقالات الكوثري ٧٤، ويقول في تقريظ طويل: «...وها نحن قد ظفرنا بضالتنا المنشودة، ببروز فتح الملهم في شرح صحيح مسلم، بثوبه القشيب، وحلله المستملحة،... وقد اغتبطنا جد الاغتباط بهذا الشرح الضخم، الفخم صورة ومعنى، حيث وجدناه قد شفى وكفى من كل ناحية، وقد ملأ بالمعنى الصحيح ذلك الفراغ...». مقالات الكوثري ٨٣، وآخر فتح الملهم ٣/ ٥٢٠. ويقول: «... فتح الملهم من مؤلفاتكم الزاخرة، فعظم سروري وابتهاجي بذلك جدًا، وكلما درسته ازدت إعجابًا، فأنتم يا مولانا فخر الحنفية في هذا العصر حقًّا، أبديتم بشرح مسلم هذا عن علم غزير، وفضل فياض...». المرجع المذكور ٥١٩.

(٢) مقدمة فتح الملهم ٣٩.

(٣) كما صرح به الحافظ، انظر: تعريف أهل التقديس ٢٣.

(٤) تقدم ترجمته، وهو الذي حشى الكتب الستة، وعليها تعويل الحنفية =

هفوته، فيقول: «وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين، ووجوب العلم بأحاديثهما»[1].

وهذا الحديث من ضمن ما تلقته الأمة الإسلامية بالقبول، وليس من جملة المنتقد عليها طيلة تلك القرون، ولم يطعن في هذا الحديث الجليل أحد من هذه الأمة من النحارير الجهابذة من أهل الشأن والإتقان، حتى لم يطعن فيه أحد من الحنفية، حتى العلامة شبير أحمد رحمه الله في: فتح الملهم[2]، الذي يقول الكوثري فيه وفي كتابه: «فاستوفى ضبط الأسماء، وشرح الغريب، والكلام على الرجال، وتحقيق مواضع أورد عليها بعض أئمة هذا الشأن وجوهًا من النقد من حيث الصناعة، غير مستسيغ اتخاذ قول من قال: «كل من أخرج له الشيخان؛ فقد قفز القنطرة»، ذريعة للتقليد الأعمى، وكم رد في شرحه هذا على صنوف أهل الزيغ، وله نزاهة بالغة في ردوده على المخالفين من أهل الفقه والحديث»[3]. والشيخ أشرف علي، وابن أخته الشيخ ظفر علي، في كتابهما: إعلاء السنن[4]، الذي يقول الكوثري مطريًا إياه في تقريظ طويل: «والحق يقال: إني دهشت من هذا الجمع، وهذا الاستقصاء، ومن هذا الاستيفاء البالغ في الكلام على كل حديث بما تقتضي به الصناعة الحديثية، متنًا وسندًا، من غير أن يبدو عليه آثار التكلُّف في تأييد مذهبه؛ بل الإنصاف رائده عند الكلام على آراء أهل

= الديوبندية درسًا وتدريسًا، وهو صاحب المطبعة الأحمدية، جزاه الله خيرًا.

(١) مقدمة العلامة أحمد علي رحمه الله لحواشيه على صحيح البخاري ٤.

(٢) انظر: فتح الملهم.

(٣) مقالات الكوثري ٨٤، وآخر فتح الملهم ٣/ ٥٢٠.

(٤) انظر: إعلاء السنن ٨/ ٢٦٥.

المذاهب، فاغتبطت به غاية الاغتباط»[1].

فثبت إجماع الأمة ـ بما فيها الحنفية، وعلى رأسها العلامة بشير أحمد شيخ الإسلام الحنفي الديوبندي، وحكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وابن أخته ظفر أحمد العثماني، الذين يطريهم ذلك الكوثري نفسه، وكتبهم ـ على تلقي هذين الكتابين، وأحاديثهما عامة، وهذا الحديث خاصة.

حتى جاء دور الكوثري، فانبرى، وأتى بالعجب العجاب، فابتدع ما لم يقله عالم، وصار بين الأنام مثلة، وخالف ذلك الإجماع الصحيح الصريح، فطعن في الحديث كذبًا وزورًا وظلمًا وعدوانًا، فليذكر الكوثري قوله المسطور في السطور، مر الدهور، وكر الشهور: «إن كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام السلام»[2]! وفي الحقيقة محاولات الكوثري حول هذه الأحاديث الصحيحة المُحْكَمَة الصريحة بهذا الشكل؛ من المخازي والهوان، ليس إلا فتح باب إنكار السنة[3]، ومناصرة للحركات الهدَّامة للسُّنة عامة، والصحيحين بالوجه الأخص، من البرويزية[4] والنيجرية[5]،

---

(١) المقالات ٧٦، ومقدمة أبي غدة لكتاب: إعلاء السنن ١/٥.

(٢) الإشفاق ٨٩، يرى أنه خالف الإجماع في مسألة الطلاق الثلاث، مع أن شيخ الإسلام لم يقدح في حديث صحيح مسلم؛ بل معه حديث صحيح، وتعامل عهد النبي ﷺ، وأبي بكر رضي الله عنه، وصدر من خلافة عمر رضي الله عنه.

(٣) نسأل الله تعالى أن نكون مفاتيح للخير مغاليق للشر.

(٤) جماعة خبيثة ظهرت في الهند، وهم أتباع غلام أحمد برويز، الذي أنكر حجية السنة، وزعم أن مصدر التشريع هو القرآن الكريم فقط، وأنكر وجود الجنة والنار، وزعم أنها أماكن تخييلية، وأنكر حقيقة الملائكة، إلى غير ذلك من العقائد المضادة للدين الإسلامي.

(٥) فرقة شريرة ظهرت في الهند، هم أتباع السد أحمد خان بن محمد التقي

وحركات أخرى تنادي بتجديد مناهج المحدِّثين أصولًا وفروعًا[(١)].

وخذ كلمة مباركة للإمام ولي الله، لتكون نورًا على نور لكل سني غيور، يفور على كل بدعي غرور، مغرور بالفجور والديجور، ألا وهي: «أما الصحيحان؛ فقد اتفق المحدِّثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأنه كل من يهون من أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين، وإن شئت الحق الصراح؛ فقِسْهُما بكتاب ابن أبي شيبة، وكتاب الطحاوي، ومسند الخوارزمي وغيرهما، تجد بينهما بعد المشرقين»[(٢)].

= الدهلوي، الهندي، المتوفي (١٣١٥هـ)، و(نيجر) كلمة إنجليزية معناها: (الفطرة). جمعوا بين بعض عقائد المعتزلة، وعقائد الطبعيين، لهم هجوم عنيف ضد السنة النبوية، وعندهم عقائد كفرية مصادمة لصريح الكتاب والسنة الصحيحة، كانوا ينكرون السماوات والجن والشيطان والملائكة، كما كانوا يقولون: النبوة مَلَكة. راجع لمعرفة خرافاتهم إلى الثقافة الإسلامية ٢٢٣ _ ٢٣٢.

(١) ذكر منها الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر أربعة أصناف خبيثة، وكشف عن مخازيهم ودجلهم. انظر: مكانة الصحيحين ٤٧٠ _ ٤٧٣، كما أن للمؤلف المذكور كتابًا سماه: بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة، حيث جعل كتابه هذا ردًا على هذه الفرية الماجنة، والدعوة الكافرة، انظر: حاشية كتاب مكانة الصحيحين ٤٦٩، جزاه الله خيرًا عن السنة وأهلها.

(٢) حجة الله البالغة ١/ ١٣٤، وأقره العلامة بشير أحمد الحنفي الديوبندي في مقدمة: فتح الملهم ١٠٨، وهو مع كتابه بتلك المقدمة غنيمة باردة، ونعمة غير مترقبة عند الكوثري، كما أنه شيخ الإسلام عند الحنفية في الهند، بإقرار الكوثري، وإطرائه إياه، كما لا تخفى مكانة الإمام ولي الله الدهلوي وإمامته عند الحنفية، وأنه مجدد عندهم.

فكل ما فيهما ثابت «عن المصطفى ﷺ، وقد تلقته الأمة بالقبول، فلا يطعن فيه إلا من له غرض، أو في قلبه مرض»[(١)].

رابعًا: أن الأستاذ الكوثري في طعنه هذا كذاب مع علمه، أفاك مع فهمه، فإن أبا الزبير صرَّح بالسماع[(٢)]، لتكون ثرثرة الكوثري وشقشقة الثرثري كأمس الدابر، كما تكون عبرة لكل مغرض جائر فاجر جابر.

خامسًا: أن أبا الزبير لم ينفرد بروايته؛ بل تابعه سليمان بن موسى[(٣)]، ولذا قال الترمذي: «حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن جابر»[(٤)].

وقال شيخنا الألباني ـ حفظه الله ـ، بعد أن كشف عن مخازي ذلك الرجل: «وتابعه أيضًا أبو نضرة عند ابن النجار، في ذيل تاريخ بغداد ١٠/ ١/٢٠١، وله شاهد عن أم سلمة، عند أحمد[(٥)]، وآخر عن أبي سعيد[(٦)]،

(١) اقتباس من كلمة مباركة من كلام شيخنا العلامة المتقن سماحة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، رئيس الدراسات العليا في كتابه: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٣٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم نفسه ٢/ ٦٦٧، وسنن أبي داود ٣/ ٥٥٢، وسنن النسائي ٤/ ٨٧، ترقيم أبي غدة، ومسند أحمد ٣/ ٢٩٥، والمصنف لعبد الرزاق ٣/ ٥٠٤.

(٣) انظر: سنن النسائي ٤/ ٨٦، بترقيم أبي غدة، وسنن ابن ماجه ١/ ٤٩٨، ومسند أحمد ٣/ ٢٩٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٣٣٥.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٠.

(٥) قلت: انظر مسند أحمد ٦/ ٢٩٩.

(٦) قلت: أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢/ ٢٩٧، وقال الهيتمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٣/ ٦١، وأقره شيخنا الألباني حفظه الله، انظر: تحذير =

كما في الكواكب الدراري ٨٦ ـ ٨٧ ـ تفسير ٥٤٨»[١].

والحديث قد صححه البنوري[٢]، فرخ الكوثري، فناقض نفسه، حيث كتب التقريظ على مقالات الكوثري[٣].

وبهذا يتبين للقراء من هو الأفاك[٤]، الكذاب[٥]، ومن هو منحل من الدين والعقل[٦].

ومن هو ملعون[٧]، ومن هو إخوان اليهود والنصارى[٨]، ومن

المساجد ٣١، ورواه ابن ماجه، النهي عن البناء على القبر فقط، انظر: سنن ابن ماجه ١/ ٤٩٨، قال البوصيري: «إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، القاسم بن مخيمرة لم يسمع من أبي سعيد». مصباح الزجاجة ١/ ٥١٠، وفي تعليقات فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجه ١/ ٤٨٩، وتعليقات الشيخ حسين سليم أسد على مسند أبي يعلى ٢/ ٢٢٩٧، زيادة: «إسناده صحيح»، عن البوصيري، ولكن لم أجدها في الطبعتين من مصباح الزجاجة، وعدم سماع القاسم عن أبي سعيد لم أجده إلا عند الإمام ابن معين. تاريخه ٢/ ٤٨٣.

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ٤١.

(٢) انظر: معارف السنن ٣/ ٣٠٧، فقال: «ثم أيده الحديث الصحيح، وهو حديث جابر عند مسلم في صحيحه».

(٣) راجع تقريظه على مقالات الكوثري في (١١) صفحة، أيد فيه جميع ما في المقالات حرفًا حرفًا، وأطرى الكوثري ومقالاته إطراءًا لا مثيل له، والتقريظ مطبوع في أول مقالات الكوثري.

(٤) أطلقه الكوثري على شيخ الإسلام الهروي، انظر تعليقه على كتاب: الفقه الأبسط ٥٠.

(٥) أطلقه على الإمام ابن القيم، انظر تعليقاته على السيف الصقيل ٤١، ٥٧، ١٦٨.

(٦) قاله في ابن القيم، المصدر السابق ٦٣.

(٧) قاله في الإمام ابن القيم، المصدر المذكور ٣٧، تنبيه: حديث: (لعن اليهود والنصارى...)، مما يلفت النظر.

(٨) قاله فيه أيضًا، المصدر المذكور ٣٩، وفي حديث: (لعن الله اليهود =

أخذ عن اليهود![1]

ومن ذا الذي يعبد صنمًا[2]، ومن ذاك الذي يحمل عقيدة وثنية![3] أو يرث الاعتقاد من جيرانه عبَّاد البقر[4]، أو أساطير اليونانيين الأقدمين![5] ومن هم الوثنيون[6]، ومن هو أضر على الإسلام من اليهود[7]، ومن هم الفاتنون، الذين حرمهم الله العقل والتوفيق[8]، ومن الذين يتلقون من دجاجلة الملبسين، من الثنوية، وأهل الكتاب، ومما ورثوه من أمم قد خلت![9] ومن هم الذين لهم سلف، ولكن سلفهم من غير هذه الأمة المحمدية![10]

وإثم هذا السُّباب الشنيع، والتشتم الفظيع، وهذا التنابذ اللئيم، والتنابز الأثيم، معلوم من الدين بالضرورة.

= والنصارى...)، وأمثاله عبرة وتذكرة.

(١) كما يقوله في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، انظر مقدمة الكوثري لكتاب: البراهين الساطعة ١٠.

(٢) كما يتهم بذلك العقيدة السلفية وحامليها، انظر تعليقه على كتاب: تبيين كذب المفتري ٢٨.

(٣) كما يصوره في العقيدة السلفية وحامليها، انظر تعليقه على كتاب: الأسماء والصفات، للبيهقي ٤٠٧، ومقالات الكوثري ٣٣٦، ٣٠١، ٣٠٣.

(٤) قاله في حق الإمام الكبير عثمان بن سعيد الدارمي، انظر: مقالات الكوثري ٣٠٢.

(٥) قاله في العقيدة السلفية وحامليها، انظر المصدر السابق ٣١٠.

(٦) قاله في حاملي عقيدة السلف، انظر المرجع السابق ٣٣٢.

(٧) قاله في حق حاملي العقيدة السلفية من الهنود، انظر تعليقه على كتاب: تبيين كذب المفتري ٣٩٥.

(٨) قاله في الأئمة الكبار من السلف، انظر المصدر السابق ٣٩٥.

(٩) مقدمته على كتاب: تبيين كذب المفتري ١٤.

(١٠) المرجع نفسه ١٤.

ولكن الله ﷻ أعمى بصر الرجل وبصيرته، حيث فضحه على رؤوس الأشهاد، بشهادة لسانه وبنانه، فوقع في التناقض الفاضح الواضح.

حيث يقول في الرد على ذلك العالم الرباني المعلِّمي اليماني: «ويجب أن يعلم هذا الباهت المتهافت؛ أن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا تهاذر القحاب، ولا النبز باليهودية في الخطاب، للأضداد والأحباب»(١).

سبحان الله! ما أكذب هذا الرجل! يقول قولًا ثم يخالفه، ويتكلم كلامًا فيجازفه، فهذه نماذج من نبح الكلاب، وتهاذر القحاب، والنبز باليهودية لأئمة الإسلام، جرت على لسان من؟ أهذا هو الإمام المحقق الحجة، دجال الزمن؟!

وقال: «ولعنُ شخصٍ معيَّن لا يكون فيه نص من الشرع على أنه من أهل النار؛ يعد ذنبًا عظيمًا في الدين الحنيف، ولو كان عاميًّا جلفًا، فكيف يكون لعن إمام من أئمة الدين؟ وهذا الإجرام بمجرده كاف في سقوط اللاعن، فتبًّا لمن يحتج بالمجرمين»(٢).

فهل هناك منصف من الحنفية يسأل هذا الرجل: لمَ تَلْعَنْ أمثال ابن القيم؟ وهل هؤلاء أدون من عامي جلف؟ وأنت بمجرد هذا الإجرام لا تكون في عداد الساقطين اللاعنين؟! فتبًا لمن يحتج بالمجرمين.

ثم ألستَ الذي تدَّعي أن الخطيب وأمثاله يستحقون من أولي

---

(١) الترحيب ٢٩٦.

(٢) التأنيب ٢١٢.

الأمر ما استحقه الحطيئة من عمر، لما قال في الزبرقان ما قال[1]؟!

ألستَ تستحق من أولي الأمر ما استحق الحطيئة من عمر؟

ثم تقول: «تقرر حكم من يقول لمسلم من آحاد المسلمين (يا يهود) من باب التعزير، في كتب الفقه»[2].

ثم إنك تهذي هذا الهذيان، وتنادي بالبهت والفحش والبهتان، وترمي الإمام ابن القيم في ظلامك المخيم بالزندقة ص/ ١٨٢، والكفر ٢٢، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣٦، ٢٦، ١٧٠، ١٨٢، وأنه ضال مضل ٩، ١٠، ٢٣، ٣٧، زائغ ٩، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٥، ٣٧، مبتدع ٢٨، وقح ٤٧، ١٦٨، كذاب ٤١، ٥٧، ١٦٨، حشوي ١٣، ١٤، ٣٩، بليد ٦٦، غبي ١٠، جاهل ٢٥، ٦٠، مهاتر ٢٧، خارجي ٢٨، تيس حمار ٢٨، ٥٩، ملعون ٣٧، من إخوان اليهود والنصارى ٣٩، منحل من الدين والعقل ٦٣!!

هذه نماذج من السباب والشتائم، بما فيها النبز بالبهائم، من ذلك الكتيب الملعون، لهذا الرجل المفتون، الذي يقول فيه ذلك البنوري خلف هذا الثرثري: «انظر أبلغ كتاب له في الرد على نونية ابن القيم، وأقسى لهجة في كتبه، هل تجد فيه مغمزًا؟ وكان سيفًا صقيلًا، وصارمًا مسلولًا، ومهنَّدًا مشهورًا، لم يستطيعوا فيه رواية ولا دراية في عشرين سنة، مع غاية عدائهم إياه في هذا الموضوع»[3].

(١) انظر: التأنيب ١٨٩.
(٢) انظر: التأنيب ٢١٥.
(٣) مقدمته لكتاب: مقالات الكوثري ص: (ز).

أليس هذا غمز ولمز وهمز؟ أهكذا تكون رواية ودراية؟ وهل يكون للشتائم والسباب جواب عند أولي الألباب؟

كما تبين قيمة ثناء الخلف الثرثري، لسلفه الكوثري، المعروف بالبنوري، وأمانته وديانته، حيث يقول مطريًا إياه: «وهو محتاط، متثبِّت في النقل، متيقِّظ لكل مدلول الكلام»[1]، ويقول: «أسلوبه في الكتابات مع تجليه بأجلى مظهر الأدب والنزاهة...»[2].

هل يقال للتوغل في الكذب والإفراط إنه تثبُّت وتيقظ واحتياط؟! وهل الكذب والخيانة والسُّباب مظهر من أجلى مظاهر النزاهة والآداب؟

وأما قدحه في الحديث بقوله: «والنهي عن الكتابة زيد في بعض الروايات»! فمقالة باطلة، وحيلة عاطلة، وعمل فاسد، وقول كاسد؛ من جوه:

أولًا: أن هذه الزيادة ليست في صحيح مسلم، فلا تؤثر على صحة الحديث.

وثانيًا: هذه الزيادة غير منافية لأصل الحديث، وهي زيادة ثقة، فتُقبل، فهي كحديث مستقل[3].

وثالثًا: أنها رواها الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[4]،

(١) تقريظ البنوري على كتاب: مقالات الكوثري ص: (ز).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) انظر: قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد الحنفي الديوبندي، تحقيق وتعليق: أبي غدة ١٢٠.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٠.

كما قد حكم بصحتها الحاكم، ووافقه الذهبي[1].

بل أقول لأمثال الكوثرية القبورية: إن هذه الزيادة رواها الإمام الطحاوي[2]، فلم هذه الدعاوي، ألستَ صاحب الحاوي في سيرة الطحاوي؟ على أن هذه الزيادة صححها مؤلف إعلاء السنن[3]، الذي يطريه الكوثري، واندهش من كتابه[4]، وهذا هو الخزي المبين، فشهد عليه لسانه وبنانه.

٢ ـ وأما قدحه في حديث أبي الهياج الأسدي، الذي رواه مسلم وغيره، بدعوى اختلاف في السند؛ فأقول أولًا: ما أكذب هذه الدعوى، وما أشد هذه البلوى، فما أطعن هذا الرجل في الأحاديث، وما أكذب في الأحاديث، فيا رعاك الله؛ رجل يذهب فيحاول تصحيح حديث: كون النعمان سراجًا، كذبًا وزورًا واعوجاجًا[5]، وفي بعض طرقه: (أن ابن إدريس، أضر من إبليس)، بشتى أنواع التدليس والتلبيس، ثم ينبري فيطعن في أحاديث الصحيحين، بمثل هذه المخازي، ألا يوجد في الحنفية منصف يقطع لسانه وبنانه وسنانه؟ أين الاختلاف في سند هذا الحديث الصحيح،

---

(١) المستدرك مع تلخيص الذهبي ١/ ٣٧٠.

(٢) شرح معاني الآثار ١/ ٥١٥ ـ ٥١٦، ولم يقدح فيها؛ بل ولم يذكر خلاف الفقهاء في الكتابة كما ذكر خلافهم في الجلوس على القبر، والطحاوي وكتابه هذا هما اللذان يرجّحهما الحنفية ـ وعلى رأسهم العيني والكوثري ـ على السنن الأربعة وأصحابهما. انظر مقدمة بعض الحنفية لكتاب: شرح معاني الآثار ٥٦، والحاوي في سيرة الطحاوي، للكوثري ٣٣.

(٣) انظر: إعلاء السنن ٨/ ٢٦٥.

(٤) انظر: المقالات ٧٦.

(٥) انظر: التأنيب ص: ٣٠.

المحكم الصريح، وأين الإنصاف من هذا الاعتساف؟

وأقول ثانيًا وثالثًا ورابعًا: ما تقدم في الحديث السابق من الأجوبة الثلاثة الأول، فلا حاجة إلى إعادتها، فارجع إلى إفادتها[1].

وأقول خامسًا: إن الحديث ليس مما انتقد على الصحيحين، وقد تلقته الأمة بالقبول، ولم يقدح فيه أحد قبل هذا المُغْرِض، وأجمعوا على صحته، وقبوله لفظًا وحكمًا ومعنًى، فيجيء هذا الرجل ويخرق هذا الإجماع، بدون مبرر منوَّر؛ بل بإفك مزخرف مزور، متشبثًا بالهوى، متجنبًا عن التقوى، فهل نسي ما قاله في شيخ الإسلام[2]؟

وأما طعنه فيه: بعنعنة حبيب بن أبي ثابت.

فالجواب أولًا وثانيًا وثالثًا: ما مر في الأجوبة الثلاثة الأول، في الدفاع عن الحديث الأول.

ورابعًا: أن الحديث قد تلقته الأمة بالقبول، واحتف بقرائن الصحة، ومن قواعدكم: «أن الحديث الضعيف يحكم عليه بالصحة، إذا تلقته الأمة بالقبول»[3]، فكيف إذا كان الحديث صحيحًا؟

وخامسًا: أنكم حكمتم بقبول تدليس من كان من ثقات القرون الثلاثة، فكيف لا تقبل عنعنة ذلك الإمام، جبل العلم والدين،

---

(١) انظر ص: ٢٣٩، من هذه الرسالة.

(٢) في صدد مخالفته للإجماع في مسألة الطلاق الثلاث: «إن كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام سلام»، الإشفاق ٨٩.

(٣) انظر: قواعد في أصول الحديث، بتقرير أبي غدة ٦٠.

التابعي الجليل، الثقة الثبت، الحجة الفقيه، المفتي، شيخ أمثال شعبة، والثوري، وعطاء، المتوفى سنة ١١٩هـ[١]، وهو من ثقات القرن الأول وخمس من القرن الثاني، مع كلامنا في حديثه من أحاديث صحيح مسلم؟

وسادسًا: أن الحديث ليس منفردًا في معناه ومبناه؛ بل يؤيده حديث فضالة بن عبيد، وقد رواه مسلم في صحيحه[٢] وغيره، وقد تقدم، فلم هذا العدوان والحيف؟ ولم جمع الشتاء مع الصيف؟ ولم ارتكاب هذه الطعون والظنون؟ ووضع الضب موضع النون؟

وليُذْكر قول الإمام مسلم مقرِّضًا صحيحه: «ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت هاهنا ما أجمعوا عليه»[٣].

وشمول هذا القول لغير الأحاديث المتفق عليه صدق واضح، وحق لائح.

هذا ما كان يتعلق بطعونه في هذين الحديثين من ناحية الرواية، فقد قدمنا ما فيه كفاية، لمن له دراية.

٣ ـ وأما طعنه فيهما من ناحية الدراية: بأن التعامل على خلافهما مدى الدهور[٤]، وهذه علة قادحة في الحديث، واستدلاله بالتعامل في جواز البناء على القبور؛ فأقول وبه أجول وأصول:

(١) ترجمته في التهذيب ٢/ ١٧٨، والتقريب ١٥٠.
(٢) تقدم تخريجه في ص: ٢٧١.
(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٠٤.
(٤) انظر: مقالات الكوثري ١٥٩.

أولًا: نسألك أيها الرجل؛ تعامل من تقصد؟ إن تقصد تعامل أهل العلم والحق والسنة الذين يعتمد على قولهم ويعول على فعلهم، فأين تعاملهم؟ وأين مخالفتهم لهذه الأحاديث الصحيحة المحكمة الصريحة؟ فقد قدمنا أن الأمة تلقتها بالقبول، فهل هناك عالم من علماء الإسلام، وإمام من الأئمة الأعلام أفتى بخلافها، وأوصى بأن يبنى مسجد أو قبة على ضريحه؟ ولكن باب الدعوى والهوى واسع النطاق، وميدان الدجل طويل الآفاق.

وإن تقصد: تعامل الجهلة الظلمة، وأتباع الغَفَلَة والعوام، الذين هم كالأنعام، فهنيئًا لك هذا التعامل، وذلك الجور والتحامل، وهكذا تكون حجة العجائز، وموقف العاجز.

وثانيًا: لو سُلِّمَ التعامل؛ فمحله زمن صلاح الأمة، وإليك بعض نصوص الحنفية قلعًا لقولك، وقمعًا لعولك.

قال ابن عابدين الشامي: «قلت: نازع بعض المحققين من الشافعية في هذا الإجماع بأنه أكثري، وإن سُلِّمَ فمحل حجيته عند صلاح الأزمنة، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة، ألا ترى أن البناء على قبورهم في المقابر المسبلة أكثر من الكتابة عليها، كما هو مشاهد، وقد علموا بالنهي عنه، فكذا الكتابة»[1].

وقال مفتي الحنفية، **العلامة الآلوسي**[2]: «ويرد بمنع هذه

(١) رد المحتار شرح الدر المختار ٢/ ٢٣٨.

(٢) تقدم ترجمته، ولا تخفى مكانة هذا العلامة، وإمامته لدى الحنفية، وكأنه جذع في أعين الكوثرية الثرثرية.

الكلية[1]، وبفرضها؛ فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد، ولا سيما الحرمين، ومصر ونحوها، وقد علموا بالنهي عنه، فكذا هي، فإن قلتَ: هي إجماع فعلي، فهو حجة، كما صرحوا به. قلتُ: ممنوع؛ بل هو أكثري فقط، إذ لم يُحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه، وبفرض كونه إجماعًا فعليًّا؛ فهل حجيته كما هو ظاهر إنما هو عند صلاح الأزمنة، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة»[2].

أقول: إلا ما شاء الله، حيث لا تزال طائفة منصورة على الحق، تنهى عن البناء على القبور، وتدعو إلى هدم القباب، تمسكًا بهدي رسول الله ﷺ.

وثالثًا أقول: انظروا إلى صنيع الرجل، يستدل بكلام الحاكم، في قاعدة التعامل، في هذا الباب[3].

ولكنه قال فيه: «شيعي خبيث، على تعصبه البالغ، اختلط اختلاطًا فاحشًا»[4]! فكيف يستدل بقول رجل شيعي خبيث، ولا سيما فيما يوافق الشيعة الروافض، من الاهتمام بالبناء، والكتابة على القبور؟! فإن كثيرًا من البدع والفتن ما ظهر منها وما بطن، ولا سيما

---

(١) يعني: قاعدة التعامل.

(٢) روح المعاني ١٥/ ٢٣٨.

(٣) انظر المستدرك ١/ ٣٧٠، واستدل بكلامه الكوثري. انظر: المقالات ١٥٩.

(٤) انظر: التأنيب ١٠٣، ١٩٧، ٢١٧، وهذا أقبح أنواع الإغراض والأغراض، ولا يرتكبه إلا ذو مرض وغرض.

الشرك؛ دخل في المسلمين من الروافض[1]، وهذا الذي صنعه الكوثري من أقبح الخيانات العلمية، أَمِثْلُ هذا يكون أمين الحنفية في العقيدة، والأصول، والفروع، من المنهي والمشروع؟!

ورابعًا: قد تخطف من كلام الحاكم ما يوافق هواه، وهو مسألة التعامل على الباطل، فاعتبره لحمًا طريًا، وجعله رطبًا جنيًّا، واغتنمه غنيمة باردة، وظنه نعمة غير مترقبة، وتجاهل تصحيح الحاكم للحديث، بما فيه زيادة الكتابة، كما تغافل عن تعقب الإمام الذهبي كلام الحاكم، وهو نوع آخر من الخيانة العلمية، التي أبعدته عن الأمانة والديانة، فقد قال الذهبي: «قلت: ما قلتَ طائلًا، ولا نعلم صحابيًا فعل ذلك[2]، وإنما هو شيء أخذته بعض التابعين فمن بعدهم، ولم يبلغهم النهي»[3].

خامسًا: أن صاحب كتاب إعلاء السنن ـ الذي قرَّظه الكوثري، ويطريه إطراءً، واندهش من جمعه، وصناعته الحديثية، ثم أبو غدة أيضًا[4] ـ قد تعقب كلام الحاكم، وأيد موقف الذهبي، بقوله: «قلت: تعقب جيد قوي»[5]، وهو أضخم كتاب في تأييد مذهب الحنفية.

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٢٦، وفتح المجيد ٢٦٠.

(٢) كلام الحاكم في جواز الكتابة على القبور فقط، والحاكم لم يجوز البناء عليها، وكذلك مراد الذهبي بقوله: «وإنما هو شيء أحدثه بعض التابعين»، يعني: الكتابة على القبور، لا البناء عليه، فتدبر وتذكر.

(٣) تلخيص الذهبي على المستدرك ١/ ٣٧٠.

(٤) مقالات الكوثري ٧٦، ومقدمة أبي غدة لكتاب إعلاء السنن ١/ ٥.

(٥) انظر: إعلاء السنن ٨/ ٢٦٦.

٤ ـ وأما استدلاله بآية سورة الكهف[(١)] ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾[(٢)] نقلًا عن النيسابوري[(٣)]، فما أفضحه![(٤)].

ويجاب عنه بما يلي:

أولًا: **قول الآلوسي**، مفتي الحنفية رحمه الله: «واستُدِلَّ بالآية على جواز البناء على قبور الصلحاء، واتخاذ مسجد عليها، وجواز الصلاة فيها، وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي، في حواشيه على البيضاوي[(٥)]، وهو قول باطل عاطل، فاسد كاسد»[(٦)].

ثم ذكر عدة أحاديث في الباب، كما ذكر أقوال أهل العلم في تحريم البناء على القبور، واتخاذها مساجد[(٧)]، ثم ذكر وجوهًا لإبطال هذا الاستدلال، الذي هو عين الضلال.

أ ـ أن العمل بشرائع من قبلنا مشروط بعدم إنكار الله تعالى،

---

(١) انظر: مقالات الكوثري ١٥٩.

(٢) الكهف: ٢١.

(٣) انظر: غرائب القرآن ١٥/ ١١٠.

(٤) لأن الله تعالى سلط على الكوثري فُحول رجال من مذهبه، منهم الآلوسي، ومنهم حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، في: بيان القرآن ٦/ ١١٤، والثالث البنوري فرخ الكوثري، في: معارف السنن ٣/٣٠٦، حيث أيد الآلوسي وأشرف علي قمع استدلال الخرافيين بهذه الآية، كما أنه وقع في أقبح التناقض، حيث قرض مقالات الكوثري.

(٥) قلت: أمثاله وأمثال الكوثري كثير، منهم الزمخشري، الكشاف ٢/ ٣٨٤، والرازي، مفاتيح الغيب ٢١/ ١٠٦، والنسفي، مدارك التنزيل ٣/ ٧.

(٦) روح المعاني ١٥/ ٢٣٧.

(٧) المرجع نفسه ١٥/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

وإنكار الرسول ﷺ كإنكاره ﷻ، وقد سمعتَ أنه ﷺ لعن الذين يتخذون المساجد على القبور.

ب ـ كون هذه القصة من شرائع من قبلنا ممنوع، كيف وقد سمعتَ لعن اليهود والنصارى بذلك الفعل، فعُلِمَ أن هذا الفعل ليس من الشرائع في شيء.

ت ـ على أن الآية ليس فيها إلا مجرد حكاية قول طائفة، وليست خارجة مخرج المدح، ولا الحض على التأسي بهم، فمتى لم يثبت أن فيهم معصومًا لا يدل فعلهم على الجواز، فضلًا على أن يعد فضلًا.

ويؤيد ذلك: أن هذا فعل الأمراء والسلاطين.

ث ـ أن اتخاذهم المسجد ليس على طرز اتخاذ المساجد على القبور المنهي عنه، الملعون فاعله؛ بل اتخاذ مسجد قريبًا من كهفهم، فوق الجبل الذي هو فيه، ويكون نسبة المسجد إلى الكهف كنسبة المسجد النبوي إلى المرقد العظيم، صلى الله تعالى على من فيه وسلم.

ج ـ أن أصحاب الكهف لم يموتوا؛ بل هم ناموا كما ناموا، فليس هناك موتى، ولا قبور، حتى يقال اتخاذ المسجد عليها[1].

ثم قال: «وبالجملة؛ لا ينبغي لمن له أدنى رشد أن يذهب إلى خلاف ما نطقت به الأخبار الصحيحة، والآثار الصريحة، معوِّلًا على

(١) روح المعاني، بتصرف واختصار ١٥/ ٢٣٩.

الاستدلال بهذه الآية، فإن ذلك في الغواية غاية، وفي قلة النهي نهاية، وقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين، من إشرافها، وبنائها بالجص والآجر، وتعليق القناديل عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة، إلى غير ذلك؛ محتجًا بهذه الآية الكريمة، وبما جاء في بعض روايات القصة من جعل الملك لهم في كل سنة عيدًا، وجعله إياهم في توابيت من ساج، ومقيسًا البعض على البعض، وكل ذلك محادة لله تعالى ورسوله ﷺ، وابتداع دين لم يأذن به الله ﷻ، ويكفيك في معرفة الحق تتبُّع ما صنع أصحاب رسول الله ﷺ في قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو أفضل قبر على وجه الأرض؛ بل أفضل من العرش[1]، والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له، والسلام ـ عليه عليه الصلاة ـ والسلام، فتتبَّع ذاك وتأمَّل ما هنا وهناك، والله ﷻ يتولى هداك»[2].

وثانيًا: أن الآية حجة عليهم لا لهم، لأن هاهنا بديعة شريفة، ونكتة لطيفة أخرى، وتحقيق دقيق أحرى، **قال الحافظ ابن رجب (٧٣٦هـ)**، تلميذ الإمام ابن القيم: «قد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث[3]، . . . فجعل[4] اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك ليقر بأن مستنده القهر، والغلبة، واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما

(١) لم أجد النص على ذلك.
(٢) روح المعاني ١٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.
(٣) حديث لعن اليهود والنصارى بذلك الاتخاذ.
(٤) أي: جعل القرآن.

أنزل الله على رسله من الهدى»[1].

كما أيد هذا الموقف كل من: عمدة المفسرين، الحافظ ابن كثير، تلميذ شيخ الإسلام، والعلامة الآلوسي، مفتي الحنفية، وعلامة الشام القاسمي، وما أظن أن أمثال الكوثري يجهل هذه النصوص الفصوص، ولكنه ابتاع هواه ودنياه على عقباه، ولنعم ما قيل:

فيا بايعًا هذا ببخس معجل كأنك لا تدري بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وإليك كلمة مباركة، لعلامة الشام القاسمي، لتكون خاتمة المسك: «وهو[2] أعظم ما عنون به على الغضب الإلهي، والمقت الرباني، والسبب في ذلك: أن البناء على قبر النبي والولي مدعاة للإقبال عليه، والتضرع إليه، ففيه فتحٌ لباب الشرك، وتوسلٌ إليه بأقرب وسيلة، وهل أصل عبادة الأصنام إلا ذلك؟»، ثم ذكر قول حبر الأمة، في تفسير (ود وسواع، ويعوق، ونسر)[3]، ثم ذكر عجائب من خرافات القبوريين، ثم قال: «وهذا المعنى بعينه ذكره عباد الأصنام في زيارة القبور، وتلقاه عنهم من تلقاه[4] ممن لم يحط

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب ٦٥/ ٢٨٠، من الكواكب الدراري، مخطوط في الظاهرية، بدمشق، على ما قاله شيخنا المحدث الألباني ـ حفظه الله ـ، تحذير الساجد ٧١.

(٢) أي: حديث لعن اليهود والنصارى بذلك الاتخاذ.

(٣) والقصة معروفة، وأنهم كانوا صالحين، وأن الغلو في الصالحين من الأموات صار مدخلًا للشرك الأكبر وعبادة الأوثان، راجع صحيح البخاري.

(٤) دخل هذا الشرك الأكبر وفتنة القبورية من عبدة الأصنام أولًا على الروافض،

علمًا بالشرك وأسبابه ووسائله[1]، ومن هنا يظهر سر مقصود النبي ﷺ بنهيه عن تعظيم القبور، واتخاذ المساجد عليها والسرج، ولعنه فاعل ذلك، وإخباره بشدة غضب الله عليهم، ونهيه عن الصلاة إليها، ونهيه عن اتخاذ قبره عيدًا، وسؤاله ربه تعالى أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبد، فهذا نهيه عن تعظيم القبور، وذلك تعليمه وإرشاده للزائر، أن يقصد نفع الميت، والدعاء له، والإحسان إليه[2]، لا الدعاء به، ولا الدعاء عنده[3].... »[4].

هذا؛ ولعله حان للكوثري أن يعرف من هم أفراخ اليهود والنصارى والروافض؟ ومن هم على منهج الأنبياء والمرسلين، والصحابة، والتابعين، ومن بعد من الفقهاء والمحدِّثين؟

= ثم منهم إلى المنتسبين إلى أهل السنة، وهم في الحقيقة أهل البدعة، راجع كلام شيخ الإسلام.

(١) وعلى رأسهم المتكلمون، الذين أضاعوا حياتهم ومواهبهم وقواهم في إثبات توحيد الربوبية، على شكوك وشبهات.

(٢) مع التزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة، وذكر الموت، والتوبة عن السيئات، والرغبة في الطاعات، والإقبال على الله.

(٣) ولا الطواف حوله، ولا أكل تراب قبره، ولا التمسح بأحجاره، ولا لدفع ضر ولا نفع، فإن ذلك من الخرافات والبدع والشركيات.

(٤) إلى آخر ما قاله من كلام طيب، ونصيحة مباركة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، محاسن التأويل ١١/٢١ ـ ٢٣.

الباب الثالث

في التوسل

وفيه تمهيد، وثلاثة فصول:

التمهيد: في عرض عقيدة الكوثري الشركية، تحت ستار التوسل.

الفصل الأول: في مفهوم التوسل لغة وشرعًا.

الفصل الثاني: في الجواب عن تشبثه بآية الوسيلة وبعض الأحاديث في إثبات توسله المبتدع الشركي.

الفصل الثالث: في الجواب عن شبهاته لإثبات التوسل الشركي، واستدلاله بالعمل المتوارث، والتحاكم إلى المتكلمين والمنامات.

التمهيد

في عرض عقيدة الكوثري الشركية، تحت ستار التوسل

المقالة الثانية للكوثري، بعنوان: «محق التقوُّل في مسألة التوسل»[1]، وهي أخبث من الأولى، ففيها صريح الشرك، حاول الأستاذ الكوثري ـ تحت ستار التوسل ـ تجويز التوسل بالذات والجاه والحق[2]، وأشخاص الأنبياء خاصة، والأولياء والصالحين عامة، أحياءً حاضرين، وغائبين وأمواتًا[3]، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم بعد موتهم، وندائهم[4]، وأنهم في البرزخ يعلمون سؤال السائل، ويدعون ربهم[5]، وأنهم أحياء يسمعون[6]، وأن أرواح الأولياء هي المدبِّرات أمرًا في أحوال

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٧٨ ـ ٣٩٧، أطول مقالة، وأعمق في الخبث والخرافة.

(٢) مقالات الكوثري ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٧٩.

(٣) المرجع السابق ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩١.

(٤) المرجع السابق ٣٨٩، ٣٩١.

(٥) المرجع السابق ٣٨٩.

(٦) المصدر السابق ٣٩٧.

هذا العالم[1]، وأنها تنفع، وتستعان في المُلِمَّات[2]!

وأن التوسل في اللغة هو هذا، وأن دعاء المتوسل به للمتوسل؛ ليس مدلولًا لغويًا ولا شرعيًا للتوسل[3].

ثم ناقض نفسه، فقال: «والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال، بالمتبادر من التوسل في الشرع هو هذا، وذاك رغم تقول كل مفترٍ أفاك»[4].

واستدل على قلب تلك الحقائق، وإثبات تلك الخرافات القبورية، وتحريف الوسيلة، واللغة العربية؛ بل تحريف الكتاب والسنة، وتدليس تعامل الصحابة بالكتاب، والسنة، وتعامل الأمة، والتحاكم والفزع إلى المتكلّمين، والموضوعات، والمنامات، كما يلي:

أ - استدل بقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[5]، قائلًا: «والوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال؛ بل المتبادر من التوسل في الشرع هو هذا، وذاك رغم تقول كل مفترٍ أفاك، والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المؤدي إلى إنكار البعث... أما شمول الوسيلة في الآية المذكورة للتوسل بالأشخاص؛ فليس برأي مجرد،

(١) المصدر السابق ٣٨٢.
(٢) المصدر السابق ٣٨٥.
(٣) المصدر السابق ٣٨٧.
(٤) المصدر السابق نفسه.
(٥) المائدة: ٣٥.

ولا هو مأخوذ من العموم اللغوي فحسب؛ بل هو المأثور عن عمر...»[1].

وقال: «احتجاجًا على أن التوسل بالذوات والأعمال مطلوب شرعًا، لشمول ابتغاء الوسيلة لهذا وذاك، لا بمجر الرأي فقط، ولا بالعموم اللغوي فحسب...»[2].

ب ـ استدل بأحاديث صحيحة، وضعيفة، وموضوعة، وكلها حجة عليه.

فقال في صدد استدلاله بحديث عمر رضي الله عنه: «وقول عمر في الاستسقاء: (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا)، نص على توسل الصحابة بالصحابة، وفيه إنشاء التوسل بشخص العباس رضي الله عنه،... وقوله: (كنا نتوسل)... على أن قول الصحابي: (كنا نفعل كذا) ينصبُّ على ما قبل زمن القول، فيكون المعنى: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوسلون به ﷺ في حياته، وبعد لحوقه بالرفيق الأعلى إلى عام الرمادة، وقصر ذلك على ما قبل وفاته ﷺ؛ تقصير عن هوى، وتحريف لنص الحديث، وتأويل بدون دليل، ومن حاول إنكار التوسل بالأنبياء بعد موتهم بعدول عمر إلى العباس في الاستسقاء قد حاول المحال، ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال، فضلًا عن أن ينطق به، فلا يكون هذا إلا محاولة إبطال السنة الصحيحة بالرأي»[3].

وقال: «وأين التوسل من الدعاء، نعم قد يدعو المتوسل به

(١) مقالات الكوثري ٣٧٨ ـ ٣٨٩، ومثله ٣٨٦.
(٢) المصدر السابق ٣٨٦.
(٣) مقالات الكوثري ٣٨٠، ومثله ٣٨٨.

للمتوسل، لكن ليس هذا مدلولًا لغويًا ولا شرعيًا للتوسل...»[1].

وقال: «وفي كل ذلك طلب السقيا من الله بذات العباس وجاهه عند الله»[2].

كما استدل بحديث عثمان بن حنيف، وفيه قصة الضرير[3]، وحديث فاطمة بنت أسد: (بحق نبيك)، وحديث أبي سعيد: (بحق السائلين)، وقصة اليهود في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾[4]، وتوسل آدم بمحمد ﷺ، بمثل تلك التأويلات والخرافات[5]، وغيرها من الموضوعات.

كما ناقض نفسه في تصحيح هذه الموضوعات والضعاف، بالتحاكم إلى ابن حبان[6]، والحاكم، وقال: «فلا لوم على الحاكم في عَدِّه هذا الحديث [يعني توسل آدم بمحمد] إلا عند من يضيق صدره عند سماع فضائل المصطفى ﷺ»[7].

ت ـ كما استدل بالعمل المتوارث في الأمة، قائلًا: «وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتًا جرت الأمة طبقة فطبقة». ويقول: «هم محجوجون بالكتاب والسنة، والعمل المتوارث،

---

(١) المرجع السابق ٣٨٧.

(٢) المرجع السابق ٣٨٨.

(٣) المرجع السابق ٣٧٩، ٣٨٩ ـ ٣٩٠، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣.

(٤) البقرة: ٨٩.

(٥) مقالات الكوثري ٣٧٩، ٣٨٩ ـ ٣٩٠، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٣.

(٦) انظر: المقالات ٣٩١.

(٧) المقالات ٣٩٢، لعنة الله على الكاذبين.

والمعقول»[١]. وقول عمر: (نتوسل إليك بعم نبينا)، توسل الصحابة بالصحابة[٢].

ث ـ كما فزع في التحاكم إلى المتكلِّمين الغالين، قائلًا: «وأما من جهة المعقول؛ فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي، والعلامة سعد الدين التفتازاني، والعلامة السيد الشريف الجرجاني وغيرهم، من كبار أئمة أصول الدين، الذين يُفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة، قد صرَّحوا بجواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياءً وأمواتًا، وأي صفيق يستطيع أن يرميهم بعبادة القبور والدعوة إلى الإشراك بالله، وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر والتوحيد والإشراك والدين الخالص»[٣].

ح ـ كما لجأ إلى الرؤيا والمنامات، فاستدل برؤيا بلال بن الحارث[٤]، وبمنام الرازي[٥]، والفردوسي[٦]، الشاعر الفارسي، صاحب شاه نامه[٧]، حيث عمل بقول رستم[٨].

---

(١) المصدر السابق ٣٧٨.

(٢) المصدر السابق ٣٨٠.

(٣) المصدر المذكور ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٤) المصدر السابق ٣٨١، ٣٨٩.

(٥) انظر: المقالات ٣٨٢.

(٦) هو أبو القاسم حسن بن محمد الطوسي الفردوسي، صاحب شاه نامه، شاعر فارسي، جمع فيه ستين ألف بيت في ثلاثين سنة، آخرها سنة ٣٨٤هـ، وجعله تذكرة للسلطان محمود بن سبكتكين، انظر: كشف الظنون ٢/١٠٢٥ ـ ١٠٢٦، المنجد في الأعلام ٥٢٣.

(٧) انظر: المقالات ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٨) هو: رستم بن فرخ زاد، ملك الفرس، ونائب بوران بنت كسرى، ذلك

ح ـ محاولته إثبات التصرف لأرواح الأولياء بعد موتهم، وأنها هي المدبِّرات للعالم، وعلم الغيب لهم، وحياة الأنبياء في قبورهم، وسماع الموتى، مع جواز الاستعانة والاستغاثة بهم، ونداثهم وقت الكربات، وأن ذلك عقيدة الأمة وتعاملها من الصحابة فمن بعدهم! وهذه والله هي الطامَّات والبليَّات والرَّزِيَّات، وهذا هو المقصد الأهم لهذا الرجل، فقد صاح وباح ببعض خبايا زوايا عقيدته، والتوسل كان الستار لما تحت الأستار، وليس ذلك إلا محاولة إقامة دولة المشركين، عبدة القبور والأولياء، كما حاول إحياء دولة جهم، وابن أبي دؤاد.

فقال: «ولا بأس أن نزيد هاهنا كلمة في الاستغاثة والاستعانة، والكل من باب واحد، ففي حديث الشفاعة عند البخاري: (استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ)، وهذا يدل على جواز استعمال لفظ الاستغاثة في صدد التوسل»[1].

بل قال في صدد رؤيا بلال بن الحارث: «ومحل الاستشهاد: طلب الاستسقاء منه ﷺ، وهو في البرزخ، ودعائه لربه، وعلمه بسؤال من يسأله، ولم ينكر صنيعه هذا أحد من الصحابة»[2].

وقال في حديث عثمان بن حنيف: «وفيه التوسل بذات النبي ﷺ، وبجاهه، ونداء له في غيبته»[3].

وقال أيضًا: «وهذا توسُّل به، ونداء بعد وفاته ـ صلوات الله

= المجوسي، الذي فعل بالمسلمين الأفاعيل حتى هزمه الله بسعد بن أبي وقاص، انظر: البداية والنهاية ٧/ ٢٦ ـ ٢٧، ٤٤.

(١) المقالات ٣٩٥.

(٢) المقالات ٣٨٩.

(٣) المقالات ٣٨٩.

عليه ـ، وعمل متوارث بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ»[1].

ويستدل بشمول الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾[2]، لما بعد الموت، فيقول: «والأنبياء أحياء في قبورهم»، ويقول: «وتخصيص الآية بما قبل الموت تخصيص بدون حجة، وترك المطلق على إطلاقه مما اتفق عليه أهل الحق، والتقييد لا يكون إلا بحجة»[3].

كما يؤيِّد موقفه بإثبات سماع الموتى، فيقول: «وأما سماع أصحاب القبور وإدراكهم؛ فمن أوسع من سرد أدلة ذلك: المحدث عبد الحي اللكنوي، في تذكرة الراشد، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾[4]، ففي حق المشركين ـ عند المحققين ـ، وهناك تحقيق ذلك أيضًا، فلا تلتفت إلى مغالطات المغالطين»[5].

كما يستدل بقول الرازي، في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾[6]، إن الأرواح المدبِّرات أمرًا في أحوال العالم[7].

ويقول التفتازاني ـ ذلك المتكلم الخرافي ـ: «بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات جزئية، واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، سيما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور، والاستعانة

(١) المقالات ٣٩١.
(٢) النساء: ٦٤.
(٣) المقالات ٣٨٧.
(٤) فاطر: ٢٢.
(٥) المقالات ٣٩٧.
(٦) النازعات: ٥.
(٧) المقالات ٣٨٢.

بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات، واستدفاع المُلِمَّات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلُّقًا ما بالبدن والتربة التي دفن فيها، فإذا زار الحي تلك التربة وتوجهت نفسه تلقاء نفس الميت؛ حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات»[1].

واستدل بقول الجرجاني ـ المتكلِّم العظيم! ـ: «ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهده أصحاب البصائر»[2].

بل توسَّع في إدراك الأرواح، إلى حدٍّ يقول: «والفرق بين الحي والميت في ذلك [يعني: التوسل]، لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المؤدي إلى إنكار البعث، وعلى ادعاء انتفاء الإدراكات الجزئية من النفس، بعد مفارقتها البدن، المستلزم لإنكار الأدلة الشرعية في ذلك»[3].

ولا يخفى عليك ـ أيها القاري؛ طالب الحق ـ أيضًا ـ ما حاول إثباته في مقالة: (بناء المساجد على القبور، والصلاة إليها)[4]، «من جواز الصلاة جوار قبر ولي للتبرك، وإجابة الدعاء هناك، أو قصد الاستظهار، أو وصول الأثر، وإيقاد السُّرج على قبره تعظيمًا للروح، ليتبركوا به، ويدعوا عنده فيستجاب لهم، فهو أمر جائز لا منع فيه، والأعمال بالنيات»[5]!!

(١) المقالات ٣٨٥.
(٢) المقالات ٣٨٦.
(٣) المقالات ٣٧٨ ـ ٣٧٩.
(٤) انظر هذه المقالة في: المقالات ١٥٦ ـ ١٥٩.
(٥) انظر: مقالات الكوثري ١٥٧ ـ ١٥٨.

ومن طاماته في هذا الباب: أن قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: «في العبادة والهداية بقرينة السباق والسياق».

وتحريفه وطعنه في حديث: (وإذا استعنت فاستعن بالله)، فقال: «فبمعنى: عند استعانتك بأي مستعان فاستعن بالله، على لين في طرقه كلها»!

وطعنه في حديث: (لا يستغاث بي)[1].

هذا كان هو الكوثري، الذي يعد علماء الإسلام وكتبهم في عداد الوثنية، فقد رأيت أن الرجل على عكس ما يظن، فهو يدعو إلى الوثنية الخرقاء، ويمثل البريلوية[2] في بلاد الترك والعرب، كما أن البريلوية تمثل الوثنية في بلاد الهند.

---

(١) مقالات الكوثري ٣٩٦.

(٢) البريلوية: طائفة قبورية وثنية، تنسب إلى المفتي أحمد رضا خان البريلوي، نسبة إلى مدينة بريلي بالهند، كان عالمًا متبحرًا واسع الاطلاع، في الفروع حنفيًا حالكًا في التقليد والتعصب، كما كان كلاميًا ماتريديًا في الصفات، صوفيًا خرافيًا داعية إلى الشرك؛ بل إلى الوثنية والخرافات، قام بتكفير جميع علماء الديوبند وعلماء ندوة العلماء؛ بل كان يكفر من لا يكفرهم، وأما تكفيرهم لعلماء أهل الحديث فحدِّث ولا حرج، وكان معاصرًا للكوثري، والمنهج واحد، توفي سنة (١٣٤٠هـ)، والفرقة البريلوية هي التي تمثل الأكثرية في الهند وباكستان، ولا فرق بين البريلوية وبين القبورية في العالم كله إلا بالاسم، وإلا فكل منهم شركاء في منهج واحد، وعقيدة واحدة. انظر ترجمته في: نزهة الخواطر ٨/٤٢ ـ ٤٥، وقد كُتبت ضد عقائدهم كتب كثيرة، أهمها: البريلوية، للعلامة إحسان إلهي ظهير، ذلك الرجل السلفي، الخبير بالملل والنحل، وعلى الأسف أن الحكومة الباكستانية قد صادرت الكتاب بالظلم والعدوان، لأجل طنين هؤلاء الذبان.

الفصل الأول

في مفهوم التوسل لغة وشرعًا

الفصل الأول

في مفهوم التوسل لغة وشرعًا

أود أن أقدم إلى القارئ قبل قلع هذه الوساوس، وقمع هذه الهواجس، تمهيدًا به نتوصل إلى معاني الوسيلة والتوسل لغة وشرعًا، فلا يضيق القارئ ذرعًا، لكي يعرف حقيقة نسج هذا العنكبوت، وأنه ليس لخرافاته رائحة الثبوت، وأن الرجل عادته قلب الحقائق، بارتكاب مثل هذه المزالق.

أما لغة، فما يلي من معاني الوسيلة:

١ - **الوسيلة**: كل ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشيء، وما يُتقرَّبُ به إلى الغير[١].

٢ - **والوسيلة**: القربة[٢].

---

(١) لسان العرب ١١/ ٧٢٥، النهاية ٥/ ١٨٥، الكشاف ١/ ٦١٠، والمدارك، للنسفي ١/ ٢٨٢، تفسير أبي السعود ٣/ ٣٢، تفسير الرازي، الجزء الحادي عشر ٦/ ٢٢٦، وتفسير البيضاوي ١٤٨، الصحاح ٥/ ١٨٤١، ومختار الصحاح ٣٠٠، وتاج العروس ٨/ ١٥٤، وديوان الأدب، لإسحاق الفارابي (٣٥٠هـ)، ٣/ ٢٣٧، كتاب التسهيل، للكلبي ١/ ١٧٦، وغرائب القرآن، للنيسابوري ٦/ ٨٩، مجمع بحار الأنوار، للفتني (٩٨٦هـ)، ٥/ ٥٣، المخصص، لابن سيده ١٢/ ٢٢٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٤.

(٢) تفسير ابن جرير ٦/ ٢٢٦، لسان العرب ١١/ ٧٢٤، القاموس ١٣٧٩، وتاج العروس ٨/ ١٥٤، كتاب الأفعال، لأبي عثمان المعافري (بعد ٤٠٠هـ)، =

٣ ـ الوسيلة: الرغبة[١].

٤ ـ والوسيلة: الطلب[٢].

٥ ـ والوسيلة: الحاجة[٣].

٦ ـ والوسيلة: القربى[٤].

٧ ـ والوسيلة: الوصلة[٥].

٨ ـ والوسيلة: المنزلة عند الملك[٦].

٩ ـ والوسيلة: الدرجة[٧].

١٠ ـ والوسيلة: الذريعة، والسبب[٨].

٤/ ٢٦١، وكتاب الأفعال، لابن القطاع (٥١٥هـ)، ٣/ ٣١٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/ ١٥٩، والنكت والعيون ٢/ ٤٤١، للماوردي، وغريب القرآن، لليزيدي ١٣٠، وتفسير المشكل من غريب القرآن، للقيسي ٦٩، مجاز القرآن ١/ ١٦٤، بحر العلوم، للسمرقندي (٣٧٥هـ)، ٣/ ٧٣، بصائر ذوي التمييز ٥/ ٢١٧، ومعالم التنزيل ٣/ ١٢٠.

(١) انظر: مجمل اللغة ٣/ ٩٢٥، معجم مقاييس اللغة ٦/ ١١٠، لسان العرب ١١/ ٧٢٤، غرائب القرآن، للنيسابوري ٦/ ٨٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١١٠، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/ ١٥٩، روى ابن جرير عن السدي المسألة، انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٢٢٦.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٢٤، عن ابن الأنباري عن ابن عباس، مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١/ ١٦٥، الدر المنثور ٣/ ٧١.

(٤) لسان العرب ١١/ ٧٢٤، تهذيب اللغة ١٣/ ٦٨.

(٥) لسان العرب ١١/ ٧٢٤، تهذيب اللغة ١٣/ ٦٨.

(٦) القاموس ١٣٧٩، وتاج العروس ٨/ ١٥٤، بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي ٥/ ٢١٧.

(٧) القاموس ١٣٧٩، وتاج العروس ٨/ ١٥٤، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/ ١٥٩، بصائر ذوي التميز ٥/ ٢١٧، ومعالم التنزيل ٣/ ١٢٠.

(٨) الكامل للمبرد ٣/ ١٠٩٢، المخصص ١٢/ ٢٢٤، ذكر الذريعة فقط.

١١ ـ والوسيلة: وكيل الرجل[1]، والوكيل ينوب عن الرجل في الكلام والدفاع.

١٢ ـ الوسيلة: القربة التي ينبغي أن يطلب بها[2].

١٣ ـ الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها معنى الرغبة[3].

وهذان المعنيان قريبان من الأول.

١٤، ١٥ ـ المسألة، والمحبة[4].

وأما التوسل فمن معانيه:

١ ـ التقرب إلى الشيء بعمل أو سبب أو كتاب أو قرابة، توسل إليه، أي: تقرب إليه بسبب، وتوسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل[5]، قال: توسلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي: تقربت إليه[6].

---

(١) ديوان الأدب، لإسحاق الفارابي (٣٥٠هـ)، ٣/ ٢٣٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/ ١٥٩.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٢٣ ـ ٥٢٤، بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي ٥/ ٢١٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير، فالمعنى الأول: رواه عن السدي ٦/ ٢٢٦، والمعنى الثاني: رواه عن ابن وهب ٦/ ٢٢٧، وذكره ابن الجوزي عن ابن زيد، انظر: زاد المسير ٢/ ٣٤٨، كما ذكره الخازن، انظر: لباب التأويل ٢/ ٤٧.

(٥) ديوان الأدب، لإسحاق الفارابي ٣/ ٢٨٦، والمخصص، لابن سيده (٤٥٨هـ)، ١٢/ ٢٢٤، والصحاح ٥/ ١٨٤١، والقاموس ١٣٧٩، وتاج العروس ٨/ ١٥٤، لسان العرب ١١/ ٧٢٥، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٥٩، مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢١٠هـ)، ١/ ١٦٤، النهاية، لابن الأثير (٦٠٦هـ)، ٥/ ١٨٥، غرائب القرآن، للنيسابوري ٦/ ٨٩.

(٦) كتاب العين ٧/ ٢٩٨.

٢ ـ شفعت له: إذا كنت متوسلًا له[١]، فعلى هذا؛ التوسل بمعنى: الشفاعة للغير.

٣ ـ بمعنى السرقة: أخذ فلان إبل فلان توسلًا، أي: سرقة خفية[٢].

وأما شرعًا: فالتوسل إلى الله ﷻ لا يكون إلا بالتقرب إليه تعالى بالعمل الصالح، من اجتناب السيئات، وفعل الخيرات، فلا وسيلة إليه تعالى إلا بالعمل الصالح، والتوسل بأسماء الله تعالى وصفاته، وبدعاء الحي الحاضر يندرج في ذلك.

وإليك بعض نصوص أهل العلم في ذلك:

قال أبو عبيدة (٢١٠هـ): «واتخذوا ذلك بطاعته»[٣].

وقال إسحاق الفارابي (٣٥٠هـ): «وسَّل إلى ربه وسيلة: إذا عمل عملًا يتقرب به إليه»[٤].

وقال الفراهيدي (١٧٥هـ): «وسَّلت إلى ربي وسيلة أي: عملت عملًا أتقرب به إليه»[٥].

وبهذا النص قال الأزهري (٣٧٠هـ)[٦].

---

(١) جمهرة اللغة، لابن دريد (٣٢١هـ)، ٢/ ٣٠٨.

(٢) كتاب الجيم، لأبي عمرو الشيباني (٢٢٠هـ)، ٣/ ٣٠٤، معجم مقاييس اللغة ٦/ ١١٠، الصحاح ٥/ ١٨٤١، لسان العرب ١١/ ٧٢٥، القاموس ١٣٧٩، تاج العروس ٨/ ١٥٤، مفردات الراغب ٥٢٤.

(٣) مجاز القرآن ١/ ١٦٤.

(٤) ديوان الأدب ٣/ ٢٧٥.

(٥) كتاب العين ٧/ ٢٩٨.

(٦) انظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٦٧.

وقال الجوهري (٣٩٨هـ): «وسَّل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه وسيلة: أي تقرب إليه بعمل»[١].

وقال أبو عثمان المعافري (بعد: ٤٠٠هـ): «وسَّل إلى ربه وسلًا: تقرب»[٢].

وقال ابن سيده (٤٥٨هـ): «توسل إلى الله تعالى بعمل: تقرب»[٣].

وقال ابن القطاع: «وسل إلى ربه وسلًا: رغب»[٤].

وقال الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ): «وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرِّي مكارم الشريعة، كالقربة»[٥].

وبنصه قال الفيروزآبادي (٨١٧هـ)[٦].

وقال الزمخشري الحنفي (٥٣٨هـ): «توسَّلت إلى الله بالعمل: تقرَّبت»[٧].

وقال ابن منظور (٧١١هـ): «وسَّل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملًا تقرب إليه، وتوسَّل إليه بكذا: إذا تقرَّب إليه بعمل»[٨].

(١) الصحاح ٥/١٨٤١، مختار الصحاح ٣٠٠.
(٢) كتاب الأفعال ٤/٢٦١.
(٣) المخصص٢١/٢٢٤.
(٤) كتاب الأفعال ٣/٣١٣.
(٥) مفردات في غريب القرآن ٥٢٤.
(٦) بصائر ذوي التميز ٥/٢١٧.
(٧) أساس البلاغة ٤٩٩.
(٨) لسان العرب ١١/٧٢٤.

وقال الفيروزآبادي (٨١٧هـ): «وسَّل إلى الله توسيلًا: عمل عملًا تقرب به إليه، كتوسل»[1].

وبنصه قال الزبيدي[2].

هذه هي معاني الوسيلة والتوسل لغة وشرعًا، فأين فيها التوسل بذات الشيء؟ بل التوسل بالشخص قريب من معنى الشفاعة.

والوسيلة كما علمت لغة: ما يُتوصَّلُ به إلى الشيء، وما يُتقرَّب به إليه، والوسيلة: القربة والرغبة والمحبة، والتوسل: التقرب إلى الشيء بشيء.

والآن ننظر في الشريعة الإسلامية ما هو ذلك الشيء الذي يتقرَّبُ العبد به إلى الله تعالى، وما هو ذلك الشيء الذي يكون وسيلة إلى الله ﷻ وقربة ورغبة إليه، وبأي شيء تحصل محبة الله تعالى.

ألا وهو الأعمال الصالحة ليس إلا، فالتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أيضًا داخل في التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، لأن ذلك تضرع إلى الله بأسمائه وصفاته، وهو عبادة وعمل صالح.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ

(١) القاموس ١٣٧٩.
(٢) تاج العروس ٨/ ١٥٤.
(٣) سبأ: ٣٧.

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]، والجزاء مرتب بالعمل؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وقال تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾[5].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾[6].

وقال تعالى: ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾[7].

وقال تعالى: ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾[8].

وقال تعالى: ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[9].

---

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) المائدة: ١٠٥، الأعراف: ٤٣، التوبة: ٩٤، ١٠٥، يونس: ٢٣، النحل: ٣٢، العنكبوت: ٨، لقمان: ١٥، السجدة: ١٤، الزمر: ٧، الزخرف: ٧٢، الطور: ١٩، الجمعة: ٨، المرسلات: ٤٣.

(٣) النمل: ٩٠، العنكبوت: ٥٥، يس: ٥٤، الصافات: ٣٩، الجاثية: ٢٨، الطور: ١٦، التحريم: ٧.

(٤) الأنعام: ١٠٨، ١٢٧، السجدة: ١٧، ١٩، فصلت: ٢٠، الأحقاف: ١٤، الواقعة: ٢٤.

(٥) الأعراف: ١٤٧، ١٨٠، التوبة: ١٢١، النحل: ٩٦، ٩٧، القصص: ٨٤، سبأ: ٣٣، المجادلة: ١٥، المنافقون: ٢.

(٦) العنكبوت: ٧، الزمر: ٣٥، فصلت: ٢٧.

(٧) النور: ٦٤، لقمان: ٢٣، سبأ: ٣٧، فصلت: ٥٠، النجم: ٣١، المجادلة: ٦، ٧.

(٨) النور: ٣٨، الأحقاف: ١٦.

(٩) الجاثية: ٣٣، النحل: ٣٤.

وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلُوا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿مَا عَمِلُوا﴾[5].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي عَمِلُوا﴾[6].

وقال تعالى: ﴿عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾[8].

وقال تعالى: ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾[9].

---

(١) الأحقاف: ١٩، الأنعام: ١٣٢.

(٢) البقرة: ٢٥، ٨٢، ٢٧٧، آل عمران: ٥٧، النساء: ٥٧، ١٢٢، ١٧٣، المائدة: ٩، ٩٣، ٩٣، الأعراف: ٤٢، يونس: ٤، ٩، هود: ٢٣، الرعد: ٢٩، إبراهيم: ٢٣، الكهف: ٣٠: ١٠٧، مريم: ٩٦، الحج: ١٤، ٢٣، ٥٠، ٥٦، الشعراء: ٢٢٧، العنكبوت: ٧، ٩، ٥٨، الروم: ١٥، ٤٥، لقمان: ٨، السجدة: ١٩، سبأ: ٤، فاطر: ٧، ص: ٢٤، غافر: ٥٨، فصلت: ٨، الشورى: ٢٢، ٢٣، ٢٦، الجاثية: ٢١، ٣٠، محمد: ٢، ٢١، الفتح: ٢٩، الطلاق: ١١، الانشقاق: ٢٥، البروج: ١١، التين: ٦، البينة: ٧، العصر: ٣.

(٣) هود: ١١.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) الكهف: ٤٩، الفرقان: ٢٣.

(٦) الروم: ٤١.

(٧) القصص: ٨٤.

(٨) الزُّمَر: ٣٥.

(٩) الجاثية: ٢١.

وأما الأحاديث؛ فهي في الباب كثيرة جدًّا.

فأنت ترى أن العبرة بالعمل، وأن القرب من الله تعالى والرغبة إليه والمحبة له لا يحصل إلا بالعمل الصالح، الذي يكون بالإخلاص التام، وفي ضوء السنة النبوية الطاهرة، وليس هناك أي سبيل ولا طريق في الوصول إليه تعالى إلا هذا.

نتيجة ما سبق:

وبعد هذه الحجج الواضحة القاطعة الدامغة، كيف يتفوَّه كل بهَّات أفَّاك حالك، ودجَّال كذَّاب هالك، أن يقول: «الوسيلة بعمومها تشمل التوسل بالأشخاص، والتوسل بالأعمال؛ بل المتبادر من التوسل في الشرع هو هذا وذاك، رغم تقوُّل كل مفتر أفاك»[1]؟!

وكيف يستطيع أن يقول بشمول الوسيلة لغة هذا وذاك[2].

وكيف ينكر الحقائق بقوله: «إن دعاء المتوسَّل به للمتوسِّل ليس مدلولًا لغويًا ولا شرعيًا للتوسل»؟[3]

وأين في اللغة والشرع ما يتقوَّل هذا المتقول الخرافي الجافي؟

كما تبين بهذا؛ من هو المفتري الأفاك، الشاهد على الله وعلى رسوله والصحابة والتابعين واللغة العربية وأهلها والشريعة الإسلامية كذبًا وزورًا.

---

(١) كما يقوله هذا الرجل في مقالاته ٣٧٨.

(٢) كما يصرح به هذا الأستاذ، انظر: مقالاته ٣٧٩، ٣٨٦.

(٣) كما يدعي هذا الإمام المحقق، المدقق، الأصولي، الأديب، الشاهد على الله ورسوله وأصحابه وأهل اللغة كذبًا وزورًا، ويتغافل عن اللغة وأهلها، انظر: مقالاته ٣٨٧.

وهذه لغة العرب بين يديك، فأين فيها تقسيم التوسل إلى التوسل بدعاء الشخص، وإلى التوسل بذات الشخص؟

وهذه شريعة الإسلام أمامك، فأين فيها هذا التقسيم الجائر الأثيم؟ إذًا فهي قسمة ضيزى.

بل أتحدى[1] الأستاذ المحقق، الإمام المدقق الهمام، أن يذكر لنا مثالًا للتوسل بذات الشخص في جاهلية العرب، فضلًا عن عهد الإسلام.

أما أهل الجاهلية:

فلم يكن المشركون العرب في الجاهلية يعرفون من التوسل إلا التوسل بالدعاء، وهم كانوا فصحاء بلغاء، أهل اللسان، ولكن ضلوا في عدم الفرق بين التوسل بدعاء الحي الحاضر، وبين الغائب والميت، فهذا أبو سفيان في حالة شركه لما نزل ما نزل بأهل مكة حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف؛ جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: (يا محمد: إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا؛ فادع الله لهم)[2]. وهذا سراقة بن مالك، لما ساخ فرسه في الأرض، قال لرسول الله ﷺ: (ادع الله لي)، وفي رواية: قال لرسول الله ﷺ ولأبي بكر: (فادعوا لي). والقصة معروفة في قصة الهجرة[3].

---

(١) سبقني إلى هذا التحدي: العلامة الألوسي المفسر الحنفي، مفتي الحنفية ببغداد، فقال: «ومن ادعى النص فعليه البيان»، روح المعاني ٦/١٢٦، وهكذا يكون التحدي، ليلقم الحجر في أفواه أصحاب التعدي.

(٢) أخرجه البخاري ١/٣٤٢، كما أخرجه في باب (إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط)، ١/٣٤٦، و٤/١٧٩٢، والترمذي ٥/ ٣٨٠.

(٣) راجع صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٤، ١٤٢٢، ٥/ ٢١٢٧، ومسلم ٤/ ٢٣١٠ - ٢٣١١، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وإنما ضل أهل الجاهلية بتوسلهم بدعاء الميت وشفاعته، وهذا كان أصل شركهم، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

وقال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[2]، فلم يفرِّقوا بين الحي الحاضر، والغائب والميت، ولكن الأستاذ المحقق، المدقق، الطاعن، اللاعن، الساب، الشاتم، المفتري، قد أخذ أسوأ ما عند مشركي العرب من التوسل بالغائب والميت، وجواز النداء للميت، والاستعانة به، والاستغاثة به.

فالآن تبيَّن للمسلمين من هو الذي يأخذ أسوأ ما عند الكفار![3] ومن هو صاحب العقيدة الوثنية الخرقاء![4] ومن هم الوثنيون![5] ومن هم الدعاة إلى الوثنية![6] ومن عنده دسائس الوثنية![7] والجاهلية الجهلاء![8] وصرائح الكفر![9] والكفر

(١) يونس: ١٨.
(٢) الزُّمَر: ٣.
(٣) كما يقول الأستاذ في حق أهل الحديث والسنة، ولا سيما الإمام ابن تيمية شيخ الإسلام: «فإنه لا يتحاشى أن يأخذ أسوأ ما عند اليهود»! مقدمة الكوثري لكتاب البراهين الساطعة، للشيخ سلامة القضاعي، ذلك الصوفي الخرافي ص: ١٠، وارجع لتفصيل سبابه وشتائمه ونبزه باليهودية والنصرانية والوثنية إلى ص: ٩٥ ـ ٩٦، ١٠٢، ٣٣٧ ـ ٣٣٨، ٥٠٢، من هذه الرسالة.
(٤) انظر: المقالات ٣٠١، ٣٢٧.
(٥) المقالات ٣٣٢.
(٦) المقالات ٣٠١.
(٧) المقالات ٣٠١.
(٨) المقالات ٣٠١.
(٩) المقالات ٣٠٩.

المكشوف![1] ومن هو عابد وثن حقًّا![2] ومن هو الذي أخذ الاعتقاد من جيرانه عباد البقر![3] ومن ذا الذي مصدر خرافاته أساطير اليونانيين الأقدمين![4] ومن هو مؤلف كتاب الشرك![5]

وعلم القارئ الكريم؛ أن مشركي الجاهلية لم يفرِّقوا في باب التوسل بين الحي الحاضر، وبين الغائب والميت، وأن الكوثرية والقبورية الثرثرية تبعوهم في ذلك، حذو النعل بالنعل، واستمع إلى ما يقوله الكوثري: «والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المودي إلى إنكار البعث»[6].

كما يرى هذا الأستاذ المحقق المدقق الإمام... أن أرواح الأولياء هي المدبرات في أحوال هذا العالم[7].

كما يُجوز النداء لرسول الله ﷺ في غيبته، وبعد وفاته، ويرى أن هذا عمل متوارث بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ[8].

ويرى أن النبي ﷺ يعلم بسؤال من يسأله، وهو في البرزخ[9].

هذا هو توسل الكوثري، ذلك الأستاذ الإمام المحقق المدقق،

---

(١) المقالات ٣٠٣، ٣٢٠.
(٢) المقالات ٣٠٢.
(٣) المقالات ٣٠٢.
(٤) المقالات ٣١٠.
(٥) المقالات ٣٣٣.
(٦) المقالات ٣٧٨ ـ ٣٧٩.
(٧) المقالات ٣٨٢.
(٨) المقالات ٣٨٩ ـ ٣٩١.
(٩) المقالات ٣٨٩.

الذي يستدل عليه لغة وشرعًا، وتعاملًا، كذبًا وزورًا، وتكلفًا وتحاملًا، وليس هذا من التوسل في الإسلام على لغة القرآن والحديث، لا في القديم ولا في الحديث[(١)].

بل هذا في الحقيقة هو أصل توسُّل المشركين العرب وغيرهم في الجاهلية، كما أقر به إمام الأستاذ في علم الكلام، والذي يتحاكم إليه الكوثري، ويفزع إليه في العقيدة[(٢)]، ألا وهو الفخر الرازي، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٣)]: «ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله، ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله»[(٤)].

كما أقر بذلك الإمام الشاه ولي الله، ذلك الزعيم الحنفي، ورئيس الحنفية في الهند، فيقول: «ومنهم [أي: المرضى بمرض الشرك] من اعتقد أن الله هو السيد وهو المدبر، لكنه قد يخلع

(١) عجبًا للكوثري، يحتج ضد شيخ الإسلام في مسألة الطلاق، قائلًا: «إن لغة القرآن كذا، ولغة الحديث كذا..»، انظر: المقالات ٢٧٧، ولكنه استغرق في الخرافات القبورية، فتناسى لغة القرآن والحديث، ولغة العرب، في جاهلية وإسلام، واصطلاح الصحابة في التوسل!

(٢) انظر: مقالات الكوثري ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٣) يونس: ١٨.

(٤) مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير ١٧/ ٦٣، المجلد التاسع.

على بعض عبيده لباس الشرف والتأله، ويجعله متصرِّفًا في بعض الأمور الخاصة، ويقبل شفاعته في عباده، بمنزلة ملك الملوك، يبعث على كل قطر ملكًا، ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الأمور العظام، فيتلجلج لسانه أن يسميهم عباد الله، فيسويهم وغيرهم، فعدل عن ذلك إلى تسميتهم أبناء الله ومحبوبي الله، وسمى نفسه عبدًا لأولئك، كبعد المسيح وعبد العزى، وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين، وبعض الغلاة من منافقي دين محمد ﷺ يومنا هذا»[1].

وقال رحمه الله أيضًا: «ولم يكن المشركون [أي: مشركي الجاهلية من العرب] يشركون أحدًا في خلق الجواهر وتدبير الأمور العظام، ولا يثبتون لأحد قدرة على الممانعة إذا أبرم الله ﷻ أمرًا، وإنما كان إشراكهم في الأمور الخاصة ببعض العبادة، وكانوا يظنون أن الملِك على الإطلاق ـ جل مجده ـ شرَّف بعض العباد بخلعة الألوهية، ويؤثر رضاهم وسخطهم على سائر العباد، كما أن ملكًا من الملوك عظيم القدر يرسل عبيده المخصوصين إلى نواحي المملكة، ويجعلهم متصرِّفين في الأمور الجزئية، ويفوِّض إليهم أمور سائر العباد، ويقبل شفاعتهم في أمور من يخدمهم، ويتوسل بهم، فيقولون بوجوب شفاعتهم للمتقربين بهم في مجاري الأمور، وكانوا يجوِّزون بملاحظة هذه الأمور أن يسجد لهم، ويذبح لهم، يحلف بهم، ويستعان بهم في الأمور الضرورية بقدرة: كن، فيكون»[2].

(١) حجة الله البالغة ١/ ٦١.
(٢) الفوز الكبير ٥ ـ ٦.

ثم قال رحمه الله: «وإن كنت متوقِّفًا في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم؛ فانظر إلى حال العوام والجهلة من أهل الزمان. . .»[1]، إلى آخر كلامه الطيب رحمه الله رحمة واسعة.

وأما التوسل عند العرب في عهد الإسلام:

فواضح من تعاملهم، فكانوا إذا نابهم أمر أتوا النبي ﷺ وطلبوا منه الدعاء لهم، والشفاعة لهم عند الله، وليس من صنيعهم أن يجلسوا في بيوتهم، ويقولوا: اللهم بوسيلة فلان، أو بحرمة فلان. أو يعتقدوا أن رسول الله ﷺ يشفع للسائل في قبره، أو يعلم بسؤال السائل، فضلًا عن يستغيثوا بالأموات، أو يستعينوا بهم، سبحان الله! هذا بهتان عظيم، واجتراء أثيم.

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

١ ـ يذكر أنس رضي الله عنه أن رجلًا. . . قال: يا رسول؛ هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: (اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا). ثم دخل رجل. . . في الجمعة المقبلة، . . . فقال: يا رسول الله؛ هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يُمسكها، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: (اللهم حوالينا، ولا علينا. .)[2].

٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: شكى الناس إلى رسول الله ﷺ قحط المطر. . ثم ذكرت الحديث بطوله، وفيه ذكر دعاء النبي ﷺ

---

(١) الفوز الكبير ٦.

(٢) رواه البخاري ١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤، ١/ ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣/ ١٣١٣، ٥/ ٢٢٦١، ٢٣٣٥، ومسلم ٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣.

لهم، والتضرع إلى الله ﷻ[(١)].

٣ ـ وفي حديث كعب بن مرة: جاء رجل فقال: يا رسول الله؛ استسق الله، فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: (اللهم اسقنا غيثًا...)[(٢)].

٤ ـ وفي حديث ابن عباس، في قصة رجل جاء إلى النبي ﷺ فقال: لقد جئت من قوم ما يتزود لهم راع، ولا يخطر لهم فحل، فصعد المنبر، فحمد الله، ثم قال: (اللهم اسقنا غيثًا)، الحديث[(٣)].

٥، ٦ ـ وحديثا استسقاء عمر بالعباس ﷺ، واستشفاع ذلك الضرير برسول الله ﷺ من هذا الباب.

---

(١) رواه أبو داود ١/ ٦٩٢ ـ ٦٩٣، وقال: «حديث غريب، إسناده جيد». وأقره المنذري، انظر: مختصر المنذري ٢/ ٣٨، ورواه ابن حبان، انظر: الإحسان ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨، والطحاوي في معاني الآثار ١/ ٣٢٥، ـ ومنزلة الطحاوي وقيمة كتابه لا تسألوا عنهما أحدًا إلا الكوثري، راجع: الحاوي في سيرة الطحاوي ـ. والحاكم في المستدرك ١/ ٣٢٨، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٩، وقال الحافظ: «وصححه أيضًا أبو علي بن السكن»، التلخيص الحبير ٢/ ٩٦، وقال شيخنا الألباني: «وصححه جمع»، وأقر كلمة أبي داوود، حاشية التوسل ٥٥، كما حسنه، انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/ ٢٧٤، وحسن إسناده، انظر: حاشية المشكاة ١/ ٤٧٧، حاشية الكلم الطيب ٩٦، والإرواء ٣/ ١٣٦.

(٢) رواه ابن ماجه ١/ ٤٠٤، ورواه أحمد ٤/ ٢٣٥، في سياق دعاء النبي ﷺ على مضر، وقال البوصيري: «رواه عبد بن حميد في مسنده»، مصباح الزجاجة ١/ ٤١٧.

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ٤٠٥، قال البوصيري: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، مصباح الزجاجة ١/ ٤١٨، وقال الشوكاني: «رجاله ثقات، وسكت عنه الحافظ في التلخيص»، نيل الأوطار ٤/ ٣٥.

٧ ـ وحديث ابن عباس، في قصة المرأة التي أتت النبي ﷺ فقالت: (إني أصرع، وإني أكتشف، فادع الله لي،... فدعا لها)[١].

٨ ـ كما توسل معاوية بيزيد بن الأسود، وفيه: (أن السماء قحطت، فخرج معاوية وأهل دمشق يستغيثون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد؟ فناداه الناس، فأقبل، فقال معاوية: اللهم إنا نشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا،... يا يزيد؛ ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم...)[٢].

٩ ـ وكما توسل الضحاك بن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي، فقال له: (قم يا بكَّاء، فقال يزيد: إي رب؛ إن عبادك قد تقربوا بي إليك؛ فاسقهم)[٣].

هذا كان التوسل في شريعة الإسلام، وفي اصطلاح الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ولغتهم الفصيحة، التي كانت خالصة عن تلك الشوائب الخرافية، واصطلاحات القبورية، فهي غير حجة على اصطلاح الصحابة ولغتهم، كما أقر به الكوثري[٤]، فلو تركنا اصطلاح

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٢١٤٠، ومسلم ٤/ ١٩٩٤.

(٢) قال شيخنا الألباني: «رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ١٨/ ١٥٥/ ١، بسند صحيح، عن التابعي الجليل: سليم بن عامر الخبائري»، التوسل ٤٢.
قلت: ورواه يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ) في كتاب: المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٨١، وأبو زرعة الدمشقي (٢٨١هـ) في تاريخه ١/ ٦٠٢، وصحح الحافظ إسناده، الإصابة ٦/ ٦٩٨، وارجع إلى التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ٦٧، ١٣٧.

(٣) رواه يعقوب الفسوي، كتاب المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٨١، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١/ ٦٠٢.

(٤) قال الكوثري: «ما ورد في السنة قبل أن يدخلها الدخيل بعد القرون =

الصحابة ولغتهم وفتحنا الباب لتفسير كتاب الله وسنة رسوله حسب فهم كل أحد واصطلاحه ـ كما فتح الباب ذلك الأستاذ، بحجة أن التوسل اللغوي والشرعي يشمل القسمين، التوسل بالأعمال وبالذوات ـ فلا لوم على الباطنية في تفسيرهم للصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها بمعان على اصطلاحهم، ولجاء من شاء تغيير ما شاء بما شاء، وليس هذا إلا إلحاد وضلال وتحريف وانحلال، وإذا كان الكوثري يحتج بالتعامل[1] فتعامل الصحابة ـ وهم صفوة الخلق بعد الأنبياء ـ أولى بالقبول والاحتجاج، وأحرى وأجدر أن يُلجأ إليه عند اللجاج.

= الفاضلة،.. ما في كتاب الله وسنة رسوله من المعاني السامية، والمرامي البعيدة، قبل أن تحدث في اللغة أطوارًا تبعدها عن المعاني التي كانت تفهم منها التخاطب بها في عهد نزول الوحي». التأنيب ٥، وقال: «وأين التجليّات التي اصطلح عليها الاتحادية من تخاطب العرب، ومن تفاهم السلف والخلف بهذا اللسان العربي المبين؟ حتى يكون حمل النصوص والآثار على التجليّات المصطلح عليها فيما بعد عهد التنزيل بدهور استعمالًا لها في حقائقها، ومن زعم ذلك فقد زاغ عن منهج الكتاب والسنة، وتنكب سبيل السلف الصالح ومسلك أئمة أصول الدين، ونابذ لغة التخاطب». إلى آخر كلامه الطيب المفيد، الذي يقضي على خرافات الكوثري نفسه في توحيد الألوهية؛ بل توحيد الصفات؛ بل على المتكلمين كلهم. انظر كلامه في تعليقه على كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي ٤٥٥، فأقول: حمل التوسل على الاصطلاح الحادث منابذة للغة العرب، والكتاب، والسنة، والسلف الصالحين، من الصحابة والتابعين. والمرء يؤخذ بإقراره.

(١) والكوثري يكرر التعامل مرارًا يصر به، انظر: المقالات ٣٧٩، ٣٩١، ١٥٦، ١٥٧، ولكن في الحقيقة لا يعتبر تعامل الصحابة شيئًا؛ بل يعتمد على تعامل أهل البدع والخرافة وسلاطين الجور.

الفصل الثاني

في الجواب عن تشبثه بآية الوسيلة، وبعض الأحاديث، في إثبات توسله المبتدع الشركي

كلمة تمهيدية

فإذا عرفتَ أيها القارئ الكريم معنى التوسل والوسيلة لغة وشرعًا، وعرفتَ اصطلاح الصحابة ولغتهم؛ بل اصطلاح العرب قاطبة، ولغتهم في الجاهلية والإسلام، والوسيلة والتوسل فيهما معنى الشفاعة، والطلب، والرغبة، والقربة، والتقرب، وأنه لا وسيلة إلى الله ﷻ إلا بالعمل الصالح، وأن من فسَّر الوسيلة والتوسل بالتوسل بالذوات والأشخاص، ويجوّز تحت ستار التوسل الاستغاثة والاستعانة بالأموات، وأن الأرواح مدبرات في العالم حاضرة، وأن الميت في البرزخ يشفع للسائل، ويعلم بسؤاله؛ فهو شاهد زور على الله ﷻ، وأنبيائه ورسله ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، والصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، والعرب قاطبة في جاهلية وإسلام، ولغتهم الصحيحة الفصيحة، ومحرف تحريف اليهود الحيارى، ومخرف تخريف الضُّلَّال النصارى؛ بل هو الداعي إلى الوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء.

ننتقل إلى الكلام حول دسائس هذا الرجل، ووساوسه حول آية الوسيلة، وبعض الأحاديث الشريفة، فأقول وبالله أصول:

أ ـ أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1]، وأن التوسل في الشرع بالأعمال والأشخاص، رغم تقول كل مفترٍ أفاك[2].

فأقول: إن هذا تحريف للآية، وخروج على إجماع الأمة المحمدية، ومناقضة الصحابة والتابعين، والفقهاء والمحدِّثين والمفسرين؛ بل خروج عن لغة العرب الفصيحة الصحيحة قاطبة في جاهلية وإسلام، كما ذكرنا في التمهيد، كما هو خروج على اصطلاح القرآن والسنة، ولغة الصحابة والتابعين.

قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك هؤلاء بدينهم)[4].

فهل من المعقول في عقول الكوثرية أن هؤلاء الجن المعبودين الأولياء؛ كانوا يتوسلون بذوات أشخاص آخرين؟ تبًّا لتلك العقول[5]، حيث تقول بذلك المعقول، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، ولذلك أجمع المفسرون على أن المراد من الوسيلة: الأعمال الصالحة؛ من ترك المنهيات، وفعل الطاعات.

وإليك بعض نصوصهم في ذلك، لتعلم غيّ هذا المفتري

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) المقالات ٣٧٨.

(٣) الإسراء: ٥٧.

(٤) رواه البخاري ٤/١٧٤٧، ١٧٤٨، ومسلم ٤/٢٣٢١.

(٥) تبًّا لهاتيك العقول   فإنها والله قد مسخت على الأبدان.
القصيدة النونية.

الحالك الهالك[1].

١ ـ **قال ابن جرير (٣١٠هـ)**: «واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»، ثم روى عن عطاء ومجاهد والحسن وعبد الله بن كثير: أن الوسيلة: القربة، كما روى عن السدي: أن الوسيلة: هي المسألة والقربة، وروى عن أبي وائل: أن الوسيلة: القربة في الأعمال، كما روى عن قتادة: «أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه»[2].

٢ ـ **وقال أبو الليث السمرقندي الحنفي (٣٧٥هـ)**: «أي: اطلبوا القرابة والفضيلة بالأعمال الصالحة»[3].

٣ ـ **وقال البغوي (٥١٦هـ)**: «أي: يفزعون إلى الله في طلب الدرجة العليا، وقال الزجاج: . . . يتقرب إليه بالعمل الصالح»[4].

٤ ـ **وقال أبو عبيدة (٢١٠هـ)**: «واتخذوا ذلك بطاعته»[5].

٥ ـ **وقال الزمخشري (٥٣٨هـ)**: «الوسيلة: كل ما يتوسل به، أي: يتقرب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله، من فعل الطاعات، وترك المعاصي»[6].

---

(١) والله ما بعد البيان لمنصف إلا العناد ومركب الخذلان.
القصيدة النونية ١٢٥.
أفبعد ذا الإنصاف ويحكم سوى محض العناد ونخوة الشيطان.
القصيدة النونية ١٠٢.

(٢) تفسير ابن جرير ٦/ ٢٢٦.

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي ٣/ ٧٣.

(٤) معالم التنزيل ٣/ ١٢٠.

(٥) مجاز القرآن ١/ ١٦٤.

(٦) الكشاف ١/ ٦١٠، ونقله النسفي وأقره، انظر: تفسير النسفي مدارك التنزيل ١/ ٢٨٢.

٦ ـ **وقال ابن الجوزي**: «في الوسيلة قولان: أحدهما أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء، وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه، . . . والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله، وهذا قول ابن زيد»[١].

٧ ـ وقال إمام الكوثري، الذي يتحاكم إليه ويفزع إليه في أصول الدين والديانة، على إقرار الكوثري[٢]، ألا وهو الفخر الرازي (٦٠٦هـ)، ذلك المتكلم الفيلسوف: «فكان المراد طلب الوسيلة إليه في تحصيل مرضاته، وذلك بالعبادات والطاعات»[٣].

٨ ـ **وقال القرطبي (٦٧١هـ)**: «الأصل الطلب، والوسيلة القربة، ثم حكى عن أبي وائل والحسن وقتادة وعطاء والسدي وابن زيد وابن كثير: أنها القربة»[٤]. قلت: يعنون به القربة إلى الله بما يرضيه، كما صرح به قتادة.

٩ ـ وقال الذي يحتج به الكوثري[٥]، ألا وهو النظام الحسن القمي النيسابوري (٧٢٨هـ)، وقيل: بعد (٨٥٠هـ)، المتكلم الكبير، المعروف بالأعرج: «ثم إنه سبحانه لمَّا بيَّن كمال جسارة اليهود على المعاصي، وغاية بعدهم عن الوسائل إلى الله، . . . عاد إلى إرشاد

---

(١) زاد المسير ٢/٣٤٨.

(٢) انظر: المقالات، كما قال الكوثري: «فإن أمثال الإمام فخر الدين الرازي و. . . التفتازاني و. . . الجرجاني وغيرهم من كبار أئمة أصول الدين، يُفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة». المقالات ٣٨١ ـ ٣٨٢.

(٣) مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير ١١/٢٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٥٩.

(٥) انظر: مقالات الكوثري ١٥٩.

المؤمنين، ليكونوا بالضد منهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[1]، وأيضًا، فإنهم قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[2] أي: نحن أبناء الأنبياء، وكان افتخارهم بأعمال آبائهم، فقيل للمؤمنين: لتكن مفاخركم بأعمالكم، لا بأسلافكم، فقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: إشارة إلى ترك المنهيَّات، وقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: عبارة عن فعل المأمورات»، ثم قال: «فعلمنا أن المراد بالوسائل هي: العبادات والطاعات»[3].

١٠ ـ **وقال البيضاوي (٦٨٥هـ)**: «﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه، من فعل الطاعات، وترك المعاصي»[4].

١١ ـ **وقال أبو حيان الأندلسي (٦٨٥هـ)**، ذلك المتكلم النحوي، عدو لدود لشيخ الإسلام: «لما ذكر جزاء من حارب الله، . . . أمر المؤمنين بتقوى الله، وابتغاء القربات إليه، فإن ذلك هو المنجي من المحاربة والعقاب. . .»[5].

١٢ ـ وأقره تلميذه تاج الدين، النحوي الحنفي المفسر[6].

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) المائدة: ١٨.

(٣) غرائب القرآن ٦/ ٨٩. فليتدبر الكوثرية في كلام هذا المتكلم، الذي يحتج الكوثري بكلامه.

(٤) أنوار التنزيل، المعروف بتفسير البيضاوي ١٤٨، والرجل من كبار المتكلمين.

(٥) البحر المحيط ٣/ ٤٧٢.

(٦) انظر: الدر اللقيط من البحر المحيط ٣/ ٤٧١.

١٣ ـ وقال حافظ الدين، أبو البركات عبد الله النسفي (٧١٠هـ)، مؤلف: كنز الدقائق، والمنار، وعمدة العقائد، الحنفي الماتريدي: «الوسيلة: هي كل ما يُتَوَسَّلُ به، أي: يُتقرَّب من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك، فاستُعيرت لما يُتوسَّل به إلى الله من فعل الطاعات، وترك السيئات»[(١)].

١٤ ـ وقال علاء الدين علي بن محمد البغدادي (٧٢٥هـ)، المعروف بالخازن: «يعني: واطلبوا إليه القرب بطاعته، والعمل بما يرضيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن مجامع التكاليف محصورة في نوعين، لا ثالث لهما، أحدهما: ترك المنهيات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، والثاني: التقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾»، ثم قال: «وقيل: معنى الوسيلة: المحبة، أي: تحبَّبوا إلى الله عز وجل»[(٢)].

١٥ ـ وقال الإمام الحافظ ابن كثير، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الذهبي: «قال سفيان الثوري: عن طلحة، عن عطاء، عن ابن عباس: أي: القربة. وكذا قال مجاهد، وأبو وائل، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسدي، وابن زيد وغيرهم، وقال قتادة: أي: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه. وقرأ ابن زيد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[(٣)]، وهذا

(١) مدارك التنزيل، المعروف بتفسير النسفي ١/ ٢٨٢، وهو عين نص الزمخشري في الكشاف ١/ ٦١٠، كما تقدم، ولا تخفى مكانة النسفي هذا، وإمامته المرموقة لدى الحنفية الماتريدية.

(٢) لباب التأويل، المعروف بتفسير الخازن ٢/ ٤٧.

(٣) الإسراء: ٥٧.

الذي قاله هؤلاء الأئمة؛ لا خلاف بين المفسرين فيه»[1].

قلت: لقد خرج الكوثري على هذا الإجماع، وتعامل الأمة المحمدية، ولغة العرب في الجاهلية والإسلام، واصطلاح الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، ومفاهيم الشريعة الصحيحة، وشهد عليهم زورًا وبغيًا، وجعل الإجماع واللغة والشرع والتعامل نسيًا منسيًّا، فهل حان له أن يتوب عن التسليم على إسلام شيخ الإسلام؟[2]

١٦ ـ **وقال محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ)**: «من الأعمال الصالحة، والدعاء وغير ذلك»[3].

١٧ ـ وقال المخدوم المهائمي (٨٣٥هـ)، ذلك الاتحادي الخرافي، خلف ابن عربي القرمطي الباطني: «الوسيلة: من الاعتقادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة»[4].

والكذوب قد يصدق[5].

١٨ ـ **وقال السيوطي (٩١١هـ)**: «الوسيلة: ما يقربكم إليه من طاعته»[6].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٣.

(٢) قال الكوثري بعد ما ادعى خروج شيخ الإسلام على الإجماع: «إن كان ابن تيمية لا يزال يعد شيخ الإسلام، فعلى الإسلام سلام»! انظر: الإشفاق ٨٩.

(٣) كتاب التسهيل ١/ ١٧٦.

(٤) تبصير الرحمٰن ١/ ١٨٧، ولهذا التفسير مكانة كبيرة في بلاد الهند وباكستان وأفغانستان.

(٥) يكثر الكوثري هذا القول، انظر: التأنيب.

(٦) تفسير الجلالين ٩٣.

وحكى عن السلف: القربة، وعن قتادة قوله المعروف: «تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه»(١).

١٩ ـ وأقره سليمان الجمل (١٢٠٤هـ)(٢).

٢٠ ـ كما أقره ذلك الصاوي (١٢٤١هـ)، الحاوي على البلاوي، وقال: «فالتقوى ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة: فعل المأمورات»، ثم قال: «ومن جملة ذلك: محبة أنبياء الله وأوليائه، والصدقات وزيارة أحباب الله، وكثرة الدعاء، وصلة الرحم، وكثرة الذكر وغير ذلك»(٣).

قلت: هذا الذي ذكره حق، وهو من مقتضيات الإيمان؛ بل من لا يحب الأنبياء ﷺ لا يدخل في الإسلام، ومحبة أولياء الله من دين الله، ولكن على ضوء شرع الله، واصطلاح كتاب الله، ولغة سنة رسول الله ﷺ، ومن آثار هذه المحبة: اتباعهم، والتأسي بهم، فكلما ازدادت المحبة؛ ازداد الاتباع والتأسي بهم.

ثم قال: «فمن الضلال البيِّن، والخسران الظاهر: تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله، زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله...»(٤).

قلت: سبحان الله! ومعاذ الله من أن يعمل مسلم هذا العمل الباطل، والقول العاطل، لعن الله الإفك والبهت الواضحين،

(١) الدر المنثور ٣/ ٧١.
(٢) الفتوحات الإلهية، شرح تفسير الجلالين ١/ ٤٨٨.
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٨٢.
(٤) الصاوي على الجلالين ١/ ٢٨٢.

والكذب والمين الفاضحين، وليس هذا إلا افتراء أثيم، سبحانك هذا بهتان عظيم!

بل الزيارة وفق السنة سنة، وعلى طريقة البدعة بدعة، وعلى نهج الشرك شرك، فعليك بالفرقان، والله المستعان.

٢١ ـ **وقال أبو السعود (٩٨٢هـ)**، وقيل: (٩٥١هـ) الحنفي الماتريدي، الملقب بشيخ الإسلام، ومفتي الأنام عندهم[(١)]: «والوسيلة هي: فعيلة، بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله تعالى، من فعل الطاعات، وترك المعاصي...»[(٢)].

٢٢ ـ ذكر الشوكاني (١٢٥٠هـ)، عن أبي وائل، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وابن زيد، وابن كثير، وابن عباس، ثم قال: قال ابن كثير في تفسيره[(٣)]: وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه.

ثم قال: «وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، قال: تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه»[(٤)].

ولعل الكوثري يردد قوله: «إنه يهوديٌّ مُندسٌّ بين المسلمين

---

(١) انظر: كشف الظنون ١/ ٦٥.

(٢) إرشاد العقل السليم، المعروف بتفسير أبي السعود ٣/ ٣٢.

(٣) تقدم قوله: «تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه». انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٢٢٦، وزاد المسير ٢/ ٣٤٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٣، والدر المنثور ٣/ ٧١.

(٤) فتح القدير ٢/ ٣٨.

لإفساد دينهم»[1]! مع قول الكوثري: «يجب أن يعلم هذا الباهت المتهافت[2]، أن الكوثري ليس ممن يجري على لسانه نبح الكلاب، ولا تهاذر القحاب، ولا النبز باليهودية في الخطاب، للأضداد والأحباب»[3]، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يفضح الكوثري، بمثل هذه المخازي، والتناقض الواضح الفاضح.

فالذي يتأسى بالسلف الصالح، ويسير على منهج الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، ولا يخرج على لغة العرب قاطبة، في جاهلية ولا إسلام، ويوافق اصطلاح الصحابة ولغتهم، ويحتج على تعاملهم الصحيح، هل يكون يهوديًا مندسًّا في المسلمين لإفساد دينهم؟ أم من يكون على عكس ذلك تمامًا، ويجعل البهت والهوى لنفسه إمامًا؟

بل أشبه بهذا النبز اليهودي من يخرج على إجماع اللغة والشرع، واصطلاح الصحابة والتابعين، ويجوّز البناء على القبور، والصلاة إليها، والتوسل بالذوات والأشخاص، ويجعل الأرواح حاضرة مدبرة للعالم، والاستغاثة والاستعانة بالأموات، وأن الميت في البرزخ يعلم بسؤال السائل، ويريد إحياء دولة مشركي الجاهلية الجهلاء، والوثنية الخرقاء، كما يحاول إقامة دولة الجهمية، تلك المقالة اليهودية الشنعاء، ومن يطلق على أئمة الإسلام أنواع الشتائم، وشتى السباب، ويطعنهم وينسبهم إلى الوثنية واليهودية، وينبزهم بتلك الألقاب.

---

(١) مقالات الكوثري ٣٣٨.

(٢) يريد بالباهت المتهافت: العلامة المعلمي اليماني، كما قال في حقه أيضًا: «أيها الباهت الأفك»! انظر: الترحيب ٣٣٢، وغيرها من السباب.

(٣) الترحيب ٢٩٦.

٢٣ ـ **وقال العلامة الآلوسي (١٢٧٩هـ)**، ذلك المحقق، مفتي الحنفية: «الوسيلة هي فعيلة، بمعنى: ما يتوسل به، ويتقرب إلى الله ﷻ، وترك المعاصي»[١].

وقال في الرد على أمثال السبكية والكوثرية: «واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين، وجعلهم وسيلة بين الله وبين العباد، . . . ومنهم من يقول للغائب أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين: يا فلان؛ ادع الله ليرزقني كذا وكذا[٢] . . . وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل»[٣].

وقال: «وأما إذا كان المطلوب منه ميتًا أو غائبًا؛ فلا يستريب عالم[٤] أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف»، ثم قال: «ولم يرد عن أحد من الصحابة ﷺ ـ وهم أحرص الخلق على كل خير ـ أنه طلب من ميت شيئًا؛ بل صح عن ابن عمر ﷺ أنه كان يقول. . .: (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت)[٥]، ثم ينصرف، ولا

(١) روح المعاني ٦/ ١٤٢.

(٢) هذا هو الكوثري الذي يمثل البريلوية في الحنفية، انظر: مقالات الكوثري ٣٧٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٩، ومن أقوال الكوثري الصريحة في الإشراك قوله: «ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه ﷺ، وهو في البرزخ، ودعائه لربه، وعلمه بسؤال من يسأله. . .». مقالات الكوثري ٣٨٩.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٤) يعني عالمًا عاملًا بالسنة، أما المبتدع الخرافي القبوري فيرى أكثر من هذا.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب زيارة قبر النبي ﷺ ٥/ ٢٤٥، وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب: فضل الصلاة على النبي ﷺ ٨١.

يزيد على ذلك، ولا يطلب من سيد العالمين ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ أو من ضجيعيه المكرمين ﷺ شيئًا، وهم أكرم من ضمته البسيطة، وأرفع قدرًا من سائر من أحاطت به الأفلاك المحيطة»[1].

وقال: «فإذا كان هذا المشروع في زيارة سيد الخليقة، وعلة الإيجاد[2] على الحقيقة ﷺ، فماذا تبلغ زيارة غيره بالنسبة إلى زيارته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ليزاد فيها ما يزاد، أو يطلب من المزور بها ما ليس من وظيفة العباد»[3].

وقال: «وقد شنَّع التاج السبكي ـ كما هو عادته ـ على المجد[4]، فقال: «ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ...»[5]، وأنت تعلم[6] أن الأدعية المأثورة عن أهل البيت الطاهرين وغيرهم من الأئمة ليس فيها التوسل بالذات المكرمة ﷺ، ولو فرضنا وجود ما ظاهره ذلك، فمؤوَّل بتقدير مضاف كما سمعت[7]، أو نحو ذلك

---

(١) روح المعاني ٦/ ١٢٥.

(٢) علة الإيجاد: هي عبادة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال الآلوسي: «فما عيسى؛ بل وما موسى بل وما.. وما.. إلا بعض من ظهور أنواره، وزهرة من رياض أنواره». روح المعاني ١/ ٢٣٧، وهذا غلو.

(٣) روح المعاني ٦/ ١٢٥.

(٤) يعني: شيخ الإسلام.

(٥) انظر نص السبكي في كتابه: شفاء السقام ١٦٠ ـ ١٦١.

(٦) يخاطب السبكي، ويدخل في الخطاب جميع السبكية، وإخوانهم الكوثرية، والبريلوية، والقبورية.

(٧) يعني: كلمة الدعاء أو الشفاعة؛ بل لا يحتاج إلى تقدير شيء؛ بل المراد في اصطلاح الصحابة بقولهم: توسل بفلان: طلب الدعاء منه في حياته.

كما تسمع ـ إن شاء الله تعالى ـ ومن ادعى النص فعليه البيان[1]»[2].

وقال: «وتساوي حالتي[3] حياته ووفاته ﷺ في هذا الشأن يحتاج إلى نص، ولعل[4] النص على خلافه».

ثم ذكر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنه، ثم قال: «فإنه لو كان التوسل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد انتقاله من هذه الدار؛ لما عدلوا إلى غيره،... وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس، وهم يجدون أدنى مساغ لذلك، فعدولهم هذا مع أنهم السابقون الأولون، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وبحقوق الله تعالى ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وما يشرع من الدعاء، وما لا يشرع، وهم في وقت ضرورة ومخمصة، يطلبون تفريج الكربات، وتيسر العسير، وإنزال الغيث بكل طريق؛ دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره»[5].

وقال: «وقد نهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن على ذلك، فكيف يُتصوَّر منه عليه الصلاة والسلام ـ الأمر

(١) هذا تحدٍ من مفتي الأحناف، فله أهميته ومكانته وقوته، ولم يستطع أحد من هؤلاء القبورية أن يقابلوا بدفع هذا التحدي؛ بل ولا يستطيعون إلى ذلك سبيلًا، ولا يجدون نصيرًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

(٢) روح المعاني ٦/ ١٢٦.

(٣) هذا رد مباشر على كلمة الكوثري: «والفرق بين الحي والميت في ذلك لا يصدر إلا ممن ينطوي على اعتقاد فناء الأرواح، المودي إلى إنكار البعث»، المقالات ٣٧٨، سبحانك هذا بهتان عظيم!

(٤) بل الحق: أن النص على خلافه، فلا حاجة إلى (لعل).

(٥) روح المعاني ٦/ ١٢٦.

بالاستغاثة، والطلب من أصحابها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!»[1].

وقال: «إن الناس قد أكثر من دعاء غير الله تعالى، من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم، مثل: يا سيدي فلان أغثني! وليس ذلك من التوسل المباح[2] في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوُّه بذلك، وأن لا يحوم حول حماه، وقد عدَّه أناسٌ من العلماء شركًا، وإن لا يَكُنْهُ[3] فهو قريب منه، ولا أرى أحدًا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب، أو الميت المغيَّب يعلم الغيب، ويسمع النداء[4]، ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير أو دفع الأذى، وإلا لما دعاه ولا فتح فاه، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم»[5].

وقال: «ولا يغرنك أن المستغيث بمخلوق قد تقضى حاجته، وتنجح طلبته، فإن ذلك ابتلاء وفتنة منه ﷻ، وقد يتمثَّل الشيطان

---

(١) روح المعاني ٦/١٢٨، وهذا البهتان العظيم دين الكوثرية، فقد جوَّزوا بناء المساجد والقبب على القبور، كما جوزوا الاستغاثة بأصحابها.

(٢) والكوثري يؤمن أن هذا هو توسل الإسلام الحق الثابت بالكتاب والسنة والمعقول واللغة والشرع، سبحانك هذا بهتان عظيم!

(٣) بل الحق أن هذا عين الشرك، وكأن العلامة الألوسي رحمه الله أراد استرخاء العنان قليلًا، وإلا فقد ذكر فيما بعد ما ذكره.

(٤) لا شك في ذلك، فإن إمام القبورية ذاك الكوثري صرَّح بهذا، فقال: «ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه ﷺ وهو في البرزخ، ودعاءه لربه، وعلمه بسؤال من يسأله..»، مقالات الكوثري **٣٨٩**. بل يصرح بأن الأرواح هي المدبرات في أحوال هذا العالم! المقالات **٣٨٢**. ويؤيد البوصيري في قوله: «يعلم علم اللوح والقلم»، انظر: المقالات **٣٧٣**، تعالى الله عما يشركون!

(٥) روح المعاني ٦/١٢٨.

للمستغيث في صورة الذي استغاث به؛ فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به، هيهات هيهات! إنما هو شيطان[1] أظله وأغواه، وزين له هواه، وذلك كما يتكلم الشيطان في الأصنام، ليضل عبدتها الطغام»[2].

٢٤ ـ وقد فسر العلامة النواب صديق حسن خان ملك بهوبال (١٣٠٧هـ)، آية الوسيلة، وذكر في ذلك أسماء الصحابة والتابعين، كما ذكر قول الحافظ في إجماع المفسرين في أن الوسيلة إلى الله: العمل الصالح[3].

٢٥ ـ وقد أطال النفس في تحقيق الوسيلة الشرعية، والرد على الوسيلة البدعية، علامة الشام القاسمي، (١٣٣٢هـ)، فذكر أقوال السلف مما ذكر ابن جرير وغيره، بما فيه قول قتادة: «تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه»، وقول الحافظ ابن كثير، في إجماع المفسرين في ذلك: «وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة، لا خلاف بين المفسرين فيه». كما ذكر أقوال أهل اللغة، كالجوهري، والفيروزآبادي، والزبيدي؛ بل ذكر زبدة كتاب شيخ الإسلام: التوسل والوسيلة، وقال: «ما ذكرنا في تفسير الوسيلة هو المعوَّل عليه»،

---

(١) ذكَّرني الآلوسي كلام الكوثري حيث يقول: «ولهذا ينتفع بزيارة القبور، والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات، واستدفاع المُلمَّات»، المقالات ٣٨٥. ويقول: «ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين، كما يشاهده أصحاب البصائر». المقالات ٣٨٦. قلت: كلا؛ بل عبدة المقابر لا لهم أبصار ولا البصائر.

(٢) روح المعاني ٦/ ١٢٩.

(٣) فتح البيان ٣/ ١٧ ـ ١٨.

وقال: «فالوسيلة التي أمر الله أن يبتغى إليه، . . . هي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات، . . . فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول ﷺ، لا وسيلة لأحد إلا ذلك»[1].

وبعد هذه الدرر الغرر واللآلي، وهذا التحقيق والتدقيق العالي؛ لا تقوم للسبكية والكوثرية قوائم ولا سوق، ولا تروج لهم على أحد جرائم ولا سوق، ووضح الحق الحقيق واستنار، كالشمس في رابعة النهار.

ولكن مع ذلك؛ لا بأس أن نضيف نصوص بعض العلماء المعاصرين، ممن لهم صيت ومكانة في قلوب المسلمين.

٢٦ ـ وقد أجاد **الشيخ محمد رشيد رضا**، وأطال النفس في تحقيق معنى الوسيلة، فنقل خلاصة كتاب شيخ الإسلام: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، كما ذكر إجماع المفسرين على أن الوسيلة إلى الله وهو العمل الصالح، ثم قال: «وأما القول الجملي الجامع؛ فهو أن الوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى، وترجو أن تصل به إلى مرضاته، وهو ما شرعه لك لتزكية نفسك، إذ جعل مدار الفلاح على تزكيتها، والتوسل ابتغاء الوسيلة المأمور به هنا، أي: العمل بالمشروع، لتزكية النفس، وقد دل كتاب الله في جملته وتفصيله على أن مدار النجاة والفلاح على الإيمان والعمل الصالح. . .»[2].

---

(١) محاسن التأويل، المعروف بتفسير القاسمي ٦/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، المعروف بتفسير المنار ٦/ ٣٧٦، وانظر مبحث التوسل ٣٦٨ ـ ٣٧٨، وراجع أيضًا التفسير المختصر المفيد، للقرآن =

٢٧ ـ **وقال الأستاذ سيد قطب (١٣٨٧هـ)**: «تلمسوا ما يصلكم به من الأسباب، . . . أي: ابتغوا إليه الحاجة، والبشر حين يشعرون بحاجتهم إلى الله وحين يطلبون عنده حاجتهم يكونون في الوضع الصحيح للعبودية أمام الربوبية. . .»[(١)].

٢٨ ـ **وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي**: «وليس في طاقة الأنبياء والأولياء والملائكة أن يسمعوا دعاءكم ونداءكم، أو يقضوا حوائجكم، وينصروكم، وهؤلاء الذين تجعلونهم وسيلة لقضاء الحوائج هم في حاجة أن يرجوا رحمة الله، ويخافوا عذابه، ويسعون في التقرب إلى الله»، وقال: «ويعلم من هذه الآية[(٢)]: أنه ليس شرك فقط أن يسجد لغير الله؛ بل دعاء غير الله أيضًا شرك، والدعاء والاستمداد والاستعانة في الحقيقة من العبادة، والذي يناجي غير الله فهو مجرم، كما أن عابد الوثن مجرم»[(٣)].

٢٩ ـ وفي المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الذي ألفته لجنة ممتازة[(٤)]، ونخبة طيبة من علماء الأزهر، ثم طبع طبعة ثامنة تحت مراقبة وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بمناسبة الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر، سنة **١٤٠٣هـ**[(٥)]، والأزهر الشريف

= المجيد، المعروف بمختصر تفسير المنار ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٨٨١.

(٢) ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء: ٥٦].

(٣) تفهيم القرآن ٢/ ٦٢٥، التعريب من الأردية بغاية الأمانة والدقة.

(٤) انظر: مقدمة المنتخب في تفسير القرآن (ز).

(٥) طرة المنتخب.

الذي يقول فيه الكوثري: «وكان للأزهر الشريف الحق الصريح في إلزامهم بذلك، لأنه الحارس الشرعي للفقه الإسلامي منذ قديم، فقام بواجبه في استكمال الرد على الشاطح الأثيم»[1]، ما نصه: «يا أيها الذين آمنوا؛ خافوا الله باجتناب نواهيه، وإطاعة أوامره، واطلبوا ما يقربكم إلى ثوابه، من فعل الطاعات والخيرات...»[2].

وفيه: «وإن هؤلاء المخلوقين الذين يدعوهم من يعبدهم يعبدون الله، ويطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة، ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله، ويطمعون في رحمته، ويرهبون عذابه»[3][4].

هذه كانت نصوص المفسرين في آية الوسيلة، وفيها هداية وكفاية لمن عنده إنابة ودراية، ولا علاج للكَلَب والداء العضال الذي سرى في عروق أهل الضلال من هؤلاء الضُّلَّال، إلا أن يشاء الله المتعال هدايتهم بالإفضال.

ب ـ **وأما استدلاله بالأحاديث؛ فالجواب:**

أن توسل عمر بالعباس رضي الله عنه؛ حجة عليه، لا له، لأنه توسل بدعاء العباس، والعرب لا تعرف التوسل بالذوات والأشخاص لا في جاهلية ولا إسلام، وقد تقدم تحقيق لغتهم، واصطلاح الصحابة

---

(١) الترحيب ٢٩٨.

(٢) المنتخب ١٥١.

(٣) المنتخب ٤١٨.

(٤) هنا صحيفة فارغة مرقمة، ولعل الشيخ رحمه الله تعالى أراد أن يذكر فيه أقوال العلماء المعاصرين كالألباني وابن باز وابن عثيمين ـ رحمهم الله تعالى ـ ثم نسي، والله أعلم. (عبد الرحمن)

ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، وتعاملهم، بغاية الشرح والتفصيل.

بل إن إمام الكوثري، ذلك البدر العيني، الذي يحاول الكوثري أن يرجِّحه وكتابه على الحافظ و«فتحه»، ويطريه إطراءً غاليًا، ويغالي فيه مطريًا[1]، ذكر دعاء العباس ﷺ، وأقره، فقال: «وفي حديث أبي صالح: (فلما صعد عمر ومعه العباس المنبر، قال عمر ﷺ: اللهم إنا توجهنا إليك بعم نبيك[2]، وصنو أبيه، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ثم قال: قل يا أبا الفضل. فقال العباس: اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك، لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، فاسقنا الغيث)»[3].

وقال أبو محمد عبد الله بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي (٦٩٩هـ): «يجوز الاستسقاء بالدعاء من أهل الفضل،... فيه دليل على طلب الدعاء ممن فيه أهلية للقبول عند المُلِمَّات،... لأنه بالإجماع الأفضل، فطول حياته ﷺ لا يقصد في المُهمَّات غيره إجماعًا، ولذلك كان عمر ﷺ يقول للعباس: كنا نستسقي

---

(١) راجع: التاج اللجيني في ترجمة البدر العيني، المطبوع في أول عمدة القاري، سترى عجائب، مع أن العيني لم يفتح عين عمدته إلا بعد فتح العين في فتح الشهاب الحافظ، كما أقر به حاجي خليفة. انظر: كشف الظنون ١/٥٤٨، وهو حنفي مذهبي الكوثري ونسبيه.

(٢) قول الصحابة هذا في اصطلاحهم ولغتهم، معناه: طلب الدعاء والشفاعة من الحي الحاضر لا غير، كما بينا بيانًا شافيًا.

(٣) عمدة القاري ٧/٣٢ ـ ٣٣، وانظر هذا الدعاء في: فتح الباري ٢/٢٩٧، عن كتاب الأنساب، للزبير بن بكار، وإرشاد الساري، للقسطلاني ٢/٣٣٨، وفيض الباري، للشاه أنور شاه الديوبندي الحنفي ٢/٣٧٩.

بالنبي ﷺ، والآن نستسقي بك»[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم،... فلما مات ﷺ؛ قال عمر: لما خرجوا يستغيثون: اللهم...»[2].

وقال البدر العيني في معنى قول عمر ﷺ: (إنا كنا نتوسل إليك بنبينا): «بيانه: أنهم كانوا إذا استسقوا كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته، وبعده استسقى عمر بمن معه بالعباس عم النبي ﷺ...»[3].

وقال القسطلاني: «(كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ) في حال حياته، (فتسقينا، وإنا) بعده (نتوسل إليك بعم نبينا) العباس...»[4].

قلت: مراد هؤلاء: أن هذا توسل بالدعاء، لا بالذوات، وأن الصحابة لم يتوسلوا بالنبي ﷺ بعد موته ولحوقه بالرفيق الأعلى، فهذا تعاملهم، وهذا اصطلاحهم وطريقهم في التوسل، ولذلك توسلوا بعمه ﷺ.

فبطل استدلال الكوثري رأسًا من أصله، كما بطل قوله: «إن قوله: (كنا نتوسل) ينصب على ما قبل زمن القول، فيكون المعنى: أن الصحابة كانوا يتوسلون به ﷺ في حياته وبعد لحوقه بالرفيق

---

(١) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري، المسمى: جمع النهاية في بدء الخير والغاية ٢/ ٦٠.
(٢) شرح الطحاوية ٢٦٣.
(٣) عمدة القاري ٧/ ٣٢.
(٤) إرشاد الساري ٢/ ٣٣٨.

الأعلى، إلى عام الرمادة، وقصر ذلك على ما قبل وفاته تقصير عن هوى، وتحريف لنص الحديث، وتأويل بدون دليل، ومن حاول إنكار جواز التوسل بالأنبياء بعد موتهم بعدول عمر إلى العباس في الاستسقاء قد حاول المحال، ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال، فضلًا عن أن ينطق به، فلا يكون هذا إلا محاولة إبطال السنة الصحيحة الصريحة بالرأي»(١).

سبحان الله! بناء على دعوى الكوثري، صار هؤلاء الشارحون للحديث أصحاب هوًى، وصاروا محرِّفين لنص الحديث، وقد حاولوا المحال، ونسبوا إلى عمر ما لم يخطر له على بال، وأبطلوا السنة الصحيحة الصريحة بالرأي، وأوَّلوها بدون دليل، بما فيهم إمام الكوثري، وعمدته، وبدره، وعينه، ألا وهو البدر العيني، وهكذا يفضح الله المفضوحين المغرضين، يحرِّفون الحديث أو يطعنون فيه تدعيمًا للوثنية الخرقاء، والجاهلية الجهلاء، ثم يرمون المحدِّثين الأمناء الأبرياء بجريمتهم وجريرتهم(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾(٣).

وإليك أيها القارئ قول أكبر محدث من محدِّثي الديوبند، وأكبر زعيم الحنفية في الهند، الذي يطريه الكوثري إطراءًا بالغًا، ويعده فذًّا

---

(١) مقالات الكوثري ٣٨٠، ومثله في ٣٨٨.

(٢) ولعل الكوثري يكون من الحيارى في أمرهم، فإنه إن يرجع عن قوله هذا ينهدم أساسه من أصله، وإلا يكون إمامه وعمدته وبدره وعينه الإمام بدر الدين العيني في قائمة المحرِّفين للحديث، وأصحاب الهوى، والمؤوِّلين بدون دليل!

(٣) النساء: ١١٢.

نابغًا، ويثني عليه مغاليًا، ويقول فيه غاليًا: «العلامة، فقيه الإسلام، المحدث المحجاج»[1].

وقال أبو غدة: «وقال شيخنا المحقق الكوثري: لم يأت بعد الشيخ الإمام ابن الهمام مثله [يعني: أنور شاه]، في استثارة الأبحاث النادرة من ثنايا الأحاديث، وهذه برهة طويلة من الدهر»[2].

ويلقبه أبو غدة: «إمام العصر، المحدث الكبير»[3]، و«الإمام المحدث الكبير»[4]، و«الإمام الكشميري»[5].

وقال: «وقد أثنى عليه عالم الرجال ونقادهم، وعارف أقدار ذوي القدر فيهم، شيخنا الإمام محمد زاهد الكوثري»[6].

كما أقر أبو غدة جميع تلك الألقاب، والمدائح، والمغالاة، والمراثي، والنثر، والأشعار لعلماء ديوبند، في حق إمامهم هذا[7].

---

(١) مقالات الكوثري ٣٥٩، وأقره أبو غدة، انظر: مقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح بما تواتر في نزل المسيح ٦.

(٢) مقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، لأنور شاه الكشميري ٢٦.

(٣) انظر طرة كتاب: التصريح بتحقيق أبي غدة، ومقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح ٨٩، ١٢.

(٤) مقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح (ج).

(٥) المصدر السابق ٦، ٧، ١٢.

(٦) المصدر المذكور ٦، قلت: الأحرى بأبي غدة تجاه سلفه الكوثري أن يقول فيه: شاتم الرجال، وسبابهم، وجاهل أقدار ذوي القدر، الداعية إلى القبورية والجهمية.

(٧) المرجع السابق ١٢ ـ ٣٢.

قال أبو غدة: «ترجمة المؤلف مستخلصة مما كتبه تلميذه أستاذنا العلامة البارع، الجامع لأنواع الفضائل، أبو المحاسن محمد يوسف البنوري ـ حفظه الله تعالى ـ، في كتابه الماتع الكبير: نفحة العنبر، من هدي الشيخ الأنور، . . . الإمام الكشميري، هو إمام العصر، وحسنة الوقت، المحدث، المفسر، الفقيه، الأصولي، المتكلم، النظار، الصوفي، البصير، المؤرخ، الأديب، الشاعر، اللغوي، البحاثة، النقادة، المحقق، الموهوب، الشيخ الإمام محمد أنور شاه الكشميري. . .»(١).

وبعد هذا الغلو الواضح؛ فليستمع الكوثري وأبو غدة وغيرهما من السبكية والكوثرية والديوبندية إلى قول هذا الإمام، محدث العصر، المفسر، الأصولي، الصوفي، الفقيه، البحاثة، النقادة، الموهوب، . . . فيقول: «قوله: **(اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ)**، ليس فيه التوسل المعهود، الذي يكون بالغائب، حتى قد لا يكون به شعور أصلًا؛ بل فيه توسل السلف، وهو أن يقدم رجلًا ذا وجاهة عن الله تعالى، ويأمره أن يدعو لهم، ثم يحيل عليه في دعائه، كما فعل بعباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ، ولو كان فيه توسل المتأخرين لما احتاجوا بإذهاب عباس رضي الله عنه معهم، ولكفى لهم التوسل بنبيهم بعد وفاته أيضًا، أو بالعباس رضي الله عنه مع عدم شهوده معهم. . .»(٢).

---

(١) مقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح ١٢.

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري ٢/ ٣٧٩.

تنبيه هام: لا تخفى مكانة هذا الكتاب عند الديوبندية؛ بل الكوثرية؛ بل الحنفية جمعاء، يقول أبو غدة الكوثري: «وفيه الجديد الكثير من العلم، لا تراه في شروح البخاري للسابقين، وحسبك أن تعلم أن الشيخ اعتنى =

الحمد لله الذي جعل الكوثري ومن تبعه حيارى، حيث لا يستطيعون أن يقولوا في إمامهم أنور شاه: إنه من إخوان اليهود والنصارى! ولكنهم يلزمهم أحد الأمرين: إما أن يتوبوا عن توسلهم الخرافي الباطل، وعن استدلالهم العاطل، وسيرتهم الكاسدة، وجريرتهم الفاسدة، وإما أن يكون إمامهم هذا، البحاثة، النقادة، الموهوب، محدث العصر، مسند الوقت، الأصولي، الصوفي...؛ محرِّفًا كبيرًا، ومقصرًا عن هوًى، ومحاولًا للمحال، وناسبًا إلى عمر رضي الله عنه ما لم يخطر له على بال، ومبطلًا للسنة الصريحة بالرأي، ومؤوِّلًا بلا دليل؛ بل يكون كذلك عمدتهم، وبدرهم، وعينهم، الإمام البدر العيني، ذا العالم النبيل، حسب شهادة الكوثري على نفسه وأئمته.

قلت: وبعد تقرير الإمام الكشميري هذا، قد ذبح الكوثري بسكينه من قفاه، فلا يستطيع أن يفتح بتحريفه ومينه فاه، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وهكذا يسلط الله عباده على المحرِّفين الظالمين.

وليكون الختام مسكًا، ولا يثير أحد شكًّا، أتحف إخواننا الأحناف هدية بكلمة طيبة، لذلك الألوسي، مفتي الحنفية رحمه الله، إذْ يقول: «فإنه لو كان التوسل به ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد انتقاله من

= بصحيح البخاري درسًا وإملاءً وخوضًا وإمعانًا...». مقدمة أبي غدة لكتاب: التصريح ٢٨ ـ ٢٩، كما أنه يثني على جميع مؤلفاته، فيقول: «وقد اجتمعت عنده في تذكرته ذخائر ونفائس ذاخرة لحل كثير من المعضلات العلمية، وألف رسائل... ذبًّا عن حريم المذهب الحنفي، ودفعًا لطعن الحساد والجاهلين...». المرجع المذكور ٢٨.

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة الأنعام: ٤٥.

هذا الدار، لما عدلوا إلى غيره؛ بل كانوا يقولون: (اللهم إنا نتوسل بنبينا فاسقنا)، وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس، وهم يجدون أدنى مساغ لذلك، فعدولهم هذا[(١)] ـ مع أنهم السابقون الأولون، وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وبحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، ويشرع من الدعاء وما لا يشرع، وهم في قت ضرورة ومخمصة، يطلبون تفريج الكربات، وتيسير العزيز، وإنزال الغيث بكل طريق ـ دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه، دون غيره»[(٢)].

فهذا هو التوسل في لغة الصحابة والتابعين واصطلاحهم، ولا بد من معرفة ذلك، حتى لا يقع أحد في تحريف مفاهيم[(٣)] الشريعة وتخريفها[(٤)].

وهكذا مشى الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله، إمام الحنفية، في

(١) مبتدأ وخبره قوله: «دليل» وما بينهما جملة معترضة.

(٢) روح المعاني ٦/١٢٦.

(٣) ولشيخنا العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله رسالة قيمة بعنوان: تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة، فراجعها، ولا سيما ١٢ ـ ١٥، ضمن محاضراته القيمة الأخرى، طبعة المكتب الإسلامي، و٥٢ ـ ٥٥، طبع دار الإفتاء، بالرياض.

(٤) ولشيخنا الألباني رحمه الله بحث قيم في ذلك، فقال: «فهذا الذي بيناه من معنى الوسيلة هو المعهود في حياة الناس وفي استعمالهم، فإنه إذا كانت لإنسان حاجة ما، عند مدير أو رئيس أو موظف مثلًا، فإنه يبحث عمن يعرفه، ثم يذهب إليه ويكلمه، ويعرض له حاجته، فيفعل وينقل هذا الوسيط رغبته إلى الشخص المسؤول، فيقضيها له غالبًا، فهذا هو التوسل المعروف عند العرب منذ القديم وما يزال...»، إلى آخر كلام مهم، انظر: التوسل أنواعه وأحكامه ٥٥ ـ ٥٦.

تفسير حديث استسقاء عمر بالعباس ﷺ، وحديث توسل الأعمى، أن ذلك من باب التوسل بالدعاء، ولا شك في جوازه إن كان المطلوب منه حيًا حاضرًا، وأما إذا كان غائبًا أو ميتًا؛ فلا ريب في منعه[1].

وأما استدلال الكوثري بحديث عثمان بن حنيف في قصة الضرير؛ فهو كسابقه حجة عليه، لا له:

أولًا: هذا توسل بدعاء الحي الحاضر، ففيه تصريح: (فقال: ادع الله أن يعافيني)، (اللهم فشفِّعه فيَّ)، و(فشفِّعه فيه)، و(إن شئت دعوت)[2].

فهذا توسل بدعاء الحي الحاضر، وليس من التوسل بالذوات والأشخاص، ولا من باب التوسل بالغائب أو الميت في شيء، وهكذا يكون تشبُّث الغريق، نعوذ بالله من هذا الغريق.

وثانيًا: أن: (الباء) في قوله: (أتوجه إليك بنبيك)، وقوله: (إني توجهت بك إلى ربك) للتعدية، فمعنى الحديث: أوجه إليك بنبيك، وإني وجهتك إلى ربي، أي: أقدم إليك نبيك، وقدمتك إلى ربي للشفاعة لي، والدعاء إليه لي، كما نقله الملا علي القاري

---

(١) انظر: البدور البازغة، للشاه ولي الله الدهلوي ٢٠٤، نقلًا عن كتاب شيخنا محمد طاهر الفنجفيري الحنفي الديوبندي: البصائر ١٧.

(٢) انظر ألفاظ الحديث، فقد رواه الترمذي ٥/٥٦٩، وقال: «حسن صحيح غريب»، قال في تحفة الأحوذي: «أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه». ٤/٢٨٢ الهندية، وابن ماجه ١/٤٤١، وقال أبو إسحاق: «صحيح»، وأحمد ٤/١٣٨، والحاكم ١/٣١٣، ٥١٩، ٥٢٦، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير ٩/١٧ ـ ١٨، مع قصة منكرة، وابن السني في عمل اليوم والليلة ١٨٢.

الحنفي[(١)]، ذلك المحدث للحنفية[(٢)]، عن ابن حجر، ورجح القاري أن الباء للتعدية في الأول، وللاستعانة في الثاني، كما نقله عن الطيبي[(٣)]، وعلل القاري له بقوله: «ولعل وجهه: أن المتوجه به في الأول هو النبي ﷺ، فتعين معنى التعدية، وفي الثاني هو الله تعالى وهو المستعان، كما يدل عليه حصر: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾»[(٤)]،

وأما الأحاديث الباقية؛ فمنها ضعيفة منكرة، ومنها موضوعة[(٥)]، ولكن لا بد لنا من كلمة تكشف الستار عن أسرار هذا الرجل ومخازيه:

---

(١) انظر: المرقاة ٥/ ٢٥٢.

(٢) وقد ذكره الكوثري في قائمة كبار محدّثي الحنفية وأئمتهم، مفتخرًا به، انظر مقدمة الكوثري لكتاب: نصب الراية ٤٧، وفقه أهل العراق بتحقيق أبي غدة.

(٣) انظر: المرقاة ٥/ ٢٥٢.

(٤) المرقاة ٥/ ٢٥٢.

تنبيه: وقول القاري هذا رد صريح أيضًا على هذا الكوثري، الذي يقول غير مبالٍ ولا مستحٍ: «وأما قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ففي العبادة والهداية»، مقالات الكوثري ٣٩٦، يريد هذا الرجل، أن الاستعانة من الله في العبادة والهداية فقط، وأما في البلايا والمصائب والكربات، فيستعان بغير الله، سبحانك هذا بهتان عظيم، وإفك مبين، وتحريف للشريعة تحت ستار التوسل، وهكذا يفضح الله المفضوحين، حيث يسلط عليهم علماء مذهبهم، وكفى الله المؤمنين القتال.

(٥) ارجع لبيان حالها إلى: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام، والصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي، والتوسل أنواعه وأحكامه، لشيخنا المحدث الألباني، والتوصل إلى حقيقة التوسل، لعالم حلب، ذلك محمد نسيب الرفاعي.

بل أقول: إن لم يغضب الكوثرية فليرجعوا إلى: روح المعاني، للآلوسي، عالم الديار العراقية، ومفتي الحنفية؛ في آية المائدة، وآية الكهف، وإلى: =

وهي أن عادة الرجل الطعن في الأحاديث الصحيحة المحكمة الصريحة، ولو في الصحيحين، إذا كان هواه يخالفها، كما أنه لا يعبأ بتوثيق أهل الشأن في هذا الصدد، ولكن بعكس ذلك يذهب فيحاول تصحيح الموضوعات الواهيات، كحديث السراج، وفيه: (أن محمد بن إدريس أضر من إبليس)، وكما هاهنا حاول تصحيح كل الموضوعات والمنامات في التوسل، حتى ولو بالتحاكم إلى الحاكم وابن حبان!

والكوثري هو الذي يقول في الحاكم: «وهو اختلط في آخره

= جواهر القرآن، لذلك الزعيم الحنفي، والرئيس الديوبندي، والصاعقة على البريلوية والكوثرية القبورية؛ بل على المتوسلين من الديوبندية، الذي كان يوقر ويبجل شيخ الإسلام وابن القيم الإمام غاية التبجيل والتوقير والإكرام، مع كونه متعصبًا للحنفية، وعدوًّا لدودًا للجماعة السلفية في المسائل الفقهية، والأسماء والصفات، ألا وهو العلامة المفسر المتكلم غلام الله خان، مؤسس جامعة تعليم القرآن، بمدينة راولبندي، باكستان.

كما ينبغي أن يرجعوا إلى: البصائر للمتوسلين بأهل المقابر، لشيخنا محمد طاهر بن آصف الفنجفيري، كبير العلماء الحنفية الديوبندية الماتريدية، ومؤسس الجماعة: إشاعة التوحيد والسنة، المعروفة ببلاد باكستان وأفغانستان بالجماعة الفنجفيرية، الذي قام بدور عظيم، وخدمات جليلة طيبة كثيرة في مجال توحيد الألوهية، والذي كان يجل الإمامين شيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم الهمامين إلى الغاية، وهو الذي تدرب على كبير علماء الحنفية، العلامة حسين علي الذي ذكره البنوري في كبار فطاحل الحنفية الديوبندية، انظر مقدمة البنوري والكوثري على: نصب الراية ٥١، والزعيم السياسي العلامة عبيد الله السندي، ومع ذلك كله هو وجماعته أعداء للجماعة السلفية، في مسائل التقليد، والفقه، وتوحيد الأسماء والصفات، بشكل لا يعلم حقدهم ومنتهى عداوتهم إلا الله ﷻ، وعلى عكس ذلك متساهلون مع الشيوعية والقومية، نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياهم لما يحب ويرضى، ويغفر زلاتنا وزلاتهم.

اختلاطًا شنيعًا، على تعصبه البالغ»[1]، «شديد التعصب، اختلط في آخره، ويقال عنه: إنه كان رافضيًا خبيثًا»[2]، «توثيقه لا يرفعه من مرتبة مجهول الصفة إلى مرتبة الثقات، لما سجلناه في ذلك الموضع نفسه، من أنه بالغ التخليط، حتى إنه ذكر في مستدركه على الصحيحين مائة حديث موضوع، وما لا يحصى من الأخبار الضعيفة، على تعصباته الباردة»[3].

وأما شنه الغارات على ابن حبان فحدِّث ولا حرج، يقول: «فابن حبان فيلسوف أهل الجرح والتعديل، وليس في كلامه ثمة من الحقيقة، وإنما هو لون آخر من التعصب، والكلام في ابن حبان طويل الذيل، أقل ما قيل فيه قول ابن الصلاح: غلط الغلط الفاحش. ووصفه الذهبي بالتشغيب والتشنيع، وذكر في الثقات خلقًا كثيرًا ثم أعادهم في المجروحين، وذلك من تناقضه، وغفلته، وطريقته في التوثيق أوهى الطرق»[4].

وهكذا ترى يفضح الله المفضوحين، بإقرارهم على أنفسهم.

(١) تأنيب الكوثري ١٠٣، ١٩٧.

(٢) المصدر السابق ٢١٧.

(٣) الترحيب مع التأنيب ٣١٩.

(٤) تأنيب الكوثري ١٣٢ ـ ١٣٣، وانظر أيضًا: الترحيب مع التأنيب ٣٢٠، ٢٣٨، ٣٣١.

الفصل الثالث

في الجواب عن شبهاته لإثبات التوسل الشركي، واستدلاله بالعمل المتوارث، والتحاكم إلى المتكلمين والمنامات

التمهيد

لقد استدل الكوثري على إثبات توسله الشركي الخرافي بأمور ثلاثة:

أ ـ العمل المتوارث في الأمة.

ب ـ التحاكم إلى المتكلمين.

ت ـ استدلاله بالمنامات، حتى بمنام الرازي والفردوسي، الشاعر الفارسي! فجاء بالعجب العجاب، مع أنهم يرون أن الأدلة الشرعية والنصوص النقلية غير قطعية، فلا يحتج بها في العقيدة!

ولكنهم لجنونهم في باب البدع والخرافات، يستدلون بأشياء أوهن من بيت العنكبوت، ويتشبَّثون تشبث الغريق، فقد كُشِفَ للقارئ الكريم حقيقة أمر هؤلاء في الفصول السابقة، وفي هذا الفصل نتصدى لقلع شبهاته، بحول الله تعالى وقوته.

فأقول:

أ ـ أما استدلاله بالعمل المتوارث، وأن التوسل بالصالحين أحياء وأمواتًا حاضرين وغائبين هو عمل الصحابة وتعاملهم؛ فالحمد لله أنه حجة عليه لا له؛ بل لنا، لأننا فصلنا في باب التعامل، هل هو حجة؟ وتعامل من حجة؟ بما فيه شفاء وكفاية[1].

(١) انظر ص: ٣٨٢ ـ ٣٩٤.

كما أثبتنا بما لا مزيد عليه، بحجج دامغة بالغة، أن العرب لم يعرفوا التوسل بالشخص، وفق اصطلاح الكوثرية، لا في الجاهلية ولا في الإسلام؛ بل هم يعرفون التوسل بدعاء الشخص وشفاعة الشخص، غير أن العرب في الجاهلية ضلوا، حيث زعموا ذلك في الأموات أيضًا، فأخذ الكوثرية أسوأ ما عندهم.

بقي الصحابة فكان تعاملهم وطريقهم كما أسلفنا بالبسط التوسل بدعاء الحي الحاضر فقط، ولم يثبت عنهم غير ذلك؛ بل غير ذلك انحياز إلى عقيدة مشركي الجاهلية الجهلاء، شعر هؤلاء أم لا[1]، لأن التوسل بالغير في معنى الاستشفاع منه، ولا تتحقق الشفاعة إلا بشروط في جانب الشفيع والمشفوع له والمشفوع فيه، فلا يشفع الشافع إلا بالإذن له في الشفاعة لفلان دون فلان في حد معين، هذه أمور ثلاثة.

فقد قال الله ﷻ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[2].

---

(١) تنبيه هام: الكوثري في صدد رده على المحدثين وعقيدتهم في زيادة الإيمان ونقصانه، وأن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان نية وقول وعمل، قال: «إرجاء أبي حنيفة محض السنة، . . . وخلاف ذلك انحياز إلى الخوارج أو المعتزلة، أو تخبط في القول، فليختر من شاء ما شاء من هذه الثلاثة». التأنيب **٢٤٧**، ومثله في **٦٦**، وفي **٧٢**، زاد عليه قوله: «رغم تقوُّلات جهلة النقلة»، وانظر: الترحيب **٣٠١**، أقول: سبحان الله! الرجل يرمي المحدثين أنهم جهلة متقولة، منحازون إلى الخوارج والمعتزلة، والتخبط في القول، ولكنه لا يدري أنه انحاز في توسله إلى مشركي الجاهلية الجهلاء، والوثنية الخرقاء، سبحان قاسم العقول، بين الكيس والجهول، فهل انتبه الكوثري إلى هفوته، وانتبه من غفوته؟

(٢) البقرة: **٢٥٥**، وانظر: يونس: **٣**، مريم: **٨٧**، طه: **١٠٩**، سبأ: **٢٣**، الزخرف: **٨٦**، النجم: **٢٦**، النبأ: **٣٨**.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾[3].

وقد ثبت بالاضطرار والتواتر من دين الإسلام، أنه يجوز التوسل بدعاء الحي الحاضر فيما يملك، ويجوز شرعًا في الدنيا وفي الآخرة أيضًا بعد إذن الله تعالى، ولكن أين ذلك في الحي الغائب، الذي لا يعلم الشفيع حال المشفوع له، ولا يخطر بباله المتوسل، وكذا الميت المقبور، وأصحاب القبور، «الذين هم بين سعيد، شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات إلى ما في هذا العالم، وبين شقي ألهاه عذابه وحبسه في النيران عن إجابة مناديه، والإصاخة إلى أهل ناديه»[4]، فهذا توسل المشركين، لا توسل الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين.

ب ـ وأما تحاكم الكوثري إلى المتكلمين، ولا سيما الرازي والتفتازاني، حيث يقول الكوثري بعد ذكر الرازي والتفتازاني وغيرهما من المتكلمين: «الذين يُفزع إليهم في حل المشكلات في أصول الديانة،... وإليهم تفزع الأمة في معرفة الإيمان والكفر، والتوحيد والإشراك، والدين الخالص»[5].

---

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) طه: ١٠٩.

(٣) النبأ: ٣٨.

(٤) اقتباس من كلام العلامة الألوسي في روح المعاني ٦/ ١٢٩.

(٥) مقالات الكوثري ٣٨١ ـ ٣٨٢.

فأقول أولًا: إن أتباع الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين؛ لا يتحاكمون إلا إلى الكتاب والسنة، والوحي السماوي، الذي هو الدين الإسلامي الحق المبين، الذي لا دين عند الله إلا هو، ولا يتحاكم إلى هؤلاء المتكلّمين الحيارى إلا مثلهم حيارى، فلا يتحاكم في أصول الدين والديانة ومعرفة الكفر والإيمان والتوحيد والشرك والدين الخالص؛ بل الفروع إلا إلى الله ورسوله ﷺ، ولا يفزع كل ذلك إلا إلى الكتاب والسنة، فالحق باتباع ما عليه الأنبياء والمرسلون، واتباعهم الصحابة والتابعون، لا المتكلمون، الآخذون عن فلاسفة اليونان، أمثال أرسطو وأفلاطون؛ بل التحاكم إليهم تحاكم إلى الطاغوت.

وثانيًا: قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3][4] وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

(١) الشورى: ١٠.

(٢) الأعراف: ٣.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) حرف بعض الحنفية فزاد في الآية: (وأولي الأمر منكم)، حتى يثبت التحاكم إلى الأئمة، فيثبت منه التقليد المذموم، انظر: إيضاح الأدلة، ولم يصححوا الآية مع كثرة التنبيه، والطبع مرارًا، فإن كان حالهم في تحريف القرآن، فهان عليهم تحريف الأحاديث، ومن تحريف الأحاديث ما حرفه الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي، حديث رفع اليدين في مسند الحميدي ٢/ ٢٧٧.

(٥) النساء: ٦٠.

﴿...الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١]، ولا يخفى على أهل العلم تفسير الطاغوت[٢]، وأسباب نزول هذه الآيات، قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا من كان من شيء»[٣].

ويظهر من كلام الإمام ابن جرير: أن الطاغوت قد يطلق على من لا ذنب له، كما أطلق كلمة الوثن على القبر، مع أن القبر لا ذنب له، غير أن من يرغب عن الكتاب والسنة، ويتحاكم إلى من قوله مخالف لقول الله تعالى أو قول رسول الله ﷺ؛ فقد تحاكم إلى الطاغوت، فكيف من كان على ضلال وإضلال. وقول الإمام ابن جرير: «وإما بطاعة ممن عبده له»، صريح في هذا المعنى، وإليه أشار إمام الكوثري ذلك الفخر الرازي[٤].

وثالثًا: ألا يستحيي هذا القبوري أن يتحاكم إلى رجل يزعم أن الكتب السماوية والأحاديث النبوية جاءت على خلاف الدين الحق، لأن الدين الحق التنزيه [يريد تعطيل الصفات]، والكتب السماوية

(١) آل عمران: ٢٣.
(٢) راجع جامع البيان، المعروف بتفسير ابن جرير ٣/ ١٨ ـ ١٩، ٤/ ١٤٧ ـ ١٦٠.
(٣) جامع البيان، تفسير ابن جرير ٣/ ١٩، وارجع إلى معالم التنزيل، للبغوي ١/ ٢٤٠، وتفسير ابن كثير ١/ ٣١٢.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، للرازي، المجلد الرابع ٩/ ١٧.

أنزلت، والأحاديث النبوية جاءت بالتجسيم والتشبيه، لأنها تثبت الصفات! وإليك نصه، فهو يقول: «فإن قيل: إذا كان الدين الحق نفي الحيِّز والجهة، فما بال الكتب السماوية والأحاديث النبوية مشعرة في مواضع لا تحصى بثبوت ذلك، من غير أن يقع في موضع واحد منها تصريح بنفي ذلك وتحقيق؟ كما كررت الدلالة على وجود الصانع ووحدته وعلمه وقدرته، وحقيقة المعاد، وحشر الأجساد في عدة مواضع، وأكدت غاية التأكيد، مع أن هذا أيضًا حقيق بغاية التأكيد والتحقيق، لما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف الأديان والآراء من التوجه إلى العلو عند الدعاء، ومد الأيدي إلى السماء؟

أجيب: بأنه لمَّا كان التنزيه عن الجهة مما تقصر عنه عقول العامة، حتى تكاد تجزم بنفي ما ليس في الجهة، كان الأنسب في خطاباتهم، والأقرب إلى إصلاحهم، والأليق بدعوتهم إلى الحق، ما يكون ظاهرًا في التشبيه، وكون الصانع في أشرف الجهات، مع تنبيهات دقيقة على التنزيه المطلق، عما هو من سمة الحدوث»(١)، ومثل هذه العقيدة، عقيدة الغزالي(٢)، والفخر الرازي(٣).

العياذ بالله من هذا الكفر الصريح، ومعاذ الله من هذا الضلال القبيح، ماذا يريد هذا الرجل، إمام الكوثري، الذي يُفزع إليه، ويتحاكم إليه في أصول الديانة والدين؟

---

(١) شرح المقاصد، للتفتازاني، وقد نقل البياضي كلام التفتازاني هذا وأقره، انظر: إشارات المرام ١٩٨، وهذا هو الكتاب الذي افتخر به الكوثري واستبشر به. راجع مقدمة الكوثري لهذا الكتاب ٨ ـ ٩.

(٢) ميزان العمل، للغزالي ١٧٣.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير ١٥/ ٣٠/ ٧٠.

هل يريد أن الدين الحق هو نفي تلك الصفات، ولكن الله تعالى دلَّس ولبَّس واحتال على العامة، لاستدراجهم بالتدريج، تملقًا لهم، لئلا يتنفروا، فأنزل الكتب السماوية الظاهرة في التشبيه وفق عقيدتهم، ليتدرج بهم إلى الدين الحق الذي هو التعطيل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، ومين جسيم، وإجرام أثيم، تجاه جناب الله ﷻ، وكتبه المنزلة، وعقيدة رسله وأنبيائه، وأوليائه وأصفيائه.

وقد ذكر الله تعالى في مواضع عديدة في محكم كتابه الحق، الذي لا يأتيه الباطل: أنه الحق، وأنه أنزله بالحق، ونزل بالحق[1]، لأنه جاء من الله الحق، بالإسناد الحق، على النبي الحق، وفيه الهدى والدين الحق.

فقارن أيها المسلم عقيدة هؤلاء المتكلمين، الصم، البكم، العمي، بما في قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾[4]، تعرف مدى

(١) انظر هذه الآيات: البقرة: ١٧٦، ٢١٣، آل عمران: ٣، النساء: ١٠٥، المائدة: ٤٨، الأنعام: ١١٤، التوبة: ٣٣، الرعد: ١، ١٩، الإسراء: ١٠٥، سبأ: ٦، فاطر: ٣١، الزمر: ٤١، الشورى: ١٧، الزخرف: ٧٨، الصف: ٩.

(٢) الرعد: ١٩.

(٣) الأنعام: ١١٤.

(٤) سبأ: ٦.

تلاعب هؤلاء المتكلمين بالكتب السماوية، والأحاديث النبوية، حيث يقررون أنها جاءت على خلاف الدين الحق.

فهنيئًا للكوثري والكوثرية أن يتحاكموا ويفزعوا إلى أمثال هؤلاء المفترين على الله، وهذه نظرتهم وعقيدتهم تجاه الكتب السماوية والأحاديث النبوية؛ أنها جاءت بخلاف الدين الحق!!

مع أن الدين الحق هو الإسلام، وهذه الكتب السماوية جاءت لتقرير هذا الدين الحق، وإثبات صفات الله تعالى بغاية الصراحة والوضاحة، كما أنها جاءت لتقرير تنزيه الله تعالى بنهاية وضوح ومنتهى الشروح.

وفي الحقيقة: أن هؤلاء تدربوا وتمهروا في التدليس والتلبيس بين الحق والباطل، فظنوا ذلك في الله ﷻ! تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

ورابعًا: أن التفتازاني هذا الذي يفزع إليه الأستاذ الكوثري؛ بل يوجب على الأمة كافة أن تتحاكم إليه في أصول الدين والديانة، هو الذي يعتقد تجاه دليل قرآني سماوي قاطع؛ أنه دليل خطابي لا يفيد القطع، ولا يستلزم المطلوب قطعًا؛ بل هو دليل قناعي، وحجة قناعية، والملازمة عادية[1]! والتفتازاني هذا أخذ هذا المعتقد تجاه القرآن عن أبي هاشم المعتزلي، ولذلك نرى إمام الماتريدية أبا المعين النسفي يكفر أبا هاشم بهذا[2]، ولذلك ألف افتخار الدين

---

(١) شرح العقائد النسفية ٣٣ ـ ٣٤؛ بل صرح الغزالي بأن أثر حجج القرآن إقناعية غير قطعية. إلجام العوام ١١٣ ـ ١١٤، كما أن الرازي صرح بأن دلالة القرآن على التوحيد والتنزيه ضعيفة. أساس التقديس ١٩٢.

(٢) انظر: تبصرة الأدلة.

عبد اللطيف بن محمد الكرماني الخراساني الحنفي رسالة في برهان التمانع، وكفَّر فيها التفتازاني هذا، واستند إلى إمام هذه الطائفة أبي المعين النسفي في تكفيره أبا هاشم المعتزلي[١].

ولا شك في خطورة هذه المقالة الشنيعة، البشعة الفظيعة، لأنها تستلزم تجويز صانعين فأكثر للعالم، ولذلك زعم أبو هاشم: «أن لا دلالة في العقل على وحدانية الصانع، وإنما عرفناها بدلالة السمع، ولو خُلِّينا وعقولنا لجوَّزنا أن يكون للعالم صانعان وأكثر»[٢].

فهل يتوب الكوثري والكوثرية من التحاكم إلى رجل قد وقع في الكفر عند الماتريدية أنفسهم؟ وهكذا يسلط الله بعضهم على بعض: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[٣].

خامسًا: التحاكم بين أهل الإسلام ليس إلا إلى الكتاب والسنة، على ما فهمهما خيار هذه الأمة، الأمناء، العدول، الأثبات، الثقات، العالمين بالكتاب والسنة، والماهرين فيهما رواية ودراية فهمًا صحيحًا، والعاملين بما فيهما وفق عمل الصحابة والتابعين وتعاملهم.

ولا يجوز التحاكم قطعًا إلى كذَّاب غير مؤتمن على الدين، والتفتازاني هذا هو الذي ادعى رؤية النبي ﷺ «يقظة، وأنه تفل في فيه، فتضلع علمًا ونورًا»[٤]! نعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال

(١) انظر: المساير مع المسامرة، وشرح قاسم بن قطلوبغا ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) شرح قاسم بن قطلوبغا الحنفي على المسايرة لابن الهمام ٥٠.
(٣) الأنعام: ٦٥.
(٤) شذرات الذهب ٦/ ٣٢١، وصدَّق القصة وذب عنها ذاك الحنفي في تعليقه =

صوفي، فهم يظنون الباطل حقيقة وحقًا[1].

وهذا عين اتجاه هؤلاء الصوفية الملاحدة، الذين يقول أحدهم: «حدثني سيد الوجود، يقظة لا منامًا»[2]! وأشنع من هذا ما يقول: «حدثني قلبي عن ربي»[3]! وهذه غاياتهم، ونهاية مكاشفاتهم.

وإذا كان في الدنيا من يدعي رؤية الله تعالى يقظة، والتحديث عنه؛ بل رؤية النبي ﷺ يقظة، «وأنه تفل في فيّ»، فتضلع علمًا ونورًا، فلا غرو أن يوجد في الدنيا من يدَّعي رؤية إمام من أئمتهم، ومرشد من مرشديهم، وشيخ من مشائخهم، فقد هان الخطب، وصار يسيرًا، بعد ما كان صعبًا عسيرًا، فقد ادعى كبير علماء الحنفية الديوبندية، وصدر مدرسيها، الشيخ رفيع الدين، رؤية شيخ الطائفة الديوبندية، وإمامهم، ومؤسس مدرسة ديوبند، الشيخ محمد قاسم النانوتوي، بعد موته بزمان، يقظة بجسده العنصري البشري الإنساني، وأيَّد هذه القصة ذلك الإمام الحنفي، الذي يلقبونه بحكيم الأمة، ألا وهو الشيخ أشرف علي التهانوي، وراوي القصة، ذلك العالم الوحيد، القاري محمد طيب، رئيس جامعة ديوبند[4].

= على: إنباء الغمر بأنباء العمر، للحافظ ابن حجر ٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(١) كما قال السهيلي (٥٨١هـ)، صاحب روض الأنف، راجع كتاب: الرد على المنطقيين ٤٨٢، يأتيهم خيالات فاسدة، وهواجس ووساوس فاسدة، فيرونها حقائق، فهذا يدعي رؤية الله، وذلك يدعي رؤية النبي ﷺ، وذلك يدعي رؤية الشيخ.

(٢) جواهر المعاني، لذلك التيجاني ١/ ١٢٩، ٢/ ٢٢٨، ١/ ٣٠، ٣١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) انظر: أرواح ثلاثة ٢٦١ ـ ٢٦٢، ومكانة هذا الكتاب عندهم مرموقة معلومة بين كتب التراجم.

واسأل الكوثري وفرخه أبا غدة عن مكانة حكيم الأمة، الشيخ أشرف علي التهانوي[1].

وأما الجرجاني؛ فحاصل مساعيه أنه صار صوفيًا، نقشبنديًا، من أهل وحدة الوجود، على ميزان ابن عربي الملحد، بشهادة مذهبيِّه المحقق ولي الدين[2].

وسادسًا: حسب قاعدة قررها الكوثري نفسه: «فاقد الشيء لا يعطيه»[3]، وقاعدته التي قررها أيضًا: «للفقه رجال، وللرواية رجال»[4]، وقاعدة أخرى قررها أهل العلم، وخاصة الحنفية الديوبندية، ولا سيما أبو غدة: «يرجع في كل علم إلى أهله»[5].

فبناءً على هذه القواعد الثلاث، كيف يرجع إلى أمثال هؤلاء المتكلمين في باب توحيد الألوهية، وفنُّهم توحيد الربوبية؛ بل

---

(١) يقول الكوثري: «العلامة الأوحد، والحبر المفرد، شيخ المشائخ في البلاد الهندية، المحدث الكبير، والجهبذ الناقد، مولانا حكيم الأمة...»، مقالات الكوثري ٧٥، ويقول في حق كتابه: إعلاء السنن، الذي جمعه ابن أخته، الشيخ ظفر أحمد العثماني: «إني دهشت من هذا الجمع، وهذا الاستقصاء،... في الكلام على كل حديث،... متنًا وسندًا، من غير أن يبدو عليه آثار التكلف في تأييد مذهبه؛ بل الإنصاف رائده،... فاغتبطت به غاية الاغتباط...» ٧٦.
وتبعه أبو غدة وأقره، وزاد على نسج هذا العنكبوت ما ليس له رائحة الثبوت. انظر مقدمة أبي غدة لكتاب: إعلاء السنن ١/ ٣ ـ ٥.

(٢) انظر: حاشية ولي الدين على عصام على شرح العقائد ٢.

(٣) الترحيب مع تأنيب الكوثري ٣٠٣، ٣٣٠، ٣٣٤.

(٤) تأنيب الكوثري ١٧٢.

(٥) قواعد في علوم الحديث، للشيخ ظفر أحمد العثماني، تلميذ حكيم الأمة التهانوي، بتحقيق أبي غدة وإقراره ٤٠٤ ـ ٤٤١.

لجهلهم بتوحيد الألوهية قد فسروه بتوحيد الربوبية؛ بل غاية أمرهم الحيرة حتى في فنهم، فيُكفِّر هذا ذاك، وذلك ذاك، وإن كنتَ في شك من ذلك فارجع إلى ما هنالك من عقائدهم الحوالك، ومقالاتهم الهوالك[1]، في كتيباتهم المضلة، المملة، المخلة.

فكبير المتكلمين ومجتهدهم، ذلك الغزالي الصوفي، يشهد على نفسه بقوله: «وقد ضيعنا شطرًا صالحًا من العمر في تصنيف الخلاف منه، وصرفنا قدرًا صالحًا منه إلى تصنيف المذهب وترتيبه إلى بسيط ووسيط ووجيز، مع إيغال وإفراط في التشعيب والتفريع»[2].

وقال العلامة محمد طاهر، المعروف بشيخ القرآن، ذاك الحنفي الماتريدي الديوبندي الفنجفيري: «وقد قال العلماء: أمرضه الشفاء، وقال تلميذ ابن العربي: شيخنا دخل بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر، وكان يقول: أنا مزجي البضاعة في الحديث»[3].

وفي كتابيه: إماتة علوم الحديث، والمنقذ إلى الضلال؛ أفكار نصرانية، وأنظار خرافية باطنية، وأوابد عن المنقول، وشوارد عن المعقول، ويكفيك لشرح حاله وأقواله كتاب **الشيخ عبد الرحمٰن دمشقية**[4].

---

(١) سيأتي ـ بعون الله تعالى ـ تفصيل لخطأ تفسيرهم هذا، وجهلهم بتوحيد الألوهية، وبيان حيرتهم حتى في توحيد الربوبية، وانظر بعض الشيء من ذلك في الوجه السابع الذي يليه.

(٢) جواهر القرآن ودرره **٢٢**.

(٣) سمط الدرر، وانظر كتاب: الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام **٤٨٣**.

(٤) بعنوان: أبو حامد الغزالي والتصوف، الطبعة الأولى، من دار طيبة، الرياض سنة **١٤٠٦**، فتعرف حجة الإسلام، وقصيدة ابن العربي فيه:

وأما الفخر الرازي، ذلك الفيلسوف والمتكلم اليعسوب، الذي جمع في جعبته أوابد من قبله، فجعل عقله حاكمًا على النقل[1]، ووجه إلى السنن طعنه ونبله[2]، وخالف إجماع الكتب السماوية، والأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، في أن العرش خلق قبل السماوات والأرضين، ليتوسل به إلى إنكار صفة الاستواء[3].

والرازي هو الذي يعترف بأن العارفين لوجوب تنزيه الله عن هذه الصفات المذكورة في الكتاب والسنة جعلوا هذه الصفات طعنًا في نبوة محمد ﷺ، وقالوا لو كان رسولًا حقًا لكان عارفًا بربه، فحيث لم يعرف ربه؛ بل وصفه بصفات المحدثات؛ امتنع كونه

= برئنا إلى الله من معشر ... بهم مرض من كتاب الشفاء
فماتوا على دين رسطالس ... وعشنا على ملة المصطفى

معروفة، راجع مقدمة الدكتور جميل صليبا لكتاب: جواهر القرآن للغزالي ٣٤، والرجاء له أنه تاب، كما أن كتابه إلجام العوام كالتوبة عن الغلو في الكلام.

(١) إليك على سبيل المثال: «الظواهر المقتضية للجسمية والجهة لا تكون معارضة للأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل»، المحصل ٢٢٨.

(٢) مثل تلاعبه مع حديث كذبات إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، انظر: التفسير الكبير ١١/٢٢/١٨٥، وهو في حديث الشفاعة الكبرى أيضًا، وقد استدل به الكوثري، المقالات ٣٩٥، وحديث الجارية.

(٣) ويقول ابن القيم:

«يا قومنا اعتبروا بجهل ... شيوخكم بحقائق الإيمان والقرآن
أوما سمعتم قول أفضل وقته ... فيكم مقالة جاهل فتان؟
إن السماوات العلى والأرض قبل ... العرش بالإجماع مخلوقان
والله ما هذي مقالة عالم ... فضلًا عن الاجماع كل زمان
من قال ذا قد خالف الإجماع ... والخبر الصحيح وظاهر القرآن»

القصيدة النونية ١٩٤، وبشرح أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي ٢/٣٩٩ ـ ٤٠٠، وبشرح خليل هراس ٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩.

رسولًا حقًا[1]!

كما اعترف الرازي بأن هؤلاء المتكلمين زعموا أن هذه الآيات المتشابهات ـ آيات الصفات ـ سبب عظيم بضلال الخلق، ووقوعهم في التشبيه والتجسيم، فإما أن تكون الآيات الدالة على كون القرآن نورًا وشفاء كاذبة، وإما أن تكون الآيات الدالة على التجسيم والتشبيه باطلة كاذبة، وعلى التقديرين؛ فالطعن في القرآن لازم[2].

كما أن الرازي يعتقد: أن أدلة القرآن على التوحيد والتنزيه ضعيفة غير صريحة[3]!

ويعتقد هذا الفيلسوف: أن أحاديث الصفات وضعها الملاحدة، وروَّجوها على المحدِّثين، حتى في صحيح البخاري ومسلم، لأنهما ما كانا يعلمان الغيب!!

والدليل على أن هذه الأحاديث من أوضاع الملاحدة، حتى في الصحيحين: أن هذه الأحاديث مشتملة على ما يُبطل ربوبية الله وألوهيته، فلذلك قطعنا بأنها من أوضاع الملاحدة، ومن ترويجاتهم على أولئك المحدِّثين!

ثم هؤلاء المحدِّثين أمرهم عجيب، وهو أنهم يخرجون الرواة بأدنى علة، فيقولون: فلان رافضي لا تقبل روايته، وفلان قدري لا تقبل روايته، فما كان فيهم عاقل يقول: إنه وصف الله تعالى بما يبطل إلٰهيته وربوبيته فلا تقبل روايته، إن هذا من العجائب! ثم هذه

(١) انظر: أساس التقديس ١٨٩.
(٢) المصدر السابق ١٩٠.
(٣) المصدر السابق ١٩٠.

الأحاديث مروية عن الصحابة، والصحابة طعن بعضهم في بعض، فإن صَدَقَ الطاعن توجه الطعن إلى المطعون، وإن كذب توجه إليه، على كل حال توجه الطعن لازم، غير أننا نقبل رواياتهم في الفروع، أما في ذات الله وصفاته؛ فكيف يمكن البناء على هذه الروايات الضعيفة؟![1]

هذا هو الفخر الرازي الفيلسوف، الذي يتحاكم ويفزع إليه الكوثري، فهل الكوثري لا يزال يسميه شيخ الإسلام، وفخر الدين، وهل يسلِّم على إسلامه السلام، كما يسلم على إسلام شيخ الإسلام؟[2]

أما التفتازاني؛ فهو غريق في أسوأ ما عند المتكلمين، بعيد عن علوم السنة[3]، ولا سيما توحيد الألوهية، وقد عرفتَ عقيدته تجاه الكتب السماوية، والأحاديث النبوية، وأنها مشتملة على الدين الباطل، استدراجًا للناس إلى الدين الحق، مع ما سبق أن الرجل ادعى رؤية النبي ﷺ، وأنه تفل في فيه، فملأ صدره علمًا ونورًا، كذبًا وزورًا! فهذا دين هؤلاء.

---

(١) المصدر السابق ١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) انظر: الإشفاق ٨٩، حيث ادعى أن ابن تيمية خالف الإجماع.

(٣) تعرف حاله في البعد عن علوم الحديث بما يقول: «قال ﷺ: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم»، انظر: شرح العقائد النسفية ٥٨، كيف يحكم على كلام الناس أنه كلام الرسول ﷺ، هذا جهل، وأين مسألة خلق القرآن في زمن النبي ﷺ حتى يقول النبي ﷺ هذا؟! فهذا جهل آخر، ثم يقول: إن المراد منه الكلام النفسي، وأين في عقيدة الأنبياء والمرسلين اصطلاح المتكلمين الحيارى، هذا كلام لفظي وذلك نفسي؟! فهذا جهل ثالث.

فالقوم ليسوا أهل هذا الشأن، ولا من رجال هذا الميدان، فكيف يُتحاكم ويفزع إليهم في أصول الدين؟

وهذه كتبهم مليئة بالخرافات الكلامية، والخزعبلات الفلسفية، فهل بعد ذلك يجوز أن يقال عن كتب المحدثين أنها كتب الوثنية والشرك، وينبذ عقيدة المحدِّثين، ويطعن في عقيدتهم، وهم أقرب الناس إلى أنفاس رسول الله ﷺ؟

سابعًا: المتكلمون المساكين أشد الناس حيرة وشكًّا، وأكثرهم شبهًا ووساوس، وأوفرهم اضطرابًا وتناقضًا[1]، حتى في فنهم هم، وهو توحيد الربوبية؛ بل في وجود الباري تعالى، فضلًا عن غيره من المسائل الكبار، يقول أحدهم: «أكثر الناس شكًّا عند الموت؛ أصحاب الكلام»[2].

وقد قال الإمام أبو يوسف رحمه الله: «من طلب الدين بالكلام تزندق...»[3].

وقال لبشر المريسي: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسًا في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة»[4].

---

(١) راجع لبيان شكوكهم واضطرابهم: الحموية ١٤ ـ ١٥، ١١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١٠ ـ ١١، ١١٩.

(٢) الحموية ١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١١.

(٣) عيون الأخبار، لابن قتيبة (٢٧٦هـ) ٢/ ١٤١، ومناقب أبي حنيفة، للموفق المكي ١/ ٤٩٢، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز ٧٢؛ إلا إنه ذكر: (العلم) بدل: (الدين).

(٤) شرح الطحاوية ٧٢.

وقال ابن أبي العز: «وذكر الأصحاب في الفتاوى: أنه لو أوصى لعلماء بلده: لا يدخل المتكلمون، وأوصى إنسان أن يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم؛ فأفتى السلف أن يباع ما فيها من كتب الكلام، ذكر ذلك بمعناه في الفتوى الظهيرية»[1].

(وإليك بعض الأمثلة لتحيرهم وشكوكهم وتناقضهم وتوبتهم)

١ ـ الإمام الجويني (٤٧٨هـ) تحيره وتوبته، فقد تاب بعض التوبة، ورجع إلى عقيدة السلف، في كتابه: الرسالة النظامية[2]، وكما أعلن تحيُّره وتوبته الكاملة في أهم مسائل الصفات، ونقد مشائخه نقدًا علميًّا موفقًا، في كتابه: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية والحرف والصوت[3]، فيقول: «إنني كنت برهة من الدهر متحيرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، والحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيِّرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، . . . ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونًا بها، فكنتُ كالمتحيِّرِ المضطرب

(١) المصدر المذكور ٧٣، والفتوى الظهيرية، لظهير الدين محمد بن أحمد القاضي البخاري الحنفي (٦١٩هـ)، كشف الظنون ٢/ ١٢٢٦.

(٢) مطبوعة بتعليق الكوثري، فحرَّفها وخرفها، فإن كان حاله في تحريف الكتاب والسنة وأقوال الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، هان عليه تحريف كلام الجويني.

(٣) طبعت ضمن: مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٧٤ ـ ١٨٧، للمرة الأولى سنة ١٣٤٣هـ، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

في تحيُّره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره»[١].

وقال: «ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سماواته على عرشه؛ فإنه يبقى ضائعًا...»[٢].

وقال: «لقد خضتُ البحر الخضم، وتركتُ أهل الإسلام وعلومهم، وخضتُ في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي»[٣].

٢ ـ اضطراب الغزالي (٥٠٥هـ) وحيرته، قال شيخ الإسلام: «ولهذا تجد أبا حامد ـ مع فرط ذكائه، وتألهه، ومعرفته بالكلام والفلسفة، وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ـ ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف، ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف[٤]، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث، ومات وهو يشتغل في صحيح البخاري»[٥].

٣ ـ اعتراف ابن رشد (٥٢٠هـ)، فيقول: «ومن ذا الذي قاله في الإلهيات ما يعتد به»[٦].

---

(١) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية...، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٧٦.

(٢) المصدر المذكور ١/ ١٨٥.

(٣) انظر الحموية ١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١١، والتسعينية ٢٥١، على ما قاله الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة في تعليقه على الحموية ١٥.

(٤) انظر: المنقذ من الضلال، للغزالي ص: ١٢٢، وما بعدها، بتحقيق الدكتور عبد الحكيم محمود، الطبعة الخامسة، (١٣٨٥هـ).

(٥) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٢، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله.

(٦) تهافت التهافت، لابن رشد ٨٨، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٦٢، وارجع لبيان فلسفة ابن رشد وغموضه وأوابده؛ إلى كتاب شيخنا محمد بن =

٤ ـ الشهرستاني (٥٤٨هـ) يعترف بالحيرة:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها   وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر   على ذقن أو قارعًا سن نادم[(١)]

وقال: «فعليكم بدين العجائز، فهو من أسنى الجوائز،... فحيثما كان العجز أشد، كان اليقين أوفر وأكدَّ...»[(٢)].

٥ ـ الفخر الرازي (٦٠٦هـ)، فهو يعترف بالحيرة، ويتوب من علم الكلام، فيقول:

نهاية إقدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[(٣)]

= أمان الجامي، رئيس شعبة العقيدة بالدراسات العليا، بالجامعة [الإسلامية]: العقل والنقل عند ابن رشد ١٠، والمطبوع مع محاضراته الأخرى: أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام ١٤٢.

(١) نهاية الإقدام ٣، تحقيق ألفيرد جيوم، وانظر الأبيات في درء التعارض ١/ ١٥٩، والحموية ١٤، ومجموع الفتاوى ٥/ ١٠.
تنبيه: وذكر الدكتور محمد رشاد سالم في معارضته الشهرستاني بيتين للأمير اليماني رحمه الله، ذكر أنه وجدهما على هامش (ص، ط)، بخط الأمير وهما:

لعلك أهملت الطواف بمعهد   الرسول ومن لاقاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدى محمد   ولست تراه قارعًا سن نادم

تعليق الدكتور الغيور، محمد رشاد سالم على درء التعارض ١/ ١٥٩.

(٢) نهاية الإقدام، للشهرستاني ٤.

(٣) انظر: درء التعارض ١/ ١٦٠، الحموية ١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١٠، وأحال شيخ الإسلام على كتاب الرازي: أقسام اللذات، وقال الدكتور محمد رشاد سالم: «وهذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان =

وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[2]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾[3]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾[4]، ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي»[5].

وبجانب ذلك استمع ما يقول شيخ الإسلام حول الرازي: «وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن

= ضمن مؤلفات الرازي...»، تعليقه على درء التعارض ١/ ١٦٠، وانظر أبيات الرازي هذه مع زيادات في: وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٠، لابن خلكان (٦٨١هـ)، وطبقات الشافعية، للسبكي (٧٧١هـ) ٥/ ٤٠، وطبقات الشافعية، للأسنوي (٧٧٢هـ) ٢/ ٢٦١، وطبقات المفسرين، للداودي (٩٤٥هـ) ٢/ ٢١٨، وطبقات الشافعية، للحسيني (١٠١٤هـ) ٢١٨.

(١) طه: ٥، فاطر: ١٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) طه: ١١٠.

(٤) مريم: ٦٥.

(٥) نقله شيخ الإسلام في كتابه درء التعارض ١/ ١٦٠، عن كتاب الرازي: أقسام اللذات، وانظر أيضًا: الحموية ١٥، ومجموع الفتاوى ٥/ ١١، والفرقان بين الحق والباطل، تحقيق: حسين يوسف غزال ١٥٢، وضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٩٧، ومجموع الفتاوى ١٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩، ومعارج الوصول، ضمن المجموعة المذكورة ١/ ١٨٥، وضمن مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٩، وأيضًا ارجع لهذا النص كاملًا أو ناقصًا إلى: طبقات الشافعية، للسبكي (٧٧١هـ) ٥/ ٣٧، وطبقات الشافعية، لابن شهبة (٨٥١هـ) ٢/ ٨٢ ـ ٨٣، وطبقات المفسرين، للداودي (٩٤٥هـ) ٢/ ٢١٧، حتى لا يسلم الكوثري على إسلام شيخ الإسلام.

الإسلام، كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب، وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته، ورغَّب فيه، وهذه ردة عن دين الإسلام باتفاق المسلمين، وإن كان قد يكون رجع إلى الإسلام»[1].

٦ ـ والآمدي (٦٣١هـ)[2][3] كثيرًا ما يذبذب ويتردد فيتوقف[4]،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ٥٥، ٤/ ٥٥، ودرء التعارض ١/ ١١١، ٣١١، وانظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٤٠، ولسان الميزان ٤/ ٤٢٦.

(٢) **الآمدي** هو: علي بن أبي علي بن محمد، المتكلم الكبير الفقيه الأصولي، الملقب بسيف الدين، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٤، وذكر الذهبي من مخازيه: ترك الصلاة! انظر: سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٦، والميزان ٢/ ٢٥٩، واللسان ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥، وهكذا يكون أئمة الكوثري في الكلام، الذين يُفزع إليهم في أصول الدين، وقال العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى الشرقي النجدي: «وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ويهودها، فاتهم لذلك في عقيدته، ففر إلى مصر خوفًا من الفقهاء...»، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، في شرح القصيدة النونية ٢/ ١٩٤. قلت: لا شك أن مقالات المتكلمين من التعطيل وغيره مأخوذة من اليهود والنصارى؛ بل من فلاسفة اليونان، قال شيخ الإسلام: «فإن اليهود لهم بالمعتزلة اتصال، وبينهما اشتباه، ولهذا كانت اليهود تقرأ الأصول الخمسة التي للمعتزلة،... كما أن كثيرًا من زهاد الصوفية يشبه النصارى»، درء التعارض ٧/ ٩٤. فعلى هذا فلينسب الكوثري من «أن ابن تيمية، وابن القيم، والدارمي، وعبد الله بن أحمد؛ وثنية، عباد الوثن والصنم، والآخذين أسوأ ما عند اليهود واليونانيين وعباد البقر»، المقالات ٣٠١، ٣٣٢.

(٣) في المخطوط هنا ـ بخط صغير للوالد رحمه الله تعالى ـ أعلى الصفحة: والآمدي هو الذي انتزع ابن الصلاح منه مدرسة معروفة. مجموع الفتاوى ١٨/ ٥٢ ـ ٥٣.

(٤) ارجع لتوقفات الآمدي في أهم مسائل الكلام وكبارها، كمسألة النفس، ومسألة وحدة الكلام، ومسألة العلم الحادث، إلى تعليق الدكتور الغيور، محمد رشاد سالم، على كتاب: درء التعارض ١/ ١٦٤.

قال شيخ الإسلام: «بل هؤلاء الفضلاء الحذاق، الذين يدَّعون أن النصوص عارضها من معقولاتهم ما يجب تقديمه، تجدهم حيارى في أصول مسائل الإلهيات، حتى مسألة وجود الرب تعالى وحقيقته، حاروا فيها حيرة أوجبت أن يتناقض هذا، كتناقض الرازي، وأن يتوقف هذا، كتوقف الآمدي، ويذكرون عدة أقوال يزعمون أن الحق ينحصر فيها، وهي كلها باطلة»[(١)].

هذا هو الآمدي، على أنه كان متهمًا بترك الصلاة، وفساد المعتقد، مع أن شيخ الإسلام صرح «أنه لم يكن في وقته أكثر تبحرًا في الفنون الكلامية والفلسفية منه، وكان من أحسنهم إسلامًا، وأمثلهم اعتقادًا»[(٢)]، هذا حال الآمدي، فكيف بغيره؟

وفي ذلك يقول ابن القيم، ذلك القيم:

وابن الخطيب وحزبه من بعده ... لم يهتدوا لمواقع الفرقان
بل خبطوا نقلًا وبحثًا أوجبا ... شكًّا لكل ملدد حيران
هل ذات رب العالمين وجوده ... أم غيره؟ فهما إذًا شيئان
فيكون تركيبًا محالًا ذاك إن ... قلنا به فيصير ذا إمكان
وحكوا أقاويلًا ثلاثًا ذينك الـ ... قولين إطلاقًا بلا فرقان
والثالث التفريق بين الواجب الـ ... أعلى وبين وجود ذي الإمكان
وسطوا عليها كلها بالنقض والـ ... إبطال والتشكيك للإنسان
حتى أتى من أرض آمد آخر ... ثور كبير؛ بل حقير الشان
قال الصواب الوقف في ذا كله ... والشك فيه ظاهر التبيان

(١) درء التعارض ١/ ١٦٤، وارجع إلى تعليق ذلك الدكتور الغيور.
(٢) مجموع الفتاوى ١٨/ ٥٣.

هذا قصارى بحثه وعلومه أن شك في الله العظيم الشان[1]

٧ ـ وقال محمد بن نامارو (باماردين)[2] الخونجي (٦٤٦ أو: ٦٤٩هـ)، وقت الموت: «أموت ولم أعرف شيئًا، إلا أن الممكن يفتقر إلى الممتنع»، ثم قال: «الافتقار وصف سلبي، أموت ولم أعرف شيئًا»[3].

٨ ـ وهذا أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، المعروف بابن أبي الحديد (٦٥٥هـ)، يقول: «فيك يا أغلوطة الفكر حار أمري، وانقضى عمري»[4].

٩ ـ قال شيخ الإسلام: «وقد حكي لي أن بعض الأذكياء ـ وكان قد قرأ على شخص، هو إمام بلده، ومن أفضل زمانه في الكلام والفلسفة وهو ابن واصل الحموي[5] ـ أنه قال: اضطجع على

(١) القصيدة النونية ١٣٨، وبشرح أحمد بن إبراهيم الشرقي النجدي ٢/ ١٨٧ ـ ١٩٤، وبشرح خليل هراس ٢/ ٣١ ـ ٣٢.

(٢) هو محمد بن نامارو، أو محمد بن باماردين بن عبد الملك الخونجي الشافعي (٦٤٩هـ)، فلسفي، منطقي، متكلم كبير، ترجمته في: مفتاح السعادة ٢/ ٢٧٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٦، والأعلام ٧/ ١٢٢.

(٣) درء التعارض ١/ ١٦٢، ورواه شيخ الإسلام بالإسناد المتصل عنه، في كتاب: الرد على المنطقيين ١١٤، وضمن مجموع الفتاوى ٩/ ١١٣ ـ ١١٤، وانظر: جهد القريحة في تجريد النصيحة، للسيوطي ٢٢٨، مطبوع مع كتاب السيوطي: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، والمراد بالنصيحة: نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان، الذي اختصره السيوطي إلى كتاب: جهد القريحة؛ وهو عين كتاب: الرد على المنطقيين، ومختصره موجود في مجموع الفتاوى أيضًا ٩/ ٨٢ ـ ٢٥٥.

(٤) درء التعارض ١/ ١٦١.

(٥) هو محمد بن سالم بن نصر الله، منطقي مؤرخ (٦٩٧هـ)، ترجمته في: =

فراشي وأضع الملحفة على وجهي وأقابل أدلة هؤلاء وأدلة هؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي شيء»[(١)].

١٠ ـ وقال: «وكل من طائفتي النفي الإثبات، فيهم من الذكاء والعقل والمعرفة ما هم متميزون به على كثير من الناس، وهذا يقول: إن العقل الصريح دلَّ على النفي، والآخر يقول: العقل الصريح دلَّ على الإثبات»[(٢)].

ويقول: «وكثير من حُذَّاق النُّظَّارِ حار في هذه المسائل، حتى أذكياء الطوائف ـ كأبي الحسين البصري، وأبي المعالي الجويني، وأبي عبد الله بن الخطيب، [يعني: الرازي] ـ حاروا في مسألة الجوهر الفرد، فتوقفوا فيها تارة، وإن كانوا قد يجزمون بها أخرى، فإن الواحد من هؤلاء تارة يجزم بالقولين المتناقضين في كتابين أو كتاب واحد، وتارة يحار فيها، مع دعواهم أن القول الذي يقولونه قطعي برهاني عقلي لا يحتمل النقيض، وهذا كثير في مسائل الهيئة ونحوها من الرياضيات، وفي أحكام الجسم وغيره من الطبيعيات، فما الظن بالعلم الإلهي»[(٣)].

وقال: «والهيئة علم رياضي حسابي، هو من أصح علومهم، فإذا كان هذا اختلافهم فيه، فكيف بالطبيعيات أو المنطق؟ فكيف

= الوافي بالوفيات ٣/ ٨٥ ـ ٨٦، نكت الهميان ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

(١) درء التعارض ١/ ١٦٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٦، قلت: ارجع لبعض الأمثلة إلى شرح المواقف، للجرجاني ٨/ ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، وغيرها، وشرح العقائد، للتفتازاني ٩، ١٩.

(٣) درء التعارض ١/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

بالإلهيات؟»[1].

قلت: ارجع كذلك لتحير التفتازاني في مسائل شتى من أهم المسائل في الكلام، كإثبات الجوهر الفرد ونفيه، والقديم والواجب، وهل الصفات واجبة أو قديمة[2].

والسر في ذلك: أن كل من كان أبعد عن السنة كان أشد تنازعًا وحيرة وشكًّا، فاعتبر بمتكلمة الإثبات.

أما المعتزلة؛ فأكثر اختلافًا منهم، ثم البغداديون منهم أكثر اختلافًا من البصريين، لأنهم أقرب إلى السنة.

وأما الشيعة؛ فأعظم تفرقًا من المعتزلة، لأنهم أبعد عن السنة منهم، وأما الفلاسفة؛ فلا يجمعهم جامع؛ بل هم أعظم اختلافًا من جميع طوائف المسلمين، واليهود، والنصارى[3].

ولذلك يصفهم شيخ الإسلام بقوله: «المحجوبون، المفصولون، المسبوقون، الحيارى، المتهوِّكون»[4].

---

(١) درء التعارض ١/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) شرح العقائد ٢٧، ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) مأخوذ من كلام شيخ الإسلام في درء التعارض ١/ ١٥٧، وقال الإمام ابن القيم:

فتشابهت تلك الأمور عليهم ... مثل اشتباه الطرق بالحيران
فترى أفاضلهم حيارى كلها ... في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت على الطرق لا ... أدري الطريق الأعظم السلطاني

القصيدة النونية ١٩٦ ـ ١٩٧، ومع شرح الشرقي النجدي ٢/ ٤١١، ومع شرح خليل هراس ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٤) الحموية ١٥، وضمن مجموع الفتاوى ٥/ ١١.

«إذا نظرت إليهم بعين القدر ـ والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ رحمتهم، ورفقت عليهم، [ترفقت بهم]، أوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاءً، أعطوا فهومًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة، ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾»[(١)].

ويقرر أن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة، وأن المعتزلة الجهمية الذكور، والأشعرية الجهمية الإناث[(٢)].

فإذا كان حال هؤلاء المتكلمين حتى في أهم مسائل فنِّهم، كيف يجوز التحاكم والفزع إليهم، ولا سيما في أبواب توحيد الألوهية وما يضاده من الشرك، والسنن وما يضادها من البدع، وهم أهل بدع وفتن؟!

تالله قد لاح الصباح لمن له   عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمايته يقو   ل الليل بعد أيستوي الرجلان[(٣)]

---

(١) المصدر الأول ١٥، والثاني ٥/١١٩، والاقتباس من سورة الأحقاف: ٢٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٦/٣٥٩.

(٣) القصيدة النونية ١٨٣. هذا من جانب، ومن جانب آخر: رُدَّ كيد الكوثري في نحره، في محاولة إثبات حماقة المحدثين، وأنهم بله، وأنهم أغمار جهلة، يقولون ما لا يفهمون، فيظهرهم مظهر الحيارى الحمقى، ليرفع عنهم الاعتماد، ويكبر كل وهم أو تحريف أو خطأ وقع منهم، فيجعل الحبة قبة، ويلصق التهمة بهم! انظر: تأنيب الكوثري ٩ ـ ١٠، ١٢، ٥٨، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ١٠٢، ١١١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٨١، ٢٠٦، ٢٢٧، ٢٢٩، وغيرها. فلا يجوز للغربال أن يعير الكوز، بأن يقول له: فيك ثقبان، مع أن الغربال فيه أكثر من ألف ثقب.

ثامنًا: أن الكوثري له رأي خطير جدًّا جدًّا في الرازي من ناحية العقيدة والفروع، فكيف يتحاكم إليه الكوثري بعد هذا؟ فالرازي عند الكوثري جامع للأكاذيب، عن كَذَبَةٍ معروفين.

وهو عند الكوثري من الجبرية، على طبق ما ذكره ابن سينا.

كما أن الكوثري اعترف بأن من معتقدات الرازي القول بإمكان الصفات في ذاتها، والوجوب بالغير، وتهوين أمر القول بقدم العالم، على مذاهب الفلاسفة، كما يعترف الكوثري بأن الرازي هذه حاله في العلم الذي أفنى فيه عمره، فكيف في العلوم التي عرف بقلة البضاعة فيها؟!

ويقول الكوثري: «بل كتبه في الفلسفة لقيت انتقادًا مريرًا من فلاسفة الإسلام».

ثم نقل الكوثري عن الشمس الشهروزي الحكيم الإشراقي، في: نزهة الأرواح: أن الرازي لا يُذكر في زمرة الحكماء المحققين، ولا يُعَدُّ في الرعيل الأول من المدقِّقين، أورد على الحكماء شكوكًا كثيرة وسيبها، وما قدر أن يتخلص منها، وأكثر من جاء بعده ضل بسببها...

كما أثبت الكوثري تناقضات الرازي في علم الكلام والفلسفة، فيقول الكوثري: «تراه يحاول إبطال الجزء الذي لا يتجزأ ببراهين يسردها في كتاب له، ثم تراه يحاول إثباته ببراهين أخرى في كتاب له آخر، وربما يخالف المتكلمين والفلاسفة في آن واحد، كما فعل في العلم بالنتيجة، فيؤدي إلى وجوب شيء على الله، على خلاف معتقد أهل الحق»، ثم يقول الكوثري: «وأما الفخر؛ فكانت مواهبه توزعت على شتى العلوم، وقد صرف جل عمره إلى علوم الفلسفة

والكلام ونحو ذلك...»[1].

فالرازي عند الكوثري ضال مضل جبري، قائل بإمكان الصفات، وتهوين القول بقدم العالم، ليس من المحققين، ولا من المدققين، حتى في العلم الذي أفنى فيه عمره وقدراته، وتوزعت مواهبه، وتناقضت أفكاره، فكيف يجوز للكوثري أن يجعل أمثال هؤلاء أئمة أصول الدين يُتحاكم ويُفزع إليه في مهمات الدين، ويعتمد عليه في العقيدة دون أئمة الحديث؟!

تاسعًا وعاشرًا: موقف المتكلمين من النصوص الشرعية، (الكتاب والسنة)، وموقفهم من كتب المحدثين، أهل السنة والجماعة حقًا وصدقًا:

إن هؤلاء المتكلمين الذين يتحاكم إليهم الكوثري ويفزع إليهم، لهم مواقف خطيرة من النصوص الشرعية، وأدلة الكتاب والسنة، فهي لا تصلح عندهم أن تكون مصدرًا لتلقي العقيدة، ولذلك يقولون ما يلي:

١ ـ إن النصوص الشرعية عندهم أدلة لفظية ظنية، لا تفيد اليقين إلا بشروط ذكروها في كتبهم[2]!

٢ ـ وأن الأدلة العقلية قطعية، تفيد العلم اليقيني[3]!

---

(١) انظر: مقدمة الكوثري لكتاب: الغرة المنيفة، لسراج الدين عمر الغزنوي الحنفي ٧ ـ ١٠.

(٢) انظر: شرح العقائد النسفية ٥، ٤٢، وشرح المواقف ٨/ ٢٤، ونشر الطوالع ٢٢٨، وحاشية أحمد الجندي على شرح العقائد ١٠١، وحاشية عبد الحكيم على حاشية الخيالي على شرح العقائد ١٨٤، وإشارات المرام ١٩٩، والمواقف، للإيجي ٤٠، وغاية المرام، للآمدي ٦٧، ١٠٩، ١٣٨، ٢٠٠.

(٣) راجع شرح العقائد النسفية ٤٢، وشرح المواقف ٨/ ٤٢، وإشارات المرام ١٩٩، وغيرها.

٣ ـ وعند تعارض الأدلة النقلية والعقلية تقدم العقلية، لأنها هي الأصل[١]!

٤ ـ ولا تؤوَّلُ الأدلة العقلية[٢]؛ بل تأويلها محال[٣]!

٥ ـ أما الأدلة النقلية المتواترة؛ فإذا كانت مخالفة للعقل فلا يُتصوَّر أن تكون نصًا؛ بل تكون ظواهر تحتمل التأويل ولا بد[٤]!

٦ ـ وأما إذا كانت أخبار آحاد، فإن كانت نصًا لا تحتمل التأويل؛ يجب القطع بافتراء قائلها سهوًا أو غلطًا، وإن كانت ظاهرة؛ فظاهرها غير مراد[٥]!

٧ ـ لا يُعوَّل على ظاهر النصوص (الآيات والأحاديث)[٦]، فلا تثبت بها العقيدة.

٨ ـ أما أخبار الآحاد؛ فهي ظنية أيضًا[٧]!

٩ ـ فلا تثبت بها العقيدة[٨]!

---

(١) المسايرة على المسامرة ٣٣، وشرح العقائد النسفية ٤٢، وإشارات المرام ٩٩٩، ونشر الطوالع ٢٢٨.

(٢) المصادر المذكورة.

(٣) نشر الطوالع ٢٢٨.

(٤) المسامرة على المسايرة ٣٣، وشرح الإحياء، للزبيدي ٢/ ١٠٥ ـ ١٦.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) شرح المواقف ٨/ ١١٠، ١١١.

(٧) كتاب التوحيد، للماتريدي ٩، إشارات المرام ١٩٩، البداية في الكفاية، للصابوني ٩٣، ٧٧، المسايرة مع المسامرة ٢٠٣، شرح العقائد النسفية ١٧، ٢٢، كشف الأسرار، شرح أصول البزدوي ١/ ٨٤، ٢/ ٣٨٨، المغني، للخبازي ١٩٥.

(٨) انظر: كتاب التوحيد، للماتريدي ٩، إشارات المرام ٩٩، مقدمة الكوثري =

١٠ - أخبار الآحاد لا تُقبل في العقيدة، ولا نشتغل بتأويلها ولا برديتها؛ لأن ذلك حكم بالمظنون واعتماد عليه[١]!

١١ - أكثر أدلة القرآن خطابية إقناعية، غير قطعية، مفيدة للعوام، تزال بتشكيك المشكك[٢]!

١٢ - أحاديث الصفات مشتملة بما تبطل إلهية الله وربوبيته[٣]!

١٣ - كتاب التوحيد، لابن خزيمة: كتاب الشرك[٤]!

١٤ - كتاب السنة، للإمام ابن الإمام عبد الله بن أحمد: كتاب الوثنية والزيغ[٥]!

١٥ - كتاب نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي وابن شجاع البلخي: كتاب الكفر والوثنية[٦]!

١٦ - هذه الآيات المتشابهات؛ سبب عظيم لضلال الخلق، ووقوعهم في التجسيم والتشبيه[٧]!

١٧ - إن هذه الظواهر لا محالة انخراط في سلك نظام التجسيم، ودخول في طرف دائرة التشبيه، وفي ذلك ضلال، وفي

= للعالم والمتعلم، لأبي حنيفة ٧، البداية من الكفاية ٩٣، المسايرة على المسامرة ٢٠٣، كشف الأسرار ١/٧.

(١) إلجام العوام، للغزالي ٧١.
(٢) المصدر السابق ١١٣ - ١١٤.
(٣) أساس التقديس، للرازي ١٧١.
(٤) التفسير الكبير، للرازي ٢٧/١٥١، ومقالات الكوثري ٣٣٠.
(٥) مقالات الكوثري ٣٢٤ - ٣٣٢، ٣٠١.
(٦) مقالات الكوثري ٢٨٢ - ٣٠٧.
(٧) أساس التقديس، للرازي ١٩٠.

طيه محال[1]!

١٨ ـ نصوص الصفات على خلاف الدين الحق، (وهو التنزيه)، موهمة للتشبيه، مخلوطة بشيء من التنزيه، استدراجًا للناس إلى الدين الحق، حتى لا يتنفروا عن قبول الدعوة، فلو كانت النصوص صريحة في تنزيه الله، وأنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصلًا به، ولا منفصلًا عنه، ولا في جهة؛ لأنكروا وجود الله، ولقالوا: إنه معدوم، فلذلك جاءت النصوص الشرعية موهمة للتشبيه استدراجًا لهم، فكان هذا أصلح لهم، وأنسب لدعوتهم[2]!

١٩ ـ ظواهر الكتاب والسنة بأسرها ظنية، لا يسوغ استعمالها في مسائل قطعية، فلهذا آثرنا الإعراض عنها، ولم نشغل الزمان بإيرادها[3]!

٢٠ ـ إن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال إنها صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إنْ جوَّزنا التأويل على سبيل التبرع، . . . أو نفوِّض، . . . فهذا هو القانون الكلي[4]!

٢١ ـ الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر[5]!!

(١) غاية المرام، للآمدي ١٣٨.

(٢) انظر شرح المقاصد، للتفتازاني، وإشارات المرام ١٩٨، وإلجام العوام ١٠٢ ـ ١٠٣، وميزان العمل ١٧٣، كلاهما لمن يلقبونه: حجة الإسلام، وأساس التقديس ١٩٢، الذي هو أساس الجهمية، لمن يسمونه: فخر المتكلمين والمحققين الرازي.

(٣) غاية المرام، للآمدي ٢٠٠.

(٤) أساس التقديس، للرازي ١٦٨، ١٨٣.

(٥) شرح الكبرى، للسنوسي، وحاشية الصاوي على الجلالين ١/ ١٤٠، ٣/ ١٠.

٢٢ ـ الطريق إلى معرفة الحق ليس الكتاب والسنة، بحجة أن حجتهما لا تُعرف إلا بالنظر العقلي[١]!

٢٣ ـ أحاديث الصفات في كتب الحديث في الصحيحين وغيرهما من وضع الملاحدة، وترويجاتهم على أولئك المحدثين[٢]، فأحاديث الصفات عندهم من وضع الزنادقة والملاحدة حتى في الصحيحين! سبحان الله! أي علم أفسدوا[٣].

٢٤ ـ المحدثون يجرحون الرواة بأدنى علة، كقولهم: فلان رافضي لا تقبل روايته، وفلان قدري لا تقبل روايته، أفما كان فيهم عاقل يقول: إن فلانًا وصف الله بما يبطل إلهيته وربوبيته فلا تقبل روايته؟[٤] سبحان الله! فلا يقبل جميع روايات المحدِّثين من أحاديث الصفات؛ لأنها تبطل إلهية الله وربوبيته!

٢٥ ـ ألفاظ القرآن لا تدل على التوحيد والتنزيه على سبيل التصريح، إلا دلالة ضعيفة[٥]!

فإذا كان هذا موقف المتكلمين من الكتب الإلهية، والأحاديث النبوية، والنصوص الشرعية؛ كيف يؤتمنون على الإسلام وأصول الدين؟ وكيف يجوز التحاكم إلى هؤلاء؟ سبحان قاسم العقول!

---

(١) شرح الكبرى، للسنوسي.

(٢) أساس التقديس ١٧١، وقريب منه قول الكوثري دفاعًا عن الثلجي، انظر: مقالات الكوثري ٢٨٦.

(٣) الكلام هنا غير مكتمل، ولعل الشيخ رحمه الله تعالى أراد التعليق على هذه الفقرة، فشغل بغيرها.

(٤) أساس التقديس ١٧٠ ـ ١٧١.

(٥) المرجع السابق ١٩٢، هذا هو أساس الجهمية.

ج ـ وأما لجوء الكوثري إلى الرؤيا والمنامات[1] في جواز التوسل الخرافي الشركي، وإثبات تصرفات الأرواح في شؤون العالم وتدبيره، ولا سيما منامات الرازي[2] والفردوسي[3]، ذلك الشاعر الفارسي؛ بل الاستدلال بمشورة روح رستم بن فرخ زاد، ذلك الكافر المجوسي، ملك الفرس، نيابة عن بوران بنت كسرى، الذي فعل الأفاعيل ضد المسلمين، والذي قتله الله ﷺ يوم القادسية[4].

فأقول أولًا: ألا يستحيي الكوثري أن يستدل بالمنامات والرؤيا، ولا سيما برؤيا العوام من الشعراء، ويستنصر بالأرواح، حتى أرواح الكفار المجوس، عبدة النار والبقر، والكوثري هو الذي يشن الغارات والطعون على أهل الحديث إذا رأى أحدهم يستأنس برؤيا رجل صالح؟ فيقول الكوثري: «فلعل الحشوية هم الذين اضطروه إلى ذلك، لأنهم إذا أعوزتهم الحجة في اليقظة، يلجأون إلى النوم، فيجدون ما يتطلبونه من الحجج في المنام، فيملأون كتبهم بالرؤى...»[5].

ويقول في صدد الرد على رؤيا ذكرها الخطيب: «أقول: أتى الآن دور الرؤيا، وخصوم أبي حنيفة لا يُلحقون في هذا الميدان،... وأما الرؤيا الصادقة من الصادقين، فغاية ما يقال فيها:

(١) انظر: مقالات الكوثري ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٩.
(٢) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢.
(٣) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢، ٣٨٣.
(٤) انظر: البداية والنهاية ٧/ ٢٦ ـ ٢٧، ٤٤.
(٥) مقدمة الكوثري لكتاب: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ٢١ ـ ٢٢.

أنها من قبيل الإلهام، فللرائي أن يأخذ بها في خاصة نفسه، إذا لم تصادم شرع الله،... ولا يصح الاحتجاج بها بحال في المسائل العلمية والأحكام الشرعية، والإلهام ليس من أسباب المعرفة عند أهل الحق، وكم في الكتب المؤلفة في مناقب أبي حنيفة من الرؤى ما يضاد تلك الرؤيا، لكن لا أستسيغ نقلها هاهنا، لأن ذلك ليس من طريق أهل العلم، والله سبحانه يتولى هدانا، ويوجد بين أهل السنة من عداد الأئمة من يرى ما سوى رؤيا الأنبياء خيالًا باطلًا، والغريب أن الخصوم إذا ضاقت حجتهم يلجأون إلى السباب، ثم إلى النوم، فيجدون فيه ما يشاؤون من الحجج، حتى إنك تجد بينهم من يجعل النبي ﷺ يحضر مجلس إقراء الخطيب لتاريخه ذلك، التاريخ المكتظ بأكاذيب مكشوفة في أخبار الناس، وبأحاديث موضوعة يسردها الخطيب بدون أن يُبيِّن وصفها، كما لا يخفى على أهله، ولا يكون منشأ هذا إلا رقة الدين، والنفاق الكمين، كما لا يكون الاغترار بمثل ذلك إلا من اختلال في العقل، أو ضعف في اليقين»[1].

وأقول ثانيًا: من حفر بئرًا لأخيه وقع فيه، ورمتني بدائها وانسلت، ويقولون ما لا يفعلون.

الآن جاء دور الكوثري في المنامات، بعد أن أوزعته الحجج، وهكذا سنة الله تعالى في خصوم الحق من التوحيد والسنن وأهله، فكيف يُلحقون في هذا الميدان؟

وكما أقر به الكوثري أن الرؤيا حالها ما سطرها بنفسه، كيف

(١) تأنيب الكوثري ١٧٦ ـ ١٧٧، بنصه وفصه.

يستدل بها في المسائل العلمية والشرعية؛ بل في القضاء على ما بعث لأجله الرسل، وأنزل لأجله الكتب، وخلق لأجله الجن والإنس، من توحيد العبادة، ولا سيما رؤيا أمثال الرازي؛ بل الفردوسي، الذي استنصر بروح ذلك المجوسي الكافر، عدو الله وعدو المسلمين، ملك الفرس، الذي لعب بالمسلمين ما لعب، حتى قتله الله يوم القادسية، فخر منكوسًا من عرشه على منخريه.

ثم تبيَّن للمسلمين أن الكوثري هو الذي لجأ إلى السباب، فيطلق على أئمة الإسلام ونجوم الهدى كلمات نابتة، وشتائم فاضحة واضحة، أمثال: الحشوي، المجسم، الوثني، عابد الصنم، عابد الوثن، المتعصب، الهالك، الكذاب، الأفاك، الباهت، الدجال، البهات، ملون، بليد، تيس، حمار، أحمق، الجاهل، الكافر، من إخوان اليهود والنصارى، إلى غير ذلك مما سطره في كتبه، التي سوَّد بها وجهه، وقد تتبعت سبابه فجمعت أكثر من ألف سب وشتم، فسئمت من تتبع مخازي الرجل، فتركت، وكنت في أول السير، فلا أدري ما مقدار تلك الخبايا في الزوايا.

وإمامة الخطيب ومكانة كتابه التاريخ؛ فإن لم يعرفها الكوثري، فليرجع إلى أقوال النقاد من أهل الشأن، أمثال: الكتاني، وابن الأكفاني، وابن ماكولا، والسمعاني، وابن النجار، والسبكي، وابن عساكر، والذهبي، وابن حجر وغيرهم، إن كان الكوثري ممن لا يعرفونها، وقد وثقه أئمة الإسلام واعتمدوا عليه، وجعله دارقطني زمانه، وخاتمة المحدثين الحفاظ، وأئمة الإسلام بعد الخطيب عيال عليه وعلى كتبه، وقد نهل من منهله، واقتبس من نوره، ولا سيما

تاريخه العظيم؛ أئمة كبار، أمثال: ابن ماكولا (٤٧٥هـ)، وأبي يعلى (٥٢٦هـ)، والسمعاني (٥٦٢هـ)، والسلفي (٩١١هـ)، وابن نقطة، والحموي (٦٢٦هـ)، وابن خلكان (٦٨١هـ)، وابن القوطي (٧٢٣هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، وابن فرحون (٧٩٩هـ)، والسبكي (٧٧١هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، والسيوطي (٩١١هـ)، والداوودي (٩٤٥هـ)؛ بل إمام الكوثري، ذلك السبكي (٧٧١هـ)، وإمامه ابن الجوزي (٥٩٧) في التأويل.

وتاريخه يعد هو الذي حفظ للأمة (٧٨٣١) ترجمة لأعلام الإسلام، و(٤٤٦) كتاب من كتب أهل الإسلام[١].

وهذه الشهادة من أئمة الأمة، واعتمادهم عليه وعلى كتبه إن يدل على شيء فإنما يدل أولًا على مكانة هذا الرجل وأهمية كتبه، وثانيًا على بهت من يتهم الخطيب بالكذب والبهت، وفساد العقيدة؛ بل بحب الصبيان المردان، وعشقهم، والاختلاء بهم، والمبيت معهم؛ بل كاد أن يقذفه الكوثري باللواط، كما قذفه بترك الصلاة عمدًا[٢]!

فإن صحت تلك الرؤيا في منقبة الخطيب وكتابه؛ فليس فيها ما ينابذ العقل والنقل.

بل هذا أهون بكثير مما ادعى بعض الحنفية: أن سند تنوير الأبصار، وشرحه الدر المختار؛ وصل إلى الله تعالى!! مع ما فيها

(١) راجع: موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، لشيخنا الدكتور أكرم ضياء العمري ـ حفظه الله ـ ٩٤ ـ ٥٠، ٨٧ ـ ٩٢.
(٢) انظر: تأنيب الكوثري ١٩ ـ ٢٠.

مما ينابذ العقل والنقل[1]، ومن قول بعض الناس: «إن كتاب الإحياء، للغزالي: كاد أن يكون قرآنًا»[2]!! مع ما فيه من الضلال والانحلال.

بل أهون بكثير مما قاله البنوري فرخ الكوثري، في ظلامه المخيم حول نونية ابن القيم: «انظر أبلغ كتابة له في الرد على نونية ابن القيم، وأقسى لهجة في كتبه، هل تجد فيه مغمزًا؟ وكان سيفًا صقيلًا، وصارمًا مسلولًا، ومُهنَّدًا مشهورًا، لم يستطيعوا فلة فيه رواية ودراية في عشرين سنة، مع غاية عدائهم إياه في هذا الموضوع»[3]. مع أن هذا الكتاب مليء بالخرافات القبورية والكلامية، وحاول فيه إحياء الدولتين: دولة مشركي العرب، ودولة الجهمية وابن أبي دؤاد، كما أنه أطلق على أئمة الإسلام كل سب وشتم، كما أطلق على الإمام ابن القيم ذلك الهمام شتائم وسباب، أمثال: «ضال، مضل، زائغ، مبتدع، وقح، كذاب، حشوي، بليد، جاهل، مهاتر، خارجي، تيس، حمار، ملعون، من إخوان اليهود والنصارى، منحل من الدين والعقل»، كما رماه بالزندقة والكفر[4].

فهل يوجد في الحنفية في العالم منصف واحد، يسأل الكوثري

---

(١) انظر: الدر المختار مع رد المحتار ١/١٩ ـ ٢٠.

(٢) تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، لعبد القادر العيدروس، الملحق بآخر الإحياء ٥/٥.

(٣) مقدمة البنوري لكتاب: مقالات الكوثري (ز).

(٤) انظر: ظلام الكوثري المخيم، حول نونية ابن القيم ٩، ١٠، ١٣، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٧، ٥٠، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٨٢، وغيرها أمثال ذلك الأوصاف.

ثم البنوري: ما معنى المغمز؟ أليس تلك الخرافات الكلامية والقبورية مع تلك السباب والشتائم مغمزًا؟

وأليس أن **المعلمي** ذلك الناقد، صاحب **التنكيل**، قد نكل الكوثري وتأنيبه أو ظلامه المخيم تنكيلًا، كما أن **الألباني** قد قتله تقتيلًا؟ وكانا سيفين وصارمين مهندين مشهورين لم يستطيعوا فلة فيهما رواية ودراية في أكثر من عشرين سنة، مع غاية عدائهم إياهما، في هذا الموضوع، أليس كذلك؟

وأما سكوت الخطيب على بعض الموضوعات ـ إن صدقنا الكوثري ـ فمعلوم أن من أسند فقد تبرأ، وهذا منهج من المناهج، سلكه غير الخطيب قبله وبعده، وأين هذا السكوت من جريمة رجل يطعن في أحاديث الصحيحين، وينال من عرضهما، لأجل حاجات القبورية والكلامية والفقهية؛ بل يدافع عن الموضوعات الواضحات، أمثال حديث: (سراج أمتي وأن ابن إدريس [الإمام الشافعي] أضر من إبليس)، وحديث رد الشمس، وأحاديث موضوعة في باب التوسل وغيره؟ والله المستعان على ما تصفون.

ولنعم ما قيل:

ويكره الشرب في فضة ... ويسرق الفضة إن نالها

الخاتمة

في بيان أنواع جنون الكوثري الثلاثة:
الأكبر، والكبير، والصغير، وصغيره أكبر:

جنونه للخرافات القبورية، وجنونه للسفسطات الكلامية، وجنونه للإمام أبي حنيفة خاصة، والحنفية عامة.

مع بيان أمثلة خروجه على المذهب الحنفي في المسائل المهمة.

هذه كانت نبذة من عقيدة الكوثري، ومبلغ سقوطه عن الخُلق الطيب، الذي يليق بأهل العلم، وأنه لم يكن من أهل السنة على الإطلاق؛ بل كان جهميًا في باب الصفات، له موقف خطر من النصوص الشرعية، ونصب العداء الشديد للعقيدة السلفية وحامليها، وأفنى عمره في صب السباب والشتائم واللعائن على أهل الحديث وأئمة الدين، كان يرميهم بالكفر، والزندقة، والإلحاد، والوثنية، والحشو، والتشبيه، والتجسيم.

كما أنه صوفي، خرافي، وقبوري في باب توحيد الألوهية، يُجَوِّزُ الإشراك الصريح، تحت ستار التوسل، كما يُجَوِّزُ بناء القباب والمساجد على القبور؛ بل الصلاة إلى القبور تبركًا، وحصولًا للفيض منها.

فالرجل كان يحاول إقامة دولة ابن أبي دؤاد، كما حاول إقامة سلطان الجاهلية الجهلاء، والوثنية الخرقاء، وكان حنفيًّا متعصبًا، هالكًا في ذلك، مجنونًا في هذا الباب.

كما أنه كان خائنًا، مرتجلًا للكذب، صاحب دجل في الدفاع عن الباطل ومناصرته، نابذًا للحق الصريح في مسائل كثيرة.

وقد كنتُ أسمع أن الكوثري مجنون الإمام أبي حنيفة، ولكن لمَّا اطلعتُ على خرافاته البريلوية، وخزعبلاته القبورية، تبيَّن لي أن الرجل عنده جنونات: فهو مجنون لخرافاته القبورية في المرتبة الأولى، ومجنون لخزعبلاته الكلامية في المرتبة الثانية، ومجنون[١] للإمام أبي حنيفة في المرتبة الثالثة.

فعنده ثلاثة أنواع من الجنون، وكل واحد من الموبقات.

لأنه قد ضحى بكثير من مبادئ المذهب الحنفي في باب توحيد الألوهية، لإثبات خرافاته القبورية، كما سيأتي[٢] تفصيل ذلك في أبواب التوسل وسماع الموتى، وعقيدة علم الغيب وتصرف الأرواح، وبناء القبب والمساجد على القبور، وتجصيصها، والصلاة إليها.

وبعد هذا كله؛ لا أدري ماذا يختار السادة الديوبندية الحنفية حقًّا، هل يعدُّون الكوثري من البريلوية أعدائهم الذين يكفرون جميع الديوبندية بمثل هذه العقائد الكوثرية؟ أم لا يزال الكوثري هو الإمام

(١) في المخطوط زيادة كلمة: (بتقليد)، أو (بالتقليد)، أو كلمة نحو ذلك باللون الأحمر، ويحتمل أن يكون من خط والدي رحمه الله.

(٢) لعل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لما شرع في هذه الخاتمة؛ شرع فيها لتكون مقدمة للفصل الثالث، ثم بدا له أن يجعلها خاتمة للكتاب. والله أعلم.

المحقق الأصولي النظار النقاد...؟ والبريلوية كفار مشركون؟ والعلة واحدة، أم ماذا يختارون؟

هذه كانت نبذة من عقيدة الكوثري في باب توحيد الألوهية، والآن استمع إلى بعض التفصيل، ثم الرد عليه من المذهب الحنفي.

للكوثري في ذلك مقالتان: الأولى: بعنوان: (بناء المساجد على القبور، والصلاة إليها)[1][2].

ردًا على العقيدة السلفية وحامليها، وأنه لا يجوز بناء القباب والمساجد على القبور؛ بل يجب هدمها.

وإليك بعض الأمثلة لمنابذته مذهب الحنفية وأئمتهم في سبيل تدعيم خرافاته:

١ ـ لم يقل أحد من الحنفية الذين يُعتمد على قولهم من فقهائهم أو محدِّثيهم أو مفسِّريهم: أن المراد من التوسل في الكتاب والسنة: التوسل بذوات الأولياء وأشخاصهم؛ بل نصوصهم صريحة على خلاف ذلك، وقد تقدم نصوص كل من: السمرقندي، والزمخشري، والنسفي، وابن أبي العز، والعيني، وأبي السعود،

---

(١) مقالات الكوثري ١٥٦ ـ ١٥٩.

(٢) لم يذكر الشيخ رحمه الله المقالة الثانية، ولعله رحمه الله كتب هذه الخاتمة إلى هذا الموضع، لتكون مقدمة للفصل الثالث التي فيها عرض عقيدة الكوثري الشركية تحت ستار التوسل، ثم رأى أن يجعلها خاتمة، ويدل على ذلك أنه كتب في أول الخاتمة: الفصل الثالث، فعدله إلى قوله: الخاتمة. ويدل على ذلك أيضًا قوله: سيأتي تفصيل ذلك في أبواب التوسل... إلخ، وقوله: والآن استمع إلى بعض التفصيل... إلخ.

والزبيدي، وأنور شاه الكشميري، وغيرهم[1].

٢ - قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به، ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2]»[3].

٣ - «ويكره أن يقول الرجل في دعائه: بحق فلان، أو: بحق أنبيائك ورسلك»[4]، وهو قول أبي حنيفة وصاحبيه[5].

٤ - أجمعت الحنفية - بل المذاهب الأربعة - على عدم جواز البناء والقبب والمساجد على القبور، كما قدَّمنا نصوص أهل العلم في ذلك، بما فيها نصوص الحنفية[6]، لكن للكوثري مقالة في جواز ذلك، كما تقدم[7].

---

(١) راجع الصفحات: ٣٩٨ - ٤٢٢، من هذه الرسالة.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) الدر المختار شرح تنوير الأبصار ٢/ ٦٣٠، والفتوى الهندية ٥/ ٢٨٠، على ما في كتاب شيخنا الألباني: التوسل ٤٧ - ٤٨، ونقله شيخ الإسلام، انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٥٠، وضمن مجموع الفتاوى ١/ ٢٠٢.

(٤) الهداية، مع تكملة فتح القدير ١٠/ ٦٤، والهداية، مع شرحها البناية، للبدر العيني ٩/ ٣٨٤، وأقره، وكنز الدقائق، مع شرح البحر الرائق ٨/ ٢٠٧.

(٥) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز ٢٦٢ - ٢٦٣، وشرح الإحياء، للزبيدي ٢/ ٢٨٥، وشرح الفقه الأكبر، للملا علي القاري ١٩٨، وأقره، وزادا: «وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك». قلت: يدخل فيه: بركة فلان، ووجه فلان، وحرمة فلان، وخاطر فلان، وغير ذلك مما هو شائع ذائع في بلادنا، وانظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز ٢٦٢، ونقله شيخ الإسلام، انظر: قاعدة في التوسل والوسيلة ٥٠، وضمن مجموع الفتاوى ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٦) انظر ص: ٢٧٢ - ٢٨٤.

(٧) مقالات الكوثري ١٥٦ - ١٥٩.

٥ ـ أجمعت الحنفية وغيرهم من أهل المذاهب على عدم جواز الصلاة إلى القبر، ولا سيما إذا كان القبر مُعظَّمًا، وقد تقدم نصوص الحنفية وغيرهم في ذلك أيضًا[١]، وللكوثري مقالة في جواز ذلك أيضًا[٢].

٦ ـ أجمعت الحنفية وغيرهم على صحة حديث أبي الهياج الأسدي في تسوية القبور، رواه مسلم وغيره، ولكن الكوثري يقدح فيه[٣].

٧ ـ أجمعت الحنفية وغيرهم على صحة حديث جابر في النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رواه مسلم وغيره، ولكن الكوثري يقدح فيه[٤].

٨ ـ أجمعت الحنفية ـ ولو إجماعًا سكوتيًا على صحة حديث ابن عباس: (يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...)[٥]، ولكن الكوثري يقدح فيه، لأن الحديث بظاهره يمنع الاستغاثة والاستعانة

---

(١) انظر ص: ٢٩٦ ـ ٣٠٣.

(٢) مقالات الكوثري ١٥٦ ـ ١٥٩.

(٣) مقالات الكوثري ١٥٩.

(٤) مقالات الكوثري ١٥٩.

(٥) رواه الترمذي ٤/ ٦٦٧، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد ١/ ٢٩٣، ٣/ ٣٠٣، ٣٠٧، وراجع لبيان صحة الحديث: كلام أحمد شاكر في شرح المسند ٤/ ٢٣٣، ٢٨٦ ـ ٢٨٩، وقال شيخنا الألباني «صحيح»، تخريج المشكاة ٣/ ١٤٥٩، ونقل القاري تحسين الترمذي وتصحيحه، وأقره، مرقاة المفاتيح ١٠/ ٥٥.

من غير الله، كما أنه حرف هذا الحديث بقوله: «وأما حديث: (وإذا استعنت فاستعن بالله)، فبمعنى: عند استعانتك بأي مستعان، فاستعن بالله»[1]، سبحان الله! هل هذا مراد رسول الله ﷺ؟

٩ ـ حرَّف معنى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فقال: «وأما قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ففي العبادة والهداية، بقرينة السياق والسباق...»[2]. لم يسبق أحد إلى هذا التقييد والتخصيص، والكوثري هو القائل: «وتخصيص قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[3] بما قبل الموت؛ تخصيص بدون حجة عن هوى، وترك المطلق على إطلاقه مما اتفق عليه أهل الحق، والتقييد لا يكون إلا بحجة...»[4].

انظر أيها المسلم ـ أولًا ـ كيف صرف معنى الآية، ثم كيف خصصها بالعبادة والهداية، هل المسلم لا يستعين بالله إلا في العبادة والهداية فقط؟ وأما في غير ذلك يستعين بغير الله؟ ثم انظر إلى تلاعبه بالقواعد الأصولية، كيف يستخدمها وفق هواه!

مع أن الاستعانة بغير الله إذا كانت تحت الأسباب العادية التي أقرها الشرع تجوز في أمور العبادة والهداية وغير ذلك، وإلا فلا تجوز بغير الله لا في هذا ولا في ذاك.

---

(١) المقالات ٣٩٦.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) النساء: ٦٤.
(٤) المقالات ٢٨٧.

١٠ ـ يعتقد الكوثري أن النبي ﷺ في البرزخ يعلم بسؤال السائل[١]؛ بل يثبت للنبي ﷺ علم اللوح والقلم[٢]، ويدافع في ذلك [عن][٣] صاحب قصيدة البردة، ذلك البوصيري[٤] الخرافي، ويؤيده.

وفي ذلك خروج فاضح واضح على الحنفية، لتصريحهم بتكفير من يزعم ذلك، كما تقدم.

١١ ـ يعتقد الكوثري أن أرواح الأولياء هي المدبرات للعالم[٥]، فهل هذه عقيدة الحنفية؟

١٢ ـ يعتقد أن الرسول ﷺ يشفع في البرزخ، ويعلم بسؤال السائل[٦]، فهل هذه عقيدة الإمام أبي حنيفة وصاحبيه وأئمة الحنفية؟

١٣ ـ يُجوِّز الكوثري الاستعانة والاستغاثة بنفوس الأخيار، لجلب الخير ودفع الملمات[٧]، أين في عقيدة الإمام أبي حنيفة هذا.

١٤ ـ يُجوِّز الاستغاثة في صدد التوسل[٨].

١٥ ـ يُجوِّز التوسل بجاه النبي ﷺ، والنداء له في غيبته[٩].

---

(١) المقالات ٣٨٩.

(٢) المصدر السابق ٣٧٣.

(٣) زيادة تقتضيها السياق.

(٤) هو محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي (٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧هـ)، انظر: ترجمته في الوافي بالوفيات ٣/ ١٠٥ ـ ١١٣، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٢.

(٥) انظر: مقالات الكوثري ٣٨٢.

(٦) المصدر السابق ٣٨٩.

(٧) المصدر السابق ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

(٨) المصدر السابق ٣٩٥.

(٩) المصدر السابق ٣٨٩.

١٦ - يُجوِّز زيارة القبور للتبرك، والدعاء، ودفع الضرر، وجلب النفع[١].

* * *

(وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين)

٢٠/١١/١٤٠٧هـ

(١) المصدر السابق ١٥٨، ٣٨٥، ٣٨٦.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

المفكرة